

اخترونالك

الأستاذ الدكتور  
عبد العزيز بن  
يحيى بن  
الاسكندرية

## كيف تفكر افرقية؟

بقلم . و. ا. ابراهيم  
سليمان : خيري حماد



## تقدمة المغرب

كاتب الفاره الافريقيه في معظم أرحائها حتى سبواب حلب صندوفه معلما تقوم الدول الاستعمارية على حراسه بأساطيلها وفواياها المسلحة وأنظمتها الاستعمارية الجائره ، فهي البهره الحلوب التي سز من خاماتها المواد الأولية اللازمة لصناعها . وهي السوق التي يبيع فيها هذه المواد بعد أن سسنعها ويحولها الى سلع جاهزة لتعيد تصديرها اليها بأسعار حيالية يكون فيها الغنم للاستعمار ، والغرم على الشعوب الافريقية المحرومة من كل شيء حتى من حق التنفس بانطلاق .

وكانت هذه الدول الاستعمارية نصرب نطافا من العولاد على هذه الفارة بفواياها العسكريه ، فنرايط على سواحلهما ، وسير بعض فواياها في داخلها ناركه القبائل التي يعيس في هذا الداخل . يعيس في ظلمات الجهل ، ويعاني من شظف العيس وسقائه ماعابه . ولم يكن يسمح بدخولها الا للجوابين يطوفون أرجاءها ، والوكلاء والعيون بجوسرون مجاهلها وأدغالها ، يحا عن مغنم وتقيبا عن معدن جديد يقترسه القوي الاستعماريه الجنتعة . وكان هؤلاء الوكلاء - يسكرون في أزياء رائثة ، مصطنعة ، هي مسوح الرهبان حيا ، أو لناس رجال العلم أحيانا - يدعون سر المسيحية وهم منها براء ، لاهم يحالفون أولى بعالمها في مساواه الانسان بالانسان . وفي مسئولية الفرد أمام حاله ، ويرعمون النغييب والبحث عن الدراسات العلمية في كل ميدان ، مع انهم يتنكرون للعلم ومبادئه في أبسط صوره ، وهي أن تناح فرصة للناس جميعا ، وأن تكون هذه الحفاظ على كرامة الانسان .

ولم تكن هذه السلطات الاستعماريه ، تسمح للأفريقيين بمعاودة فارتهم الا اذا خرجوا منها عبيدا يباعون في أسواق النحاسه ، أو اجراء للاستعمار ، ينهبون الى معاهده في الغرب ، ليعودوا منها ، عملاء يسرون نولا قلة نادرة منهم أبت لهم طبيعهم الصافية النقة ، وابماهم بأوطابهم أن يستجيبوا لأهداف الاستعمار وغاياته بالنعم «الرائثة» التي يفدقها الغرب على أفريقيا ، وبالعمل الذي يقوم به لنهضها وتقدمها .

لكن المارد الافريقي الجبار ، مالت أن نجاب مع الروح الحررية

التي سيطرت على العالم بأسره في الحصب الاخير . ولا سيما في أعقاب الحرب الكونية الثانية . وراح بململ في فمقمه ، منعجرا على شكل بورة دامية هنا . ونضال سعبى هناك . يسد الحرية ويطلب الاستقلال ويلح في تنفيذ الدعاوى ، التي طلع بها ميساق الاطلسى ابان الحرب العالمية الثانية وأقربها سريعه الامم المتحدة في حق كل سعب في تقرير مصيره .

وخاصت الشعوب الافريقية معارك التحرر واحدة أتر أخرى ، وانبرى فادنها وبعضهم ممن درس في معاهد الغرب وجامعاته ، يكيلون الصربات للاستعمار ضربة بعد صربه يريدون تطهير قاربهم من رجسه وانفاذها مما حملة اليها من استعباد وظلم ، وعنصرية . وأخذت الدول الافريقية المسفله تظهر الى حير الوجود بصورة متتابعة فيعترف العالم بوجودها . وتصبح ممثلة في الامم المتحدة ، حتى عدت هذه الدول نمثل أكبر مجموعة عالمية فيها وأكثرها عددا . واذا كان بعض البلاد الافريقية مازال برزح تحت نير الاستعمار حتى الآن ، ويعانى ويلات الاضطهاد العنصرى التي ننزلها به الاقليات الاوربية المستوطنة . فان عجلة التاريخ لن تنوقف ، وحنمية التحرر لن ننأخر في افامة الدليل على صحتها وسينجلي نفع المعارك التي تخوضها هذه البلاد والتي نلقى العون والنصره فيها من أخواتها المتحررات ، عن علم الحرية ، مشرعا فوق الفارة من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها لنسير في طريق الوعي التقدمى الصحيح وتطرح عن نفسها اغلال الاستعمار الجديد ، الذى نود الدول الاستعمارية التي أفل بجمهها ، أن يفرضه على القارة . مستخدمة السلاح الاقصادى كوسيلة لضمان التبعية السياسية اللاماترة .

واذا كانت الفارة الافريقية قد قطعت سُوطا طويلا في طريق استقلالها السياسى ولم يعد أمامها الا استكمال هذا الشوط في مراحل الأخيرة لتحرر ماتبقى من أجزاء الفارة تحت نير الاستعمار وسلطانه ، فان الطريق مازال طويلا أمامها لتأمين الاستقلال الاقصادى الكامل . الذى لاعمى للاستقلال السياسى بدونه . وما زالت هذه الطريق مالأى بالاشواك بل وبالصحور والجنادل التي يؤلف السوق الاوربية المشتركة واحدة منها ، بل أصخمها وأكثرها وعورة ، وينحن على هذه القارة التي تحررت أن بذلها ؛ لتصل الى هدفها الذى تسعى اليه في التحرر الكامل والتعاون الذى يحمل شنى المسميات ، ومنها تعبر الجامعة الافريقية .

ولم نكن حتى سنوات قليلة . نعرف الا النزر اليسير عن هذه الفارة وكان ما نعرفه عنها ، فى الغالب ، أوروبى الصناعة ، استعمارى النزعة ؛ ولكن الحفبة الاخيرة حملت اليها كنبرا من الكتب والمؤلفات



والمغالاب والبحوت الى حاصب ميادين البحث فى السئون السياسسيه والتاريحيه والاقتصاديه . دون ترتيب على النواحي الاجتماعيه أو المعانيه أو العدريه . وظلت هذه النواحي بالنسبه اينما مجهولا من المجاهيل الى اراد الاستعمار منها أن تكون الصوره التى يحملها العالم عن هذه « القاره السوداء» على حد سميته . لمطل المسدان الذى يحتاج ، كما يدعى الاستعمار ، الى معونه الحصاره العربيه للاحد بيده ، ومساعدته على النهوض والسير به فى معارج التقدم . ولتسعمل هذا الادعاء وسيله لتحقيق عابانه فى البقاء هناك . تسعمل حيرات القارة . ويبنز أموالها وبسحر أيديها العاملة تحت سار «الأبوة» الكاديه ، والحسن الزائف .

ولعل هذا الكتاب الذى سقله الى القراء العرب اليوم ، والذى وضعه مؤلف من أبناء القارة الافريقيه نفسها ، هو الاسناد ابراهيم . من الكتب القليله البادرة التى حاولت الفاء أصواء صحيحه لامحيزه وان كان التأثير بتقافات العرب واتجاهاته لم يجنبها معبه التردى أحيانا فى هوه التحير على الجواب المتعلقه بتقافات القاره الافريقيه ، وحصارها الفكرية . لاستكمال استقلالها الحضارى الذى لايعنى بحال من الاحوال فرص الحصار الثقافى عليها أو العزله الفكرية عن الحصارات الاساسية الاخرى وانما يعنى أولا وقبل كل شئ ، تصوير المفاهيم والقيم الافريقيه على حقيقتها مستمدا معالم الصوره من التاريخ والمفاهيم والقيم ، وبيان ماتحتاج اليه هذه الصوره من قيم ومفاهيم جديده لتتحول من صوره موضوعية تمثل الحاضر الى صوره تطلعيه تمثل المستقبل والعد المرجو .

وأرى لزما على فى هذه المقدمة أن أنقل الى القارئ العربى ، ماقاله أحد النقاد الغربيين الذى يوحى الموضوعية فى غالب ما يكتب فى الحدب عن كتابنا الذى يعربه . . لقد شهدت أواسط القرن العشرين مولد دول جديده حصلت على استقلالها السياسى والاقتصادى . ولكن هذا الاستقلال لم يعد كافيا بالنسبة اليها ، اذ أنها تسعى الى تحقيق استقلالها الثقافى أيضا . ولارب فى أن هذا الكتاب الذى وضعه أول أفريقى يحصل على مقعد «الأسناذبة» فى جامعة أو كسفورد هو اسهام رائع يحمل كل معانى التحدى فى النقاس الدائر عن مستقبل الفكره والثقافه فى أفريقيا .

يسهل المؤلف كتابه بمنافسه لمفاهيم الثقافه الدقيقه ويدعمها بالشروح والأسانيد المسهبة والمفصلة عن مجتمع يضم أكبر الجماعات اللغويه وأهمها فى عانا ، وهو مجتمع الأكاس . سارحا فى مناقشته هذه نظرات هذا المجتمع الى الحباة . وينتقل الكاتب بعد ذلك الى درس وقائع التاريخ الافريقى وصوره ، والاتصال بين أفريقيا وأوربا ، وأمامى القارة الافريقيه السياسيه والاقتصاديه ومشاكلها مناولا شنى المواضيع التى

يواجهها هذا الشعب الجديد أثناء بحثه عن روحه الجماعية . ولعل أبرز ما في الكتاب هو هذا الجمع الرائع بين النقاش الرفيع والاسلوب الدقيق والنسج الوافي .

ولهذا الكتاب أهمية مزدوجة ، الأولى أنه صورة دابة فكريه للجيل الرابع من الافريسيين المنعفين . والثانية انه اسهام مهم لبعائه في حى هذا الجيل في مشاكل النفاذه والقومية ، والسياسات والاحلاق والسير مع التقدم الاجتماعى في عصر بسوده البديل السريع والحظير . وقد بدور بطوير غانا ونموها سابعة للاجراء الباقية من افريقيا ولا ربب في ان هذا الكتاب يسهم اسهاما باررا في المناقشات السياسية الدائره في غانا وفي المناطق الغربية من افريقية .

ولد المؤلف في عام ١٩٣٤ ، ونحرج من قسم الفلسفة في جامعه غانا في عام ١٩٥٧ والنحى بجامعة اكسفورد حيث حصل على درجه «الاستاذية» في الفلسفة منها ثم عمل معيدا في احدى كلياتها ، كما عمل محافظا لمدرسة الدراسات السرفية والافريقية في جامعه لندن . وقد طاف المؤلف بعدد من بلاد آسيا وأوربا وأمريكا ثم اصبح أساذا مساعدا للفلسفة في جامعه غانا .

والكتاب في مجموعه دراسة ريفية للمواحي العقلية والسياسية والعكرية في الحضارة الافريقية القديمة ، مع اسسشاف لتطلعات افريقيا في هذه المحالات واستجلاء لما يقوم من ارباطات بينها وبين المواحي المانلة لها في حضارات أوربا من غربيه رأسمالية أو سرفية استراكية . وهو في الوقت نفسه دراسة موضوعية لبعض المسائل التي تسغل أذهان القادة الافريسيين ، كالجامة الافريقية ، وعلاوه افريقيا بالسوق الاوربية المشتركة ؛ والاستقلال الاقتصاى واستغلال الموارد الطبيعية والمعدنية وسياسة الحياى الايجابى وعدم الانحياز ، والتكتلات الاشريقية الافليمية والاضطهاد العنصرى ، والنطلعات الايجابية الى غد مشرق زاهر .

واذا كنت قد اخنلت مع المؤلف في بعض آرائه وانجاهاته مينا وجهة نظرى في كل مسألة من المسائل في الشروح والهوامس ، فان هذا الاختلاف لايعنى مطلقا اننى أقلل من قيمة الكتاب الذى أضعه بين أيدي عرائنا العرب اليوم . فهو في نظرى دراسة رائعة ، تسحق أن تقرأ بامعان وتفهم عميقين ، وجدبرة بأن تلقى كل عناية وكل تقدير .

القاهرة في ٥ ابريل ١٩٦٣

خيرى حماد

، الاهداء...

لنأخذ...  
شعب أفريقيا



## مقدمة

نمت معي الفكرة الحافزة على وضع كتاب يتناول العملية التاريخية التي نتمخض عنها الصارة الافريقية في هذه الايام ، نتيجة عدد من المناقشات والندوات والأحاديث التي اشتركت فيها . ولا ريب في أن الحاجة الى فهم هذه العملية التي سطوى على الكثير من التطورات ملحه كل الالاح . ولكن هذا الفهم يتطلب شيئا من التحليل ، ويتطلب التحليل من ناحيته أيضا وجود مجموعة من الافكار القيادية ، ولا يساعد هذا الهيكل بدوره على الكشف عن القوى الهائلة التي أخذت في التآلق في القارة الافريقية فحسب ، بل يحصر الثعاب أيضا عن تلك التكيقات الصامتة ، التي تحدد صورة الشعب ومبادئه ومواقفه ، ورعنا ومكارهه وما ننطوى عليه من قوى دافعة .

ويحناح المرء ليكون تحليله موضوعيا ، الى الدنو من صفات العريب الذي لا يحس بما يحس به الاهلون من ناحية ، ومن صفات القريب الذي يعرف خفايا الامور ودقائقها من الناحية الاخرى ، ولما كنت افريقيا ، فان نوازعى الداخلية تتجاوب مع تبعات الوعى الجماعى فى افريقيا ، ولكن اختيارى عصوا فى هيئه « جميع الارواح » ذات الطابع العالمى ، مكنتنى من تقدير ما يميز به الفكر من حرية ، ومن ترابط ، ومن اتصال . وهى نمار تساعد على وجودها الانقسام الطبيعى عن التطورات التي يتولى المرء تحليلها .

ولم أكشف بمجرد سرح القوى الى تعمل فى افريقيا ونفصلها ونفنيدها ، أو وصف الشعوب البنى اطلعت هذه القوى من عقالها ، فى وسطها . ولكسى سعيت للكشف عن ذلك الهيكل الذى يعمل هذه القوى فى داخله ، والذى بعرض شعب افريقيا فى الوصف الانسانى للمجتمع الذى يعيس فيه . ولكل مخنم عميدته الخاصة ؛ ولا ريب فى أن هذه العقيدة هى الى يقدم المادى الى تقر أهمبة الاحداث ذات الخطورة ويحددها . ويعنى الجزء الاول من الفصل الاول بايضاح هذه المهمة وسرحها . وقد يبدو هذا الجزء من الكتاب منطوبا حتما على شىء من الاطلاقيه ، لكنه من الناحية الاخرى متناه فى الدقة ، انه هو فى الحقيقة العامل الذى يربط أجزاء الكتاب بعضها الى بعض . وحاولت فى الفصل الثانى أن أحلل المركب النظرى الذى يسود مجتمع افريقيا واحدا ، وأن أشرح

كيف يمكن لهذا المركب أن يكون صورة عن أفريقيا كلها . وتوليت في الفصل الثالث دراسة الطريقة التي ضاع فيها الاستقلال ، والطريقة التي سمب منها استعادته على ضوء المشاكل المعروضة على أفريقيا والوسائل التي طورت فيها إفريقيا طرق معالجتها لهذه المشاكل . أما في الفصل الرابع والآخر ، فقد قمت بدراسة مشاكل إفريقيا على صعيد القارة كلها، وأظهرت أن الوحدة الإفريقية تخرج من هذه الدراسات وهي تعرض الحل الأمل لكافة المشاكل .

وانني لأحس بالكثير من عرفان الجميل لكافة أولئك الأفارقة أو غير الأفارقة الذين أرغموني في مناقشاتهم معي على التفكير في هذه التبرارات التي نحس بها الانسان .

وانني مدين قبل كل شيء ، للدكتور فوامي نكروما الذي بعصل بمطالعة مخطوطات هذا الكتاب قبل طباعتها .

ليغون ١٩٦٢ .

ويلي . أي . ابراهيم

## العقيدة والمجتمع

« الثقافة وأهمية الاحداث ، طبيعته الثقافية - الاعمال التاريخية  
الأنسنة والاستعمال - الأنسنة والنظور . التحليل الاساسى العلمى  
للإنسان : العلاقة مع السياسة - قواعد المجتمع رأسه - فوائد الثقافة  
الانصال الافريقى باوروبا - الاتصال الافريقى بالشرق الاوسط -  
الطبيعة التقليدية لافريقيا - النسخة الثانية عن الفردوس - نسب  
مزعوم » \*

نعم كافة الاحداث ذات الاهمية الكبيره فى اطار احدى النماطات  
وستن أهميتها فى حكم الواقع من الثقافة التى تجد نفسها فيها . وكثيرا  
ما يحدث ، وسيحدث حتما ان يجد أحد هذه الاحداث الذى يقع على حدود  
نمطين مختلفين نفسه وقد أحيط بأهميه محللة وحوى بطايات محللة  
على اتاره ردود فعل قوية ، وبطايات منبأنة على تقرير اتجاه السياسات  
النابعه منه ، ويثير هذا الوضع على الفور المسائل لعدد من الانظمة التى  
سبوى قبل كل شئ على التاريخ والعلم الاجماعى لاصول الانسان .  
وتير كتابة تاريخ لنفاة تسمى الى وسط غير الوسط الذى تكتب فيه  
ولا يقوم بينهما أى تشاكل أو تماثل من ناحية الأحداث والأوضاع المعنية  
بالكثير من المشاكل الخطيرة التى بنطوى على التحيز الثقافى والتنشويه  
المنعقد . ولا يعرض مثل هذا التاريخ بحكم الحتمية أية موضوعية ، كما  
لا يمكن له أن يعرض بأية صورة من الصور ، التحرر من اللون الثقافى  
الخاص بهذا التاريخ . ولا يمكن لأية ثقافة دخيلة ، أن تقدم على صعيد  
الموضوعية التى تتعلق بتقييم الاحداث والحفائف أية مجموعة بديلة من  
الأهواء \*

وتكون الفرارات السريعة ، وأوصاع التأقلم التى تجد البلاد الافريقية  
نفسها فيها ، والنبدلات المنطوية على الكبر من الجهد ، فى أوقاب الانتقال  
السياسى من طرار الاحداث . وتكون الاسس العملية الكمينه ، اذ أن كل  
ثقافة ننطوى على أساس عقلى وكذلك التأقلم الصامتة التى تقرر كل ما  
يجب الحفاظ عليه وما يجب الخلاص منه ، عرضة للظهور ، عن طريق  
تعريض ما ننطوى عليه الثقافة المعنية من تعقيدات نظرية . وهناك دائما  
مثل هذا التعقيد الذى بظهر فى تشابك القيم الثقافية والتميز الثقافى ،

لكن فله من الناس ليس الا ، هي التي تنصرف بعنايتها بالطمع الى الاسهام  
فى الساحة الطرحة لا فى الساحة العملية من الثقافة .

وبمه بروة ضخمة فى أفربعا من الفكر العامة الفليديه ، الى تعرض  
نفسها بوصوح فى الاوضاع الطرية الراهنة لسياسات هذه العارة ومجسعتها ،  
وكذلك فى تطبيقات الدول المسعلة منها الى حد كبير . ومن المهم كل  
الاهمية القيام ببعض النحيفات فى نظريات هذه الثقافات ، ولا ريب فى  
أن هذه النحيفات هي التي سيجسر النقاب عن أى البواحي من ثقافات  
العرب أو الشرق أو غيرها من الثقافات الأجنبية يمكن أن يترعرع فى  
أفريقيا ، وعن تركيب التعديلات التي قد تتعرض لها . وقد أسار الآن  
بلاسيد تميز الى هذا الطراز من الدراسة عند حديثه عن قبائل البالوبا  
فى الكونجو .

ولم أحاول سينما من هذا القبيل هنا ، ولكننى حاولت فى هذا الصدد  
أن أبين ما فى مثل هذه التحقيقات من أهمية . ولم يكن من السهل على  
بناء هذه العملية أن أجنب إبراز بعض الاخطاء المعينه ، وبعضها جسم  
للغاية ، التي قاد اليها التبدل فى الاحساس بأهمية مثل هذه التحريات . وقد  
يكون هذا العمل نظريا الى حد ما ، ولكنه ليس بالسوء النظرى كل  
النظرية . وقد يكون الناحية النظرية فيه مقتصره على قدره على يمكن  
المراء من رؤية بعض القضايا التي تار بصورة عامة بالنسبة الى أفريقيا . وهو  
يحاول من الساحة الأخرى بكميك بعض التعقيدات الناجمة عن اتصال  
أفريقيا بأوروبا أو بالشرق الأوسط ، ويعالج فى نفس الوقت آمال  
المستقبل مرتكزة الى التركيب المحدد الناحي عن هذا التحليل والتفكير ،  
واذا ما نظريا الى مستقبل أفريقيا نظرة واقعية نبين لنا أن هذا المستقبل  
يجب أن يكون مرتبطا بهذا التركيب الجديد ، عن طريق نجاحه فى كل  
شئ . وفى وسع المراء عن هذا السبيل ، أن يدرس بعض الأهداف القوية  
التي تعمل فى أفريقيا اليوم ، وأن يفهم المبادئ التي تقوم وراء هذه  
الأهداف .

ويختلف الناس فى استخدام كلمة « الثقافة » ، وإذا ما نوحينا  
المفهوم الشامل لها . بين لنا أنها نستخدم لتشمل كل ميدان من الميادين  
المتعلقة بحياة الناس ، سواء أكانت مبادئ خاصة أم عامة . وإذا ما نظرنا  
الى هذا الاستعمال من هذه الزاوية ، نبين لنا أن التعبير يشمل كل ناحية  
من نواحي المعرفة . والفنى والعلم والتقنية ( التكنولوجيا ) والديانات  
والأخلاق والطفوس والسياسات والأدب ، وحتى الآداب والسلوك  
وما إذا كان الناس فى مجتمع من المجتمعات يظفون أسنانهم ثلاث مرات  
يومية أو مرة واحدة ، ولكن استخدام الكلمة فى هذا الشكل لا يعطيها



الميره الوصفه المجرده . فعندما يقال لك ان الرجل المنقف ، بنازل عن  
 المقعد الذى يجلس اليه الى أنه سيده فان في وسعك أن تأخذ من أن  
 هذا القول الذى سمعت لايعنى مجرد الوصف فحسب ، بل ويعنى الوصفيه  
 أيضا . ومع ذلك فان استعمال هذه الكلمه فى شكلها الواسع هذا ،  
 يعنى استعمالها جرئيا . ليعطى وصفا معينا . فهى تستعمل الى حد ما  
 للتعبير عن رأى مبالغى ، أو مجموعه من الملل . ولا شك فى حمية نفسيه  
 السافه فى هذا المعنى الى فئتين احدهما عامه والاخرى خاصه . ويكون  
 السافه العامه أكثر دقة ونزما اد أنها تطلب بصورة جهرية مكسوفه ،  
 الاستحسان المعقول . ويبدو هذا التطلب واصحا فى عبارتي « أبى أباء  
 وأبى - مبودى كوردا » الفلننيسيين بلغة الاكاي ، وتعنى العبارة الاولى أن  
 هذا الانسان « منقف » كما تعنى العبارة البايه أنه « غير منقف » أو أنه  
 « فط » و « خشن » ، ولا يعنى استعمالها بالنسبة لاسان مجرد وصف  
 له بل وانهام أيضا . ويطلب هذا القول على كل مكان . ومن الصواب كل  
 الصواب أن يعنى بوجه اللوم الى اسان عندما يصعب بأنه غير منقف .

وهناك مع ذلك استعمال أصبى لهذه الكلمه ، وذلك عندما يحدد  
 النفاة بالأمور التى تصل بالفكر . وهنا سئل العبارة حيرة النجاج فى  
 الأدب والباريح والموسيقى والرسم والنح . ولكن هذه القائمة لا تشمل  
 كل محتويات النفاة أو ستتزف معانيها . فمن اللازم اللارب بالنسبة  
 للفكر الاساسى اذا ما أمسك بناصيه مثل هذا « التنظيم » الرائع ، أن  
 يحل أيضا بطاقة خاصة على « السم » سنطيع عن طريقها أن نحكم  
 مسبقا على ما يسيغ وعلى ما يجاوب به مع الاوصاع الموصوفة حكما  
 « صحيحا » « سليما » . ولا ريب فى أن التقليد الزائف لهذه الحاسة هو  
 الذى ندعى أحيانا بالترفح الكريه والتعالى .

ولعل من الطريف هنا أن يورد الطريقة التى اكتسبت فيها هذه  
 الكلمه ، ذلك المعنى الذى أشرت إليه ، فلقد اكتسبت هذا المعنى ، على  
 ما أعتقد ، بنيجحه عملية للافتقار فى هذه الأيام الى كل ما كان الانسان  
 المنقف يميله من آراء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وهما قربا  
 النهضة الفكرية ، فلقد كان فى مكنة الرجل الواسع النفاة فى تلك الايام  
 ميلا كلينبتر (Leibnitz) (١) ، أن يكون أديبا بليديا ( كلاسيكيا )

(١) جوتفريد ويلهلم فريهير لينتير ( ١٦٤٦ - ١٧١٦ ) فيلسوف ألماني وعالم  
 رياضى مشهور . ولد فى لايبزج درس القانون فى جامعتها ، ثم درس فى جامعة بومرغ.  
 وقد اشتهر بالاقتراح الذى قدمه الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا لغزو مصر لتحويل  
 انتباهه ومطامعه عن ألمانيا . ويعال ان نابوليون اعتمد الخطة التى وضعها لينتير عندما  
 غزا مصر . وقد احرع آلة حسابيه معقدة . وقد أصدر فى عام ١٦١٦ كتابا عن المفاهيم =

ومؤرخا وعالمًا في اللاهوت . ومسرعا في الفضاء ، ورياضيا ، وعالمًا في الطبيعة وفيلسوفًا ودبلوماسيًا وسياسيًا . وكان ذلك العصر أيضا عصر « الرجل الموسوعة » أو الرجل دى الآفاق الواسعة في العلم ، الذى مثل ديدرو (Diderot) (١) صورته المشرفة وفولتير (Voltaire) (٢) صورته المعتمدة القائمة . ولكن علينا أن نعترف هنا أن أوضاع النضور بالسبب لهذه الأنظمة ، كانت في ذلك الحين من النوع الذى يمكن الفرء من النعمى فى كبير من الفروع ، وبشيء كبير من الاسهاب والتفصيل . وقد قام الفيلسوف الافريقى أنطونى ويليام امو الذى عاش فى القرن الثامن عشر وحاضر فى جامعات هيل ووتينبرج ويينا الالمانية، بطبع سلسلة من المحاضرات التى القاها فى المنطق والمنافيزيقيا ( الغيبيا ) ، وعلم وظائف الأعضاء ( الفيسيولوجيا ) ، والعرافه والفلك ، ونظريه القانون . وفتح الكف ، مع الاسف أيضا ، وقد تمكن أيضا من امتلاك ناصية التاريخ والقانون . لكن هذه الأنظمة ما لبست أن مرت بتطورات هامة بعد انقضاء القرن الثامن عشر بما فيها نظام فتح الكف . وكان التطور الذى وقع فى القرن التاسع عشر وحده موحيا بالاجلال والمهابة . وعذر الكثير من هذه العلوم على الأسلوب الصحيح الخاص بها ، وسقت فكره الدقة فى الرياضات طريقتها بفوه ، وان كان لينستر قد تحداتها من قبل ، كما حظ من قسدر الركون الى الحدس والبديهية على الرغم من كانه (Kant) (٣) وكانت الفكرة السائدة من قسلى وبتأثر من

= الانسانية . وكان يرى أن القوة هى الجوهر الاصلى واعترف بوجود الشر ولكنه آمن بإمكان القضاء عليه بهائيا .

(١) ديبس ديدرو ( ١٧١٣ - ١٧٨٤ ) . من حكماء فرنسا ومؤلفيها ولد فى مقاطعة شماليا ودرس عند الآباء اليسوعيين ، وكان يطمع فى دراسة اللاهوت ثم تحول الى مه القانون . وقد راول عددا من المهن وقاوم الحوج بما يكتنه . وقد كتب فى جميع المواضيع . ومن أشهر مؤلفاته « أفكار فلسفية » ، واشترك فى وضع الموسوعة العلمية التى صمها كل آرائه الفلسفيه . وله كتاب عن الرسم وآخر عن تحليل الطبيعة .

(٢) جان فرانسوا ماري ( ١٦٩٤ - ١٧٧٨ ) . الكاتب المرحى الفرنسى المشهور والمؤرخ . ولد فى باريس ودرس فى كلية الآباء اليسوعيين . ومكنته مواهبه الأدبية من اقتحام الاوساط الادبية مد بعمرة أظفاره . ومن أشهر مسرحياته اوديب والمدراء وله عدة مؤلفات فلسفية تاريخية . - المغرب -

(٣) عمانوئيل كانت ( ١٧٢٤ - ١٨٠٤ ) ، من أبرز الفلاسفة الحديثين ، ومن أشهر علماء ماوراء الطبيعة . ولد فى كوبنجرورج عاصمة روسيا الشرقية ، من أصل سكوتلندى وكان لآمه اثر كبير فى تعليمه وثقافته ودفعه الى حب الطبيعة والتعلق بها . درس الرياضيات واللاهوت والفلسفه والطبيعة . وتقوم فلسفته على رفض وجود أى قانون للشيء المطلق ، أو الشيء الذى لا أول له ولا نهاية . وقد قسم الفهم البشرى الى أربع عشرة فئة هى الوحدة والكثرة والجماعية والحقيقة والتحديد والسلب والسلاقة من الوجود والمعارض وبين السبب والنتيجة والفعل ورد الفعل والامكانية والوجود والضرورة .

بيسوف الألماني عماويل كانت ، ان سى الامكان بل قد يكون من  
 الصرورى الرجوع الى الحدس سى اثبات النتائج الرياضيه وافرارها . وكان  
 يرى أن حدسنا يمكن أن ينامر وان يتكيف بالحيفة الوافعة . وهى أسا  
 توجد ضمن حدود زمانيه ومكانية ولهذا فلم يكن على نفسه من أن  
 الملائكة وهم لا يعملون على الحدود الزمانيه والمكانية التى  
 نجد أنفسنا معيدين بها ، لن نعالطوا فى الواقع سى استنتاجنا  
 الرياضيه ، أو أنهم لا يجدونها عسيره على افهامهم . وحاء عصر الدفه  
 الجديده ففصل العلوم الرياضيه عن الحدس وباب تركيب أحاسيسنا على  
 الرعم من أهميه الطبيعيه بالنسبه الى ما نستعمله من خبر ووروى فى  
 كتابنا منقسم العلاقه منبها مع النظريات والبراهين الرياضيه . ولاريد  
 فى أن هذا التحول كان يمثل علم النفس وعلم المنطق بالنسبه الى  
 رياضياتنا . وبعب من جديد آراء ليبير فى العلاقه بين المنطق والرياضيات .  
 وسرع جورج بول (George Boole) الايرلدى ، وبيانو (Peano) الايطالى  
 وهما عالمان رياضيان بحكم مهسهما ، يعملان على اقامة الدليل على ما بين  
 الرياضيات والمنطق من ناسق متشابه وكاد فريخ وراسل أن يحففا  
 ما أراداه دانك العالمان . وكانت الفكرة الجوهرية هى القدرة على التمييز  
 بين ما يمكن اقامه الدليل عليه بشكل أصبل وصحيح وبين ما لا يمكن  
 اثبات صحته ، فاذا خيل اليك أن فى امكان فرضيه معبنة ، الوصول الى  
 نظرية من النظريات ، فان فى وسعك اقامة الدليل على صحتها ، أما اذا  
 خبل اليك بأن هذه الفرضيه لا تؤلف نظرية فان فى وسعك أن تقيم الدليل  
 على صحه تخيلك هذا وان عجزت عن اقامة الدليل على عدم صحتها وكان  
 هناك عدد من الفرضيات التى قيل ان الرياضيين أقاموا الدليل على صحتها  
 وقد ببت فيما بعد أن هذه الفرضيات كانت بعيدة كل البعد عن الصحه  
 وان الدليل قد قام على زيها . ومن الواصح أنه لو كان فى الامكان اخذراع  
 وسيله للتمييز الى حد ما وبصورة آليه بين الاحكام العامه الصادقة والاحكام  
 غير الصادقة ، فان هذه الوسيله تكون نافعة كل النفع لاي نظام علمى .  
 ولا ريب فى أن محاولة تطبيق المنطق على الرياضيات هى الخطوة الأولى فى  
 ايجاد هذا الطراز من الاوضاع فى ملكوت الرياضه .

وعثرت بعض الأنظمة العلميه وبينها الرياضيات فى القرن التاسع  
 عشر على وسيلتها الصحيحه . ولعل النسيجه العظمه لهذا فى القرن  
 العشرين هو ما تحقق من نجاح مدهل فى حمل العلوم ، يفوق فى الخطى  
 الواسعه التى قطعها كل ما تم تحقيقه فى العترة التى انقضت بين عصر  
 الاغريق والقرن التاسع عشر . وكان طراز التطور الذى وقع من النوع  
 الذى يتطلب من كل راغب فى القبض على باصية علم من العلوم ، أن يخضع

نفسه لتدريب طويل وجدى من طراز التخصص . ويكون تركيز القوى كاملا كل الكمال ، بحيث نغزو العلوم حوايت مفصلة في وجه غيرها من الانظمة . ولا ريب في أن هذا هو مبيع النبأين الذي حمل س . ب . س (C.P. Snow) على أن يلعبه « بالعبثين » . ولكن انحصص واستجاح الطاهري للعلوم هو الذى أنر على بعض العقول على أى حال الى درجه حملها على أن توحّد أحيرا بين ممكنات المعرفة البشرية ، واحتمالات العلم . وكثيرا ما يجد المرء فعلا أناسا يترسسون على الفنون ، وقد حفز بهم الرغبة في أن ينصموا الى دوافل العلم ، يلجأون الى بعض الاحاديث المؤثمة عن الطريقة العلمية المسبعة في الانظمة التي يتمون اليها ، وهكذا بدأنا نسمح بالطريقة العلمية في الموسيقى والرسم والنقد الأدبي والتاريخ والفلسفة . وقد لا أدهش مطلقا اذا ما سمعت بعض الناس يسرعون في الحديث عن الطريقة العلمية في الشعر ، ومن المحتمل أن يكون مثل هذا الحديث قد ظهر فعلا فلقد سمعنا سيلا مبهمرا من الحديث عن هذه الفلسفة أو تلك ، وذلك كمحاولة لايضاح ما يعنيه هذه الطريقة العلمية بالنسبة الى كل نوع من الفروع .

وعلى المرء أن لا يخطيء في علاقه كل هذه الأمور بالأسسه . وقد سبق لى أن أوصحت أن فكرة الرجل المصف اليوم ، ليسب الا اعداما « لرجل الموسوعة » الذي عرفته أوروبا في عصر النهضة الفكرية . فهذه الحقيفة تربط هذه الفكرة قورا بالأسسة الاسنفاليه . وقد يقول الانسان ان جوهر الاسنة هو الاستعاضة عن الله الحائق وبكمن امكانية ذلك في املاك الانسان للعقل ، وفي اعجاب الانسان بهذا الامتلاك ولقد عنت الثقافة في عصر النهضة ، نعهد العقل والمنطق بالتعريف والرعاية ، ولما كانت قوة الاحساس قد ظلت خاضعة للعقل حتى قام هبوم (Hume) (١) بدءو الى أن العقل لا يستطبع النوصبة بأى احراء للعقل ، أو نأى هدف على أنه حدير بأن يسعى المرء اليه لذاته فان علم الاخلاق، وعلم الجمالية ظلا بعبران أشباء استعقالية . وقد نلعب دروة هذا الاتجاه في اخلافيات « كانت » الاسعقالية ، التي أقامت حدود الاحكام الأخلافة والجمالية على ما بوصى به العقل .

(١) ديبيد هبوم ( ١٧١١ - ١٧٧٦ ) فيلسوف ومؤرخ اسكتلندي ، درس القانون في بدايه حياته ولكنه ما لبس أن عدل عنه بسبب سوء حالته الصحية . وأهم كتبه « اطروحة عن الطبيعة البشرية » و « مقالات في السياسة والاخلاق » و « مقالات فلسفية عن العلم التبرى » و « التحرى عن مبادئ الاخلاق » و « مطارحات سياسية » . ويعتبر آراؤه في الفلسفة من النوع الشكى بالنسبة الى المتزمتين من دوى العقائد الدينية .

والفكرة التي سطوى عليها الأسنة العفلية ، فكره عقلية أيضا ، وقد سبق لهذه الفكرة ان وردت في الرأي الذي دعا اليه أرسطو والعاقل بان الانسان حيوان عاقل وكذلك في النظرية السياسية الديموقراطية التي أقامها على أساس هذا الرأي . والفكرة هنا هي اساسا لا نستطيع ان نصف نملكنا للعقل بالشيء العارض . ومضى الصدق أن يقال ، ان حيازه المخاوف البسرية للعقل لابد وأن يكون انفا عارضا وقد يكون سعيدا بالنسبة الى الذباب الذي يعيش على ما يهرزه الانسان . لكن هذه الحيازة تعتبر خاصة مميزة ومعرفة بالنسبة الى الانسان . ولا ريب أن هذا ما يعنيه اطلاق أسماء مختلفة على العقل ، كالطاقة أو الملكة أو الميل بدلا من تسميته بسلسلة من الأفعال ذات الطابع القصصى ، ولا ريب في أن هذه هي المناسبة التي عاشها هيوم . فلقد حيل اليه بأن الأشياء المادية ليست الا مجرد أفكار نطبعها الأحاسيس فينا . وخيل اليه أيضا أن كل فكرة ليست الا وجودا واضحا في ذاته ، وأن ليست له أية علاقة بأية فكرة أخرى . ويصح لنا أن نطلق على هذا الحيال اسم فلسفه هيوم الذرية . ولم يستطع أن يحدد بالضبط ما يراه في العقل نفسه ، وان كان ميالا الى القول بأن العقل أيضا ليس الا مجموعة من الأفكار وهنا ، أي عند هذه النقطة ، واجهه احتمالان ، اما أن ينكر وجود شيء اسمه العقل وهو ما يبدو أنه قد فعله حقا أو أن يقول بأن الأفكار نفسها هي موجودات مدركة . ويبدو أنه وقف حائرا في الخيار بين الأمرين ، وأطاحت به حيرته الى حالة من العجز عن النطق .

وهكذا اذا لم يكن في مكنتنا أن نقول بأن حيازتنا للعقل شيء عارض فان من واجبنا أن ننظر الى هذا العقل بعين المهابة والاحلال . وحتى اذا نظرنا اليه كنتيجة متقنة التخطيط للتطور ، فاننا سنكون في حالة عجز عن الامتناع عن التأثير به . وقد يجد المرء نفسه متحمسا للمغامرة بالقول بأن العودة الى القصص عن الخيالات المتطورة والحسنة التخطيط ، ليست الا رجوعا الى فكرة التطور نفسه . وقد لا يضفى التطور البطيء الذي يشب من شيء الى آخر كما تشب الضفدع . على الخيال أي معنى مفعول . وقد لا تعنى القفزات شيئا اذا لم تترك فجوات بينها ، اذ لا معنى للفجوة على هذا الصعيد الا أن تكون علاقة ترابط غير قانوني وغير مشروع . وليس من المعقول أن يخلق التطور سواء آكان من النوع الذي يتم عن طريق الاختيار الطبيعي طبقا لنظرية داروين (Darwin) (١) أم عن طريق التركيب

(١) شارل روبرت داروين ( ١٨٠٩ - ١٨٨٢ ) الفيلسوف الطبيعي البريطاني المشهور ولد في شروزبري وقد درس في جامعة ادنبره وكمبرج ، وقد أولع منذ حداثة بعلم النبات والحيوان وكان يجمع القراشات من صفره . وهو صاحب النظرية الشهيرة عن تطور الانسان وتنازع البقاء وبقاء الأنسب . - المغرب -

المعقد تطبيقا لنظرية تيهارد دى شاردان وأتباعه ، عقلا من اللاعقل ، وليس  
فى وسع التطور أن يوضح جذور الحياة الواعية وأصولها .

وهناك الآن فئتان من الفصايا يجدر بالانسان أن يعرضهما . ففى  
وسع المرء اذا ما واجهته ظاهرة الوعى ، والوعى الذاتى ، أن يتحرى عن  
تلك الاوضاع التى تعتبر كافية كفاية مادية ، أى تلك الاوضاع الواقعية  
التي تربط بها الحياة الواعية ، وأعنى بها تركيب الخلايا ، أو أن يتحرى  
عن تلك الاوضاع الكافية كفاية شكلية أى الاوضاع المنشابهة والتي تعتبر  
أحداثا للحياة الواعية . وجميع هذه الاوضاع مجهولة كل الجهل . ويعتبر  
تحديد هدين الطرازين من الاوضاع مسئولا عن تلك الأخطاء التى تتركب  
باسم مذهب الطواهر اللاحقة ، وهو المذهب الذى يحاول تحديد العقل ،  
بأنه الأثر الناتج عن المادة . ويعنى هذا المذهب ، أن العقل ليس الا صورة  
من صور فعل المادة ونشاطها . وهذا هو جوهر المذهب الجديد الفائل  
بحيوية المادة ، فاذا ما أردت البحث عن الاوضاع المادية للفكر . ونشئت  
العتور على أمثلة منها ، فان علماء وظائف الاعضاء ( الفيزيولوجيا ) وعلماء  
الكيمياء العضوية ، سيتحدثون اليك عن بعض الطواهر التى تتفاعل فى  
عقل الانسان عندما يفكر . ولكن ربط هذه الطواهر بالتفكير يعرضك الى  
الوقوع فى أخطاء لا منطقية . ولا ريب فى أن الخطأ الذى يمثل هنا يشبه  
الى حد كبير ذلك الذى وقع فيه وينجنسنان ( Wittgenstein ) فى كتابه  
« نحفيقات فلسفية » عندما عالج أحلام الانسان على أنها الوصف الحقيقى  
لما يحس به . وتتلخص زبدة معالجته لموضوع الأحلام ، فى المعادلة بين  
طاهرة الأحلام وبين سردها . وهذا يعنى أن الحلم لا يصبح حلما فابلا  
للملاحظة الا اذا سرد سردا صحيحا ويظهر من هذا ، أن الحلم لا يغدو من  
الناحية العقلية عرضة للملاحظة العامة الا عن طريق الكلام وغير الكلام من  
وجوه النشاط الادراكى . ولاريب فى أن سخافة هذا التحليل ، لا تبدو  
الا عن طريق نظريات الادراك الحسى . وتضع معظم هذه النظريات أوضاعا  
مجسدة معينة من الادراك الحسى ، ثم تمضى دون كبير ضجة الى تمييز هذه  
الايوضاع شكليا وتحديدتها على النحو الذى يدركها الانسان فيه . ومن  
المحتمل الا أستطيع الابصار ، اذا لم بهاجم الضوء ناظرى ويشكل  
صورة على شبكية عيني ، ولكن انتقال الضوء من مصدره الى عيني ،  
وتشكيله الصورة على شبكيتها لا يمكن أن نكون عن طريق فردى أو  
جماعى ، الحقيقة الباطنية لذلك الاشراق الذى يسمى الرؤية ، ولا يمكن  
لهذه الاوضاع البدنية الحسية أن تؤمن التفسير الصحيح للرؤية والوعى  
وان كانت تجعل من هذه الرؤية شيئا يشبه الأعجوبة .

وليس ثمة من شك فى أن درجة تشبعنا بالفكرة القائلة . بأننا  
لا نستعمل بطريق العرض والمصادفة ، هى التى تقرّر المدى الذى نكون

فيه على استبعاد الادعاء لصوب العمل . وعندما يصل هذا الشبح الى منتهاه ، نلجأ الى تقييم الأخلاق والسياسات والعلوم وحتى النفية على قواعد المطلق وأسسها ، وبدأ المذهب السحري في عيونا . كمنستنع من البلاده حيث يحوص الناس فيه دون تبصره ، ودون أفكار ، وينتظرون من الأحداث أن يبعثهم ويغاثهم ، بدلا من ببدد العلاقة الجوهرية القائمة بين الأمور عن طريق ايضاح الافكار القائمة وراء هذه الأشياء . ولقد كانت هذه هي الفكرة التي نادى بها ليبينز اذ اعتقد هذا العبقري الالماني الذي عاش في القرن السابع عشر ، أن لبس ثمة من شيء لا يقوم برابط بينه وبين فكرة معينة . ولقد حل اليه أن احتمالات الوقوع ، والحداد في الطبيعة ، قد عدت مكشوفة في العلاقات القائمة بين الفكرة القائمة وراء الأمور ولن يكون ثمة أنه معائنات في ذلك بالسببة الى الرجل الذي يستطيع الامساك بهذه الفكرة ، والكشف عن ارتباطها الداخلية . ويعتمد المذهب التجريبي على احتمال المفاجآت . وعلى اندرع بالحكمة بعد وقوع الحادث ، ولكن ليبينز ، كان يرى في هذه المفاجآت وضعا نفسيا ناجما عن الجهل والبلادة . ولا ريب في أن هذا الطراز من توفير ليبينز للعقل ، هو الذي يعودنا الى القول بأننا نفهم الله فهما طيبا ، والى انهام ليبينز بانه عالم رياضي ، أو فيلسوف يؤمن بالمذهب العلي أو أنه في يومنا هذا اقصادي من أتباع ريكاردو (Ricardo) (١) . ولا ريب في أن هذا الطراز من توفير ليبينز هو الذي يدفعنا الى أن نفرر مصائرا بأيدينا ، وأن نكتب بأيدينا شهادات حسن سلوكنا وقد شهد العصر الفيكتوري (٢) في بريطانيا تحقيق هذا الكفر الاساسي بطريقة عاطفية الارضاء وكادت أمجاد الامبراطورية ، والنراء الناجم عن الصناعة والنجارة والوطنية المستشعدة التي قدمت رموز التضحية والفداء ، والآلام الشديدة التي عانتها الطبقات العاملة والاتقان المنظم لقواعد السلوك العامة ، وحتى التصميم الموزون البارع لعلم الامبراطورية ( البونيون جاك ) ، كلها من الانتصارات الرائعة التي حققها الانسان الخلاق . وهكذا تحول كل شيء الى التنظيم ولا أقول الى التصنع . وأصبح في وسع كل انسان أن يتكهن بصدق بما يكون عليه موقف الشابات المتوقع في أي ظرف من الظروف . ولم يكن من السهل على أي حال أن يصدق المرء ان كل هذا التجانس الذي بخلقه التنظيم

(١) ديفيد ريكاردو ( ١٧٧٢ - ١٨٢٣ ) عالم انجليزي اقتصادي . ولد في لندن عن أم هولندية من أصل يهودي . واشترك مع أبيه بعد ذلك في أعمال البورصة . وقد كرس ريكاردو الكثير من وقت فراغه للدراسات العلمية . وكان أحد مؤسسي جمعية لندن الجيولوجية . وقد وضع عددا من الكتب في الاقتصاد السياسي . وأهم كتبه « بحث في مبادئ الاقتصاد السياسي والصرائب » .

(٢) عصر الملكة فكتوريا في إنجلترا بين عامي ١٨٧٧ و ١٩٠١ .

الرسمي ، أصل في وجوده . فما زال العهد الفيكتوري ، هذا اذا سننا المضي في بحث هذا المال حتى النهاية ، يعيش في ظل حظير من التمسك ، بأنه كان عهد نفاق واصطناع . ومع ذلك فان هذا الكمال اللقائي الوجود الذي يمثلته العهد الفيكتوري . ما لان ليستطيع البقاء والحلود طويلا على ضوء المعايير الاساسيه ، ذلك لأن المذهب الانساني مذهب ماضل وجم النشاط . وكل ما حدث بعد انتهاء ذلك العهد هو بحطيم هذا الكمال الصوري ، أو الصورية الكاملة المتجانسة . وهذا يعني أن الانسان حطم حلقة الكمال محولا اياه الى قطع ممزقة مهسمة . ويبرز هذا الميل الى التفتيع والتجزئة ، في عدد من الحركات التي ظهرت في أوروبا المعاصرة . وما زال الركود الأسن الذي ظهر في العهد الفيكتوري ، والذي اسنم مذهب العودة الى التذير ، قائما في مجالات عدة . وكان التلهف على التحليل واضحا كل الموضوع في هذه المارة العابسة التي تنطق بها شفاه فوضوي دوستويفسكي (١) وكان الداء الذي استشرى في الفلسفات المختلفة الانواع ، الرمز العاكس لفترة الركود والأسن . وليس من البضيلة في شيء أن يكثر المرء من النثرية والحديث السطحي عن المواضيع التي يعالجها بدلا من أن يتناول هذه المواضيع بالبحث والدرس العميقين . وشرع نقاد الأدب يغرقون أنفسهم في تحليل فلسفة النقد . وأصيب علماء اللاهوت بحمي فلسفة الدين . وأصبحت فلسفة الفن موضوعا متفوقا على الفن نفسه . وحتى الفلاسفة أنفسهم أخذوا يشغلون أنفسهم في بحث « فلسفة الفلسفة » عن طريق الحوار الأفلاطوني المعروف بدلا من المضي قدما في دراسات الفلسفة نفسها ، وقد وصلوا الى الذروة في تفكيرهم الرخيص هذا الذي أطلقوا عليه أسماء مختلفة منها الايجابية المنطقية والدلالة التوكيدية وقد تخلوا عندما وصلوا الى هذه النقطة عن الفلسفة كل التخلي ، لا سيما وقد ننكروا لاحتمالاتها بالسلوك الذي سلوكه ، وذلك لانهم رأوا في الفلسفة شكلا من أشكال معاجم الاقتراحات ، التي تختلف عن معاجم الكلمات . وتحقق الجمود في الأدب في صورة العواطف الباكية التي وردت على السنة الشعراء من أمثال تنيسون . أما في الفن فقد تحقق الجمود فيما في الفن التأثري من ميوعة ممتعة ومن اسنرخاء يشبه ما يترأى في الاحلام . وكانت التأثيرية في الفن تمثل الدور الذي أداه

(١) مندور ميخائيلوفيتش دوستويفسكي ( ١٨٢٢ - ١٨٨١ ) ، أحد كبار البارزين في الادب الروسي ومن أكبر رجال القصة في العالم في القرن التاسع عشر . ولد في موسكو من والد يعمل في الطب . أصيب بعاهات في صباه ظل يشكو منها طيلة حياته . من أهم كتبه « الجرمه والعقاب » و « المجذوب » و « أخوة كرامازوف » وغيرها .



موزارت في الموسيقى • وغدت تجزئته روبرتورد (Rutherford) (١) للذرة أمرا يبطى على ساء من الكهن بالعب • وقد ألمح بيكاسو في الفن الى النظرية الذرية ، عندما قام بتجزئة الجسم البشرى ، تم أعاد تجميعه ثانية وكأنه كان يعيش في كابوس من كوابيس امبيدوكليس (Empedocles) (٢) فمن مزايا التركيب أن يحل الهدوء والدعة ، اللذين لا يستطيع التحليل أن يخلفهما • واحصت في عصر التحليل الذى حلف العهد الفيكثورى جميع مظاهر الدعة والهدوء والرزانة • وأطل ازعاج الموسيقى العصرية فى شكل استغلال فاجر لما فى النشاز من مضايقة • وتخلى التصوير الأدبى الرائع عن موافعه ليحل محله شعر البخار وشعر « الحردة » المعدنية • وتخلى كاتبو الماريخ عن الشمول ليحل محله ميل نامير الى الاصطفائية •

ولم يغير الوضع بالنسبة الى الرجل نفسه • فلقد قام فرويد (Freud) (٣) بتجزئته الى ثنف وأجزاء ، مكتشفاً فيه شيئاً غير الصلصال الذى نفع فيه الله من روحه ليفقدو بشرى سوياء وأعلن أنه لا يعدو أن يكون تداخلا من العناصر المنطبعة بطبائع لاذنية • وتحول الدفع والتعمد فى نظريات فرويد النفسية الى القياس العقلى الفائم بين السبب والنتيجة • ولعل وجه التباين بينه وبين بوج (Jung) (٤) ، لا يفوم بصدد الطريقة

(١) اللورد ايرنست روثر فورد - ١٨٧١ - ١٩٣٧ : ولد في براينودتر في زيلندة الجديدة ودرس في جامعة كمبريدج حيث عمل في حقل البحث العلمى ، ثم أصبح استاذاً لعلم الطبعة التجريى في الجامعة نفسها • وكان من رواد البحوث العلمية في الفيزياء الذرية ، وقد تمكن فى عام ١٩٣٢ من تجزئة الذرة • وكانت له مكانة علمية بارزة •

(٢) امبيدوكليس - الفيلسوف الاغريقى ، وكان مشرعاً وشاعراً وكاهناً عالماً من كهنة صقلية • ولد حوالى عام ٤٩٠ قبل الميلاد • اشتهر بتحليله العالم الى العناصر الاربعة وهى النار والهواء والارض والماء مصوراً النار بأنها مصدر الحياة • وأن العناصر الثلاثة الاخرى هى أسس المادة • وتفوم نظريته على هذا الاساس وعلى وجود عنصرين آخرين هما الحب والكراهية •

(٣) سيحmond فرويد - ١٨٥٦ - ١٩٣٩ • أستاذ علم الاعصاب في جامعة فيينا واشتهر امره ، بأنه رائد من رواد علم التحليل النفسى • ولد في مدينة فرايبورج في مورافيا في السادس من مايو ودرس في جامعة فيينا • وكانت أول نتائج دراساته ، القول بإمكان معالجة الجنون المعادى بالشخص والتحليل النفسيين عن طريق الابخاء • وكان أول من قال بتفسير الاحلام على اعتبار أنها أعمال من العقل الباطن أثناء الليل عندماتغدو الادارة مشلوله ، وتتوقف الوعية عن العمل • وكان أول من قال بأن جميع حالات العصاب ناجمة عن الكبت الجنسي ، وأن الشهوات الجنسية تتوالد مع الانسان منذ مجيئه الى الحياة • لقيت نظرياته معارضة شديدة في حياته •

(٤) كارل جوستاف يونج - ١٨٧٥ ، عالم نفسى سويسرى واخصائى في الطب النفسى • ولد في كيسويل وتعاون مع فرويد في تطوير نظرية فرويد في التحليل النفسى ، ولكنهما اختلفا في الراى ووقعت القطيعة بينهما ، أسس معهداً للطب النفسى في زوريخ • من أهم كتبه « اسهام في الطب النفسى » و « الرجل المعاصر يبحث عن روحه » و « نفسه الدين » و « الفكر الروحى الحديث » •

التي يجزأ فيها الإنسان الى عناصره وانما في الطريقة التي أعيد تشكيله فيها من عناصره المختلعة وقد ابتكر يونج بدلا من « لا شخصية » فرويد ، سجما يصمم العفارية الذين يتفقدون الشر دائما ويعرض هذا الاحتمال من النذير ، احتمالا مزدوجا بالنسبة الى الانسان بعد أن تم نفيه الى عناصره الاولى . وفي الامتياز اطلاق اسمي « الجوهرية » و « العلميه » على هذين الاحتمالين ، لا سيما وأبهما في الخفيعة من احتمالات البناء ، ويتعلقان بطبيعة الانسان وجوهره . ولا ريب في أن طريقه يوضح في التحليل هي التي أوجدت هذين الاحتمالين ، وقد تكون الوجودية من الطراز الذي ابتكره سارتر (Sartre) (١) هي التي مصت في ايضاح هذين الاحتمالين . ونقول وجهة النظر « الجوهرية » للانسان أن هناك عنصرا دائما في بنى البشر لا يمكن رده أو نقضه ، وهو الأساس في البشرية كلها . ويرى وجوديو سارتر هذا العنصر الذي لا يرد في قدرة الانسان المزعومة على العمل كلية بدون دفع أو تفكير . ويرى المرء هذا الطراز من التفكير أيضا في كتاب « الشياطين » لدوسنوفسكي . وإذا ما نظر المرء الى هذا الموضوع دون أى تحيز ، بات من حقه في أن يشك في إمكان هذا العمل وفي أن يعتمد بأن وجودية سارتر منطقى على أن أهم ما في الانسان هو لا معقوليته . وينبع الحث على التعلق بهذه النظرية من الاعتراف الفابل للنقض ، وهو أن الحرية لا يمكن نهرسها أو اضاحها .

ولعل أهم نتيجة لهذا الايمان ، هو أن يغدو الانسان العاقل ، عبدا رقيقا لعقله ، وبذلك تغدو متابعة الاعمال المعقولة ونفعيها مملة لأداة العبودية بدلا من أن تمثل الحرية المتنورة . ولكن اذا كانت حياره العمل جزءا من طبيعتنا . فان هذا العقل لا يستطيع اسعبدانا ، إذ أن طبيعتنا أعجز من أن نستبدلنا ، لعدم وجود أية وشائج بيننا وبين هذه الطبيعة قابلة للتخطيط . فحيث لا وجود للوشائج ، لا يكون هناك أى اسبعداد . ومع ذلك يتطلب وجود الاعمال العقلية شكلا من أشكال التصميم الصحيح . ويعتمد امكان التخطيط والوصول الى النتائج على ما في التصميم من واقعية وعلى وجود أوضاع كافية للحوادث العرضية .

وتجسد النظرية السارترية على صعيد آداب السلوك تقسافة «النظر» وهي تؤدي في حقول السياسة والاقتصاد وغيرها من ميادين

(١) جان بول سارتر - ١٩٠٥ - روائي فرنسي وفيلسوف وكاتب مسرحي ولد في باريس من والد يعمل ضابطا في البحرية . تخرج في الجامعة في عام ١٩٢٩ . اشترك في الحرب الكونية الثانية وأسره الألمان . مؤسس نظرية الوجودية ، التي انتشرت بين الشباب اليائسين بعد انتهاء الحرب . وترجمت قصصه الى مختلف اللغات من أشهر كتبه « الخطايا » و « أعمدة الحرية » و « الاشتراكية والحرية » .

اسباط الرسمى الى القوصى فى أسوأ الحالات ، بينما يؤدى فى أحسن الحالات الى الفردية السياسيه والاقتصاديه الى عرصها جون ستيوارت مل (1806 - 1873) . وقد سميل الى التقليل من قوه فبصه الحكومه على السعرب . وهى تؤدى الى تفسيح العقافه ، واتأكد على الفردية وعلى الطرف فى جميع مجالاهما . وانى لارى سحصيا أن السعافه هى الحياة التى يسسرك السعرب فى عيسها . ومن الواصح أن النظرة « الجوهرية » للاساسيه التى تعرضها وجوده ساربر ، لا يمدن أن سسجم مع بطرنى الى السعافه ، وهى السطره التى أنا على اسنعداد للدفاع عنها . لدن هذا اسعارس يجب الا يكون مصدرا من مصادر الاله والسعافه ، اد مهمما يلغ عجز السعافه عن العمل ، فانها على الافل تكبح جماح الفردية . لا سطر الفكره السارترية نظره ود الى أية محاولة لكبح جماح السفردية ومن هسا لا سنفق السارترية مع العمل السكاملى للسعافه .

ولما كاتب فكرتى مجرد محاولة لاضعاء الصبغة الروحانية على الطبيعة الانسانية وهى الطبيعة التى سطر اليها وجودية ساربر نظره جوهرية . فان هناك اراء جوهرية بديلة ، أقل سافصا من نظره سارتر مع وجهة سطرى فى السعافه . ولا ريب فى أن فكرة حتمية العمل بالسسية الى الوضع الاساسى تؤلف وجهة سطر جوهرية فى الطبيعة الانسانية ولمد اخيلف الآراء الجوهرية نفسها من عصر الى عصر . ومن حفية الى أخرى . وفى وسع المرء أن يسسول ان هذه الآراء هى التى سطر كل حقبه من الحقب بطابعها الخاص بها . وفى عصر ثراء المنطق الاغريقى ، عندما كانت القسوة الدافعة الى السعيم . قد اكسشعت فى عهد طاليس (Thales) (٦) ليسير على نهجها حلفاؤه ، وفى العهد الذى سكر فيه الناس فى دلنا السيل للقواعد العملية المنزمتة ، منحولين عنها الى النظريات والادلة ، فان السسباط السديد للسعل بات مؤثرا كل التأثير سواء من ناحية زرايهه بالحدود والسبود أو من ناحية ما حققه من انصصارات

---

(١) جون ستيوارت مل ( ١٨٠٦ - ١٨٧٣ ) فىلسوف بريطانى وعالم من علماء الاقتصاد كان والده جيمس مل أشهر من أدخ من الهند . درس دراسة خاصة على يد والده وأصبح موطعا فى شركة الهند . بشر بمذهب السقية . وكان مؤسسا لجمعيتها . من أشهر مؤلفاته «مبادئ الاقتصاد السياسى» و «مشكلة الارص فى ارلنده» . كان من دعاء حرية الفكر والقول .

- المغرب -

(٢) طاليس ( حوالى ٦٠٠ قبل الميلاد ) فىلسوف أغريقى كان رئيسيا للحكام السسعة ولد فى ميليتس . وقد علم أن الماء هو العنصر الاساسى الذى سنع منه كاة العناصر الاخرى . ومن الواصح أنه اسسند الكثر من علوم المصرين ومن حضارة وادى الرافدين وقد عرف به مكتشف الهندسة الاطلاقية التجريدية .

- المغرب -

وأصبح التعريف السائع للانسان بأنه حيوان عاقل ، وجميع السعاريف فى الواقع «جوهريه» فى أمرها ، اد أنها تعرف أشياء تعتبرها حتمية لا عنى عنها . وفد أدت جميع المميزات الخاصة التى أدخلها الأغريق على سنواهدهم العقلية عن الانسان ، الى مجزات رائعة فى حقول العلم ، والانسانيات ، و علم الأحياء والرياضة والمنطق والفلسفة والأدب والنظريات السياسية . وكانت مجزاتهم النقنية أيضا عظيمة للغاية . وقد أدى تألقهم فى القضايا الفكرية الى الإصرار على شىء من الدقة فى الصاايا العملية ، جعلت علومهم الهندسية فى مكانة كبيرة . وكان هذا التأنى أيضا عاملا صخما فى السمو بأدواقهم فى الفنون المنظورية وطل فنهم فى السحت والعمارة مسيطرا على نحت أوروبا وعمارتها حتى بداية عهد الإحلال الحديث . ولما كان العقل الانسانى هو الأساس فى كل هذا . اد أنه برز فى كل معرف صدر عنهم بالانسان ، فان عنايتهم كانت شديدة ، فى أن ينموا أفكارهم هذه الى أكبر حد ممكن . وقد سهل عليهم ذلك أن يجعلوا من نقابهم شعبا متكاملا كل التكامل . والعقل شىء يشترك الجميع فى حيازه . وفد تم تطويره على أسس مشتركة نركز على نظريه ربوية تابعة عن تفكير عميق ، ومنسجمة بالنالى كل الانسجام مع ملك الأساس لكن ثعافهم - أى الأغريق ، واجهبها أكبر ما يهددها من أخطار . اذ لما كان العقل خاضعا لنظرية التطور ، فقد كان من الطبيعى بالنسبة الى أفلاطون (١) أن يفترض أن منحة العقل هى أساس المجتمع والنفاة ، وأن أصحاب العقول الكبيرة يجب أن يكونوا الاوصياء على هذه المنحة . وقد عرض ديكارت (Descartes) (٢) ، صورة بديلة عندما أصر على أن العقل ملكية صورية لا ملموسة للانسان ، ولهذا فلا يمكن أن تتباين درجاته تباينا كبيرا . وقد أدى فشل أفلاطون فى تنفيذ نظريته السياسية القائلة بديكتاتورية المثقفين ، الى الانتصار الفورى للديموقراطية الاثينية . وقد مكن هذا الانتصار أهل أثينا من إنتاج تلك الظاهرة فى طراز نسبى من القول ومن الوحدة التى تبذل الجهود فى تحقيقها . ومع هذا فان الاعتماد على العقل كظاهرة مميزة للانسان ، ليس الا احدى الطرق التى تمكن الثقافة من أن تغدو عاملا

(١) الفيلسوف الأغريقى المشهور الذى لا يحتاح الى تعريف .

(٢) ريبه ديكارت ١٥٩٦ - ١٦٥٠ فيلسوف فرنسي ولد فى تورين ودروس عنده الإباء اليسوعيين . عمل فى جيش بافاريا ثم استقر فى باريس ثم عاد الى الإقامة فى هولندا وماب فى ستوكهولم عاصمة السويد التى ارتحل اليها فى آخر سنة من حياته . يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة ، اول من دعا الى الايمان بالحسوس ليس الا وتحكيم العقل . من أشهر كتبه « مبادئ فلسفية » و« آلتفكير فى مبادئ الفلسفة » .

تكامل . ويبيع فشل وجودية سارتر في الهام مثل هذه الثقافة من الحقيقة المجردة وهي انها نقيم طبيعة الانسان على أساس اللامعقولية .

لكن اللامعقولية لا تحصص للفلسوف الغيبي أو التنبؤي ، ولهدا فلا يمكن أن تكون طبيعة التكامل . فعدد احتمالات الانعكاسات العقلية محدودة في جميع الحالات والأوضاع . وعلى هذا الأساس يمكن التنبؤ بانعكاس أى رجل عاقل لأى حالة أو حافز . أما عندما يكون الانسان فائد العقل فان احتمالات انعكاساته لنفس الوضع أو الحالة ، تكون غير محدودة . ولا يمكن الا لخيال هذا الرجل أن يحدد انعكاساته بصورة أساسية ، ومن هنا تنبع نظرية سارتر الوجودية في أن الثقافة يجب أن تكون كابحة ، وبالتالي شيئاً لا يطاق . وهي نرى أن مهمة الثقافة تحديد فرص الانسان في أن يكون فرداً . لانها تدعو الى الاندماج والتكامل عن طريق تنسيق مجالات الانعكاس وتحديدتها .

ولعل من اصدق الأمثلة على الآراء الجوهرية التى ولدت ثقافة الاندماج والتكامل . النظرة الى الرجل على أنه العياس لكل شئ . أو النظرة اليه كحيوان سياسى أو كحيوان اقتصادى . وحار أرسطو (١) ، بين أن يعامل الانسان كحيوان عاقل أو كحيوان سياسى . وقرر أخيراً ، ازالة هذه الحيرة النظرية التى يعانى منها عن طريق الجمع بين النظريتين . أى عن طريق القول بأن الانسان من الناحية العملية ، حيوان سياسى ، ولكن هذا الانسان وجد نفسه مرغماً بعفلائيته على البحث عن النظرية السياسية الوحيدة المعقولة وهي النظرية السياسية الديمقراطية . وقد سيطرت نظرية الانسان حيوان سياسى تمام السيطرة على جميع أولئك المفكرين النظريين الذين جعلوا من فرضية « الحق الطبيعى » محور فلسفاتهم السياسية . ويعتبر لوك (Locke) (٢) وروسو (Rousseau) (٣) ،

---

(١) أرسطو ، الفيلسوف الاغريقى الكبير وهو أشهر من أن يعرف .

(٢) جون لوك ( ١٦٣٢ - ١٧٠٤ ) فيلسوف انجليزى مشهور . ولد في سومرست ، درس في جامعة أوكسفورد ثم أصبح أستاذاً فيها ، فسكرتيراً للورد شافنسبرى . وعندما تولى هذا رئاسة الوزارة عين وزيراً للتجارة . وعندما سقط اللورد من الحكم ارتحل لوك الى مونبلييه في فرنسا حيث مكث على الدرس والتعمق . وغرق بعد ذلك في الدوامات السياسية ليحد نفسه أخيراً لاجئاً في هولنده في عام ١٦٨٣ . وضع مؤلفات عدة منها « رسالة عن التسامح » و « اطروحة من الفهم الانسانى » و « آراء في التربية » و « عقلائية المسيحية » وكان من المعارضين للثمت العقائدى .

- العرب -

(٣) جان حاك روسو ( ١٧١٢ - ١٧٧٨ ) كاتب وفيلسوف فرنسي كبير . ولد في جيف من أب ساعى ، لم يتلق دراسة منظمة ولم يتعد صفوف مدرسة القرية التى ولد فيها . عمل مساعداً عند نحات كان يسيء معاملته كل الاساءة . فر الى سافوى =

حير مسلسل على هؤلاء . اما الرأى الذى سرح فى السيطرة على العرب  
والشرق على حد سواء اليوم ، فهو أن الاسان حيوان اقتصادى . وجميع  
هذه الآراء « جوهريه » الاساس ، وهى بوند بنافى بداميه معبونه .  
ومن المدوع ان بطل النظره الاقتصاديه للانسان . مسيطره على الغرب  
والشرق امدا طويلا .

ومع كل هذا فان النظره « الجوهريه » للانسان ليست بالنسكل  
الوحيد الممحد للرأى العادر على بؤيد الناحيه السامليه من النعافه .  
ولا يصاح هذا القول اذى من الواجب النطلع قليلا الى الطراز الاخر من  
المعدير ، وهو الطراز العلمى . فهناك أوجه مفارقة كبيره بين هذين  
الرأين . فهناك نواح يكون فيها النظره العلميه للانسان جوهريه ايضا .  
فهى جوهريه من ناحيه تافهه واحده على الافل . وهى أنها تقول بشئ  
من الزرايه ، أن الانسان قادر - قدره أساسيه على كشف الغيب والنبؤ .  
لكن هذا الرأى لا يعتبر « جوهريا » من الوجهه النظرية الطريفة . والمهم  
من الناحيه النظرية هو أن الاسان يحمل طبعا للرأى الجوهري ، العدره  
الفائله بأن طبيعه الاسان لا تنعير بغيرا أساسيا فى أية ناحيه مهمه .  
ولعل هذا الرأى هو الذى يرفصه الفكرة العلميه عن الانسان رفضا بانا .  
وليست الفكرة العلميه واحده ، ولكنها طراز من النعكير . اذ أن الحسابات  
العلميه قد يخلف أيضا فى العناصر التى يحلل الاسان بموجيها .  
ولا ريب فى أن الجامع لهذه الفكر وهو أمر فى منتهى الاهميه بالنسبه  
للسفاه ، هو القول بإمكان ببدل الطبيعه الانسانيه ، وإمكان المكهن  
بالانعكاسات البشريه بصورة كامله وكذلك بإمكان راسم مخططها .  
وليس نمه من شك أيضا فى وضوح الفوائد التى يمكن أن تحصى من  
هذه الاحتمالات كلها . وقد أفادت صناعه الاعلان وأساليب التسويق  
الآخري فائده عظيمه منها . ولا يمكن للمرء أيضا أن يتجاهل الاهميه  
المحتمله لها بالنسبه الى النظريات السياسيه والتطبيقات السياسيه أيضا .  
فلو أمكن على سبيل المثال تخطيط الانعكاسات الانسانيه ، لأفام هذا  
الإمكان عقبات فى طريق الديموقراطيه التى تعيش من الناحيه العقائديه  
على أساس الرضى الشعبى . ومن الواضح أن هذه النتيجة للنظرية  
العلميه للطبيعه الانسانيه ، التى تجعلها خاضعة للتحقيقات على صعيد  
اللاشخصيه واللاتقديرة ، والتى تجعلها قادرة على التخطيط وتقبل

---

= حيث عاش فى رمايه « السيدة دى دارين » ، التى ادخلته مدرسه اللاهوت فى تورين .  
وعندما سافر من المدرسه تعرف الى السيدة ابينى التى باتت من أعز صديقاته . بدأ  
اسمه فى الروز عندما بلغ الساعه والثلاثين ، من أهم ماتركه كتاب « العقد الانحماى »  
و « رساله عن الحضارة » و « جولى - أوهلوار الجديدة » و « اميل » .

- المسرب -

النبدل ، نربط ارتباطا مباشرا مع الساحة المكاملة للثقافة ، ولا سيما أن الثقافة هنا تعبر عن الحقيقة ، طريقه واحدة من طرف التعبير عن الانعكاسات المتجاسسه انى يحتملها التخطيط والوجيه . ويعتمد الطرينه العلميه على التحليل وعلى الصفتيه به على السيطره على الجزئيات والمعيرات المحارة . وعرض هذه الطريقه امكان بجميع العناصر المختلفه انى يوصل اليها التحليل بمختلف الطرق والوسائل . وهى عرض أيصب مجموعه من الخطوط العريضه للتركيب على اعتبار أن كل خط منها تعبر عن مصلحة كانه وقد بنيت مدينه اسبارطة (الاعريهيه) مثلا النظرة العلميه للانسان وحملت ثقافة تسيطر عليها المصالح العسكريه أو الاستفزازية وليس ثمة من ثغافين أكثر بيايا ونافصا من ثغافين ايبا واسبارطة ، فلقد كانت احدهما حرساء بينما كانت الثانية ذات جلبه وضوضاء . وعبر عن المصلحة الكامه فى التركيب فى كل ما يعبر بابا أو ما يعبر قابلا للبدل .

ونقسم النظرتان « الجوهرية » والعلمية الثقافيتين اللتين جاء بهما س . بى . سنو (Snow) اذ يميل الذبن يدرسون الانسانيات بصورة طبيعيه الى النظرة الجوهرية بينما يميل الذبن يدرسون العلوم بصورة طبيعيه أيضا الى النظرة العلميه . ولعل السبيل الامثل للتوفيق بينهما هو أن نبحث فى هذين الطرازين من الآراء كمسكلتين اسميتين لغة .

وقد يحتاج الاهتمام الى الساحة المكاملة فى الثقافة الى بعض الايضاح . فهناك أربعة أمور على الأقل تخللها الثقافة ، ويسير كل منها الى أنها أداة من أدوات التكامل والاندماج . فالمجتمع فى حاجة الى درجة من التنظيم . والنظرة التفتيشية له مضافة على صعيد هذا الايضاح ، اذ لا يمكن بأى حال من الاحوال أن يطلو اسم المجتمع على أمة مجموعه من الرجال الذين لا كابت لهم . والذين يعيشون فى مجرد « تجميع » يتميز بالفقر والشقاء والوحشية والافتقار الى كل شئ ، وأجواء الخوف والفرع . ولا يمكن ايجاد أى عقد اجتماعى أو الوصول اليه دون وجود لغة مشتركة ، ولا يمكن الوصول الى هذه اللغة المشتركة التى هى السبيل الوحيد للتواصل ، فى مجموعة بسلك كل انسان فيها سلوك من يحس بأنه مختص بنفسه ليس الا ، ولا نربط له مع أى قريب .

وهناك من الناحية العامة رأيان فى موضوع ما يمكن أن يشكل الاساس فى تنظيم أى مجتمع من المجتمعات . ويتلاقى هذان الرأيان على أى حال فى تباينهما ، مع النباين العائم بين النظريتين الجوهرية والعلمية . اذ يمكن اعتبار المجتمع قائما اما على نظام من الحقوق أو على نظام من الواجبات . وعندما يعتبر المجتمع قائما على الحقوق ، يصبح فى

وسع المرء أن ينفع مذهباً من الحقوى الطبيعية يخلق مع الفرد ، ولا يمكن فصله عنه . ويرتكز هذا الرأى فى العادة على الفلسفة أو الدين أو عليهما معا . فلقد رأى جون لوك مثلاً ، أن الانسان اذا مزج شيئاً من «النعميم» مع الجهود التى يبذلها جسمه هو ، فانه يخلق ملكية تحصل طابع الاشتراك . ومن الواجب فهم الملكية هنا على أنها تعنى الحق الوحيد فى الافادة ، وتركز فكرة لوك على الخصائص الفردية للأنوية (أنا) . وفى وسعنا شرح هذه الخصائص بالنمرين التالى . فلو فمت مثلاً بحك مؤخرة رأسى ، وبحديثك أن تفعل ما فعله أنا ، فأنك تواجه أحد احتمالين ، أستطيع أن أنير فى وجهها الاعراضات اللازمة ، فلو حككت مؤخره رأسك ، أمكننى أن أغالطك بأننى حككت مؤخره رأسى ، وأنك حككت مؤخرة رأسك . أما اذا حككت مؤخرة رأسى أنا ، فان فى وسعى الادعاء بأننى حككت رأسى ، وأنك حككت رأس انسان آخر . وهكذا أصبح الطريق ممهداً أمام لوك للقول بأن الشخص المتكلم (أنا) ، فريد فى نوعه وأن أنا تعنى « أنا » ، ليس الا ، وان خصائصها لا تتبدل ولا تتغير ، ولا يمكن للاعراب عن طريق الحول من صفة المتكلم الى الصفة المفصولة أو السافطة ، أن يؤبر على هذا الوضع فالوظائف التى يقوم بها جسدى ، حتى ولو كانت وظائف ناسلية ، هى وظائف خاصة بجسدى ولا يمكن أن يشترك فيها أحد . وكل من يقيم نظريته فى الملكية الخاصة على هذا الاساس من التمييز بشخص المتكلم ، ينفذ بلا وعى نظرية المجتمع القائم على الحقوق . ويغدو المجتمع منفكاً ، كما يغدو غير جوهرى فى هذه الحالة بالنسبة الى الوضع الانسانى القائم فى ذلك المجتمع . وتغدو مهمة الحكومة فى مسئل هذا الوضع ، التوفيق الى حد كبير بين الحقوق المتعارضة والدفاع عنها . ويعنى هذا أن يبدأ مصور هذا الوضع بجون لوك وأن ينهى بجون ستبوارت ميل ، أو يبدأ بجان جاك روسو ، وينتهى بشكل من أشكال الوجودية السياسية .

أما اذا كان المجتمع يعتبر من الناحية الاخرى قائماً على مجموعة منظمة من الواجبات فان مهمة الحكومة تغدو والحالة هذه الى حد كبير ، حل التناقضات بين الواجبات اذ أن هذه الواجبات شأنها فى ذلك شأن الحقوق تثير التناقضات من نفسها . ويؤدى بناء المجتمع على أساس شبكة من الواجبات فوراً الى زوال تفتنه وتذربره . والفروق بين الواجبات والحقوق كأساس للمجتمع ، على الرغم من طبيعتها النظرية هى فى الواقع قضية عملية تتعلق بطرز المنظمات أو الانظمة التى يمكن اعتبارها مقبولة . وليست قضية الخيار بين الانظمة ، مسألة نظرية مجردة ، بل أنها تنطوى على مزيج اضافى عملى أيضاً . اذ أنها فى النهاية خيار بين الحلول العملية البديلة ، وعندما يكون حل وضع ينطوى على بعض



النعيم فائما على نظريات وأفكار عامة عن طبيعة المجتمع ، فان هذا الحل ، لا يفهم نفسه بين المشاكل . وعندما يعرض الحل عرضا كافيا ، فان هذه المشاكل نعرف بوجود عدة حلول نظرية ممكنة . ولكن الحل المعين الذى يفهم الدليل على نجاحه ، يعتمد على الدوكيد الذى يعطى لنواح بفاعيه معينه . فالراى الغربى فى المجتمع مثلا ، يؤكد حقوقا معينة تعبر مقدمات لتنظيم المجتمع . ولكن يجب أن ينضح بأن فائمة المقدمات هذه قد تختلف باختلاف نوع الاساس الذى يفرح المرء اقامة المجتمع عليه . فعندما يحدد الواجب بأنه يهدف الى حمايه الحقوق ، تصبح حقوق الملكية الخاصة ، أمرا أساسيا فى ذلك المجتمع . ويحتتم على النظم التى سن لاقامة هذا المجتمع ، أن بولى هذا الامر الاساسى كل الاعتبار والاهمية . أما عندما لا يحدد الواجب بأنه يهدف الى اسباب الامر بين الحقوق وحمايتها ، أى عندما لا تكون صيانة الحقوق هى سبب الوجود بالنسبة الى الواجب . فان الوجود فى هذا المجتمع أو الحياة فيه ، يغدوان الامر الاساسى بالنسبة الى الوضع الانسانى وبغدر المجتمع بداية لا بد منها أو مقدمة للحقوق ، بدلا من أن تكون الحقوق مقدمة للمجتمع .

ولكن سواء أعبر المجتمع فائما على أساس الحقوق أو على أساس الواجبات ، فان من الواضح كل الودوح أن هناك شطرا كبيرا من حياة السعب ، يقوم خارج تدخل الحكومة وأعمالها أو على الاصح خارج نطاق العناية الحكومية . وكل ما تفعله الحكومة على صعيد حياة الأفراد هو أن تضع الحدود على مجالات عمل الفرد . أما بالنسبة الى منطلقات عمله الحر ، فان جل ما نستطيع الحكومه أن نفعله ، هو توجيه بعض الطافات المعينة ، وارسادها فى مجالات العمل . وتودى الحكومة هذا الواجب فى الغالب ، فى تأكيدها صيانة فرص الاختيار هذه وايساحها اذ أن كل حكومة تستطيع عن طريق البرامج التعليمية مثلا تحديد فرص معينة أما فى الجهاز الحكومى أو فى الصناعة ، أو فى مهنة التعليم نفسها . ولكن لما كان تدخل الدولة المباشر ، مهما كانت هذه الدولة واعية وذات أهداف واضحة ، لا يستطيع أن يسملى أكثر من جزء محدود من أعمال الفرد الممكنة ، فان من اللازم اللاب ، أن لا يصبح العمل الفردى فى أى مجتمع ، متقلبا كل التقلب ، أو غريبا كل الغرابة اذا اراد العائمون به من الافراد ، العيش فى اطار ذلك المجتمع . ويعتمد امكان تدخل الدولة نفسه ، على تعاون الافراد ، ويتطلب هذا التعاون وحدة معفولة فى الهدف بينهم . فالمعروف أن كل فرد يعتمد فى معاشه وحياته ، على احتمال الآخرين ونعاونهم ، ولكن كلما ضعف شعور الآخرين الطبيعى بأن هذا الرجل ، يعتمد فى بقائه على احتمالهم الخاص

وتعاونهم ، كلما صغفت قدرتهم على المضى بهذا التعاون وهذا الاحتمال .  
وليست الثقافة الا أداة لظهار هذا التعاون والاحتمال بمظهر النقي .  
الطبيعي . ويعتمد نجاحها على المدى الذى يسمح لها فيه بأن تكون قادرة  
على انبات صحنها وصدقها وعلى الرغم من أنها تسمح بمناقشات ذاتية  
وداخلية المحتوى ، وعلى الرغم من أنها تنمو وتنغذى على هذه المناقشات ،  
فإن مبادئ الافرار فى هذه المناقشات هى من خلق الثقافة نفسها .  
وتستطيع الثقافة عن طريق توحيد الشعب فى عقائده ومبادئه العامة ،  
أو على الأقل عن طريق التسامح مع بعض العقائد والاعمال والقيم ، أن  
تسد مع النظام ذلك الجزء الحياى الذى يقوم وراء حدود تدخل الدولة .

وتشأ ناحية ثانية للثقافة منصلة بالناحية السابقة من الطريقة  
التي سلا فيها ذلك الجزء الحياتى الخارج عن نطاق سلطة تدخل الدولة .  
وهي سلا ذلك الجزء بطريقة تضمن فى الوقت نفسه الاندماج فى  
المجتمع الذى يقوم فيه على أساس انعكاسات متسركة ، وأعمال  
متسركة ، ومصالح ومواف وفيه متسركة أيضا وهي تخلق القاعدة فى  
بلوره المصير المشترك وفى التعاون من أجل هذا المصير . وإذا ما نطلع  
المراء الى الغرب ، رأى أن هذا المجال للافادة من الثقافة قد تطور تطورا  
عظيما . ولعل الثقافة هى المعنية ، عندما يسمع المراء هناك واحدا يقول  
ان هذه العميدة أو تلك سنحطم طريقة الحياه ، وأن من الواجب الحفاظ  
على هذه الطريقة والدفاع عنها مهما كان الزمن الذى يقصصه هذا  
الدفاع وتطور هذه الناحية من الثقافة أيضا ، تطورا سريعا فى البلاد  
الاستراكية على سكل نداءات للضمير الاستراكي ، لتحطيم بعض المساوى  
الاجتماعية والعضاء عليها وبينها بالطبع ، الشعب والعريضة ، وقد يكون  
ما يقوله مجتمع ما عن نفسه هو عين ما يدعيه المجتمع الآخر لنفسه  
أيضا .

وهناك فائدة ثالثة للثقافة وهي ايضا احداث ابرازها .  
فالمشاكل القومية تنشأ على صعيد الازواج القومية . وهي تكتسب  
أهميتها منها ، وتتجهول الى الاتجاه النفدى فقط ، فى الأفق النوراني  
النقى الذى نصفه الثقافة السمولية عليها . ومن واجب أى حل فعال  
ودائم أن يستمد عناصره من الموارد القومية . ويحتاج المراء للغربلة  
والانتقاء والتحليل فى الازواج المعقدة الى فكرة أو مجموعة من الافكار  
المسيطر . وليست الثقافات الا السجل الصحيح لهذه الافكار والاساليب  
والمواقف ، والمصدر الصادق للجهد ، الذى يتفهمه الناس ، والذى  
يستطيعون مجاراته والعيش به . وللحدث نفسه أهمية تختلف باختلاف  
الاجواء الثقافية التى بقع فيها وكان المقدم على تحطيم مقعد العرش فى  
بريطانيا بلقى من العقاب فيها ، غير ما يلفاه مرتكب هذا العمل فى بلاد

الأساسى فى القرن التاسع عشر . فالأخير يلقي عصفوية الموت حنما ولا يمكن ايضاح الفرق فى صرامة العقاب الا بان هناك خلافا فى النظر الى هذا المعد فى كل من المعاصرين . ويؤلف التاريخ دائما الضوء الذى نلقيه الثقافة على الاحداث . ولا ريب فى أن قوة الثقافة المقرره هى التى تجعل النبوءات ممكنه فى التاريخ . وعندما يكون لسعب من السعوب عافه مشتركة ، فان الاهمية المعلقة على الاحداث يجد مقبلا كبيرا ، ويكور للسياسه التى تتحد لمواجهتها فرصه الصدق والوثوق . وقد تحصله المتل بين معاصرين محلمين - وادا كان فى الامكان تمييز المل عن الانظمة التى نضفى العفالية والتأثير عليها ، فعندما تشترك ثقافتان فى الاهداف والمثل المشتركة ، فان الانظمة التى يعبر عن هذه المل ، قد تختلف عر بعضها تمام الاختلاف . وقد لا تكون العلفة بين الانظمة والمل متساويه وعندما تكون الانظمة مؤثرة فعالة فان السبب فى تشابهها لا يتمثل فى أنها تعبر عن مثل معينة ودافع عنها . ويعتمد نجاح الانظمة على الأوضاع والمعطيات المحلية ، ولما كانت هذه الأوضاع والمعطيات تتبدل بدلا بارزا فان النظريات السياسية توصى بايجاد تعديلات فى الانظمة القائمة ، ولا ريب فى أن الحاجة الى التبدل فى الانظمة هى فى حد ذاتها تعبير عر الحاجة الى الحفاظ على المل . ولا ريب فى أن أفريقيا وآسيا قادرتان عر تعليم أوروبا درسا وأفهامها أن فى الامكان خدمة نفس المل بأنظمة مختلفة ، وان الانظمة والحالة هذه اصطلاحية عرفية . ويحسر هذا الادراك أيضا ، عن أن النظريات السياسية بالنسبة الى تعاملها مع الانظمة نسبية أيضا . ويجب ألا تفتصر فى أية حالة من الاحوال ، مكسبة طابع الشمول فى تطبيقها .

ونتخلص الناحية الرابعة من فوائد الثقافة فى السيطرة على البدر . وليست هذه الناحية الا ديلا أو نتيجة للناحية الثالثة السابقة ، فليس به من شك فى أن عمليات التصنيع مثلا تخلق البديل المعافى ، اذ أنه تؤدى الى الانفعال الى حياة المدن والى هجرة العمال الجماعية من الارياف الى الحواضر ، وكذلك الى تفتيت هذه العلاقات الصامته التى تربط الأسر والعشائر فى الحياض الريفية ، وهى تمبل الى الاسنعاضة عن الاحساس بالجماعة بالشعور بالفردية ، ذلك لأن قوى الفرد فى الأوضاع المدنية تنعرض دائما للابهاط فى حمل المسئوليات ، وبكون النجاح والتفدير فيها فردى الطابع . وتنشأ فى هذه الأوضاع مشاكل جديدة تتعلق بقضاء أوقات الفراغ ، وذلك بالنسبة الى الجدة فى وضع هذه الاوقات . وتتحكم قوة الثقافة فى المدى الذى تستطيع فيه قوى التجزئه والتفتيت العثور على منطلقاتها الحرة والناجحة فى هذه الأوضاع . وفى امكاننا لبحث هذه الناحية الرابعة من نواحي الثقافة أن نفكر فى الثقافة

كسئء ذئ ثلاثه أوجه ، وهى الوجه المادئ وشمل أنظمه الملكيه والتفنئه ، والوجه التنظمى وشمل العادات والتقاليد وكذلك يشمل بصورة واضحة الانظمه السياسيه والاجتماعيه ، وأخيرا الوجه السيمى ويضم مواعد السلوك والدين والادب والهن الى الحد الذى تضم فيه هذه الآمال والاحكام والوجه المادى للثقافه هو الذى يتعرض اليوم الى أكثر نواحى التبدل شدة . فقد وجدت حواشى وديول الحياه الصناعيه ، كالسيارات مثلا وغيرها من السلع الاستهلاكيه ، مواعد نابتة لها فى حياه المجتمعات الافريقيه التى لم يجر تصنيعها بأى حال من الاحوال . وليست كماليات هذه الثقافه الماديه فى افريقيا ثمرة من موار التصنيع ، كما هى فى أى مكان آخر ، وانما هى مدمات له ، وان كانت بعض تطبيقاته الفنيه كالمواصلات مثلا والى حد أول ، الاساج ، قد انقلب الى هناك فى السنوات الماضيه . ولكن من المميد النافع أن ننجرى ما اذا كان هذا السمء وذلك التبدل فى العافه الماديه فى افريقيا قد مس ثقافتى القيم والتنظيم فيها . فهل توسعت الثقافه الماديه دون أى مساس بأى من الوجهين الآخرين للثقافه ؟ واذا كانت الناحيتان الاخريان قد شهدتا سينا من التعديل ، أو شيئا من الانقار والعدم فى الوقت الذى توسعت فيه الناحيه الماديه ، ألا يكون ذلك نتيجه بعض الارتباطات الداخليه ، أو أنها مجرد نمره لسياسه « دح الامور تجرى كما تشاء » . وقد نسعر نحراننا فى هذا الصءء عن العنور على الحميه الوافعه وهى أن الناحيين الآخرين للثقافه قد تأثرتا تأثرا مؤلما فى افريقيا فى نفس الوقت الذى أءعنت فيه الثقافه الماديه للاغراءات والغوايات الغربيه فلقد طرا على النظم الاجتماعيه تبدل كبير للغاية ، وأصحت الفروق الطبقيه أكثر ميوعه مما كانت عليه من قبل ، وأصحت الثوره الاجتماعيه أكثر قوه وانءاعا . ويبدو أن هذا كان نتيجه امتءاء الثقافه الماديه فى كل مكان ، ولا سيما عندما يكون هذا التمدء ثمرة التصنيع . وقد أصبحت المكانه والرتبه مرتبطتين بحيازه مهارات معينه أو بالتمتع بالحد الأدنى من الثراء . ولم تعد نصب المكانه والطبقيه ، هى عن ما كانت عليه فى الماضى . فقد برزت الى السطح جماعات من التجار ، الذين أضحوا ذوى أثر كبير فى مجتمعهم عن طريق ما يستطيعون التصرف به ، بحيث لم تعد ثمة من حاجه الى البحث عن أصولهم لأءراجهم فى قائمه أفراد الطبقة العاليه . وقد خلق النظام التعليمى الذى حاء مع التمدء فى الثقافه مجموعات من الافراء لم يكن فى وسع الحكم الاستعمارى الاستغناء عنهم وقد اعتبروا فى الفتره التى عقبى الاستقلال . على صله بالمصادر الجءءءه للسلطان . وهناك ثغره واسعه بن هذه الجماعات وبن الجماهر الشعبيه التى ما زالت تعمل فى الزراعه أو فى مهن لا تحتاج الى الخبرات الفنيه أو التى تحتاج الى شبه خبره فنيه ، وبزء من اتساعها النسبى الافتقار الى

طبعة وسطى يصل بينها . وقد بايت نتيجة هذه التطورات جماعات لا عد لها ولا حصر من الافراد الذين كانوا يعتبرون وفق التمايلد السابقة من أبناء الطبقة العمالية ، عربية على هذه الطبقة . ولا مكان لها فيها ولكن المعاييس التقليدية لم تعد والحالة هذه ميتة لا وجود لها ، بل غدت حية وحديثة أيضا ، لأن سبعين في المائة من افريقيا ، ما زالت تعيش على بعاليدها . ولا ريب في أن هذا يعتبر مقياسا للفرق بين المدن والقرى ، فالصهوة الجديدة من الناس تحتشد في المدن ، بينما تواصل الصهوة القديمة العيش فيما يمكن اعنباره في المعايير القومية نرعا من التجديد المؤحل في القرى . ومن الحتمى أن تزداد الفروق بين المدن والقرى في المراحل المبكرة من التصنيع . اذ أن العملية الصناعية يجب أن تكون في هذه المراحل ، انتقائية منزمتة ، ولدا تبدو عيوب الكويز الاجتماعي واصحه كل الوضوح في المدن . ويتم في هذه الفترة تصريف عدد كبير من أبناء القرى ، لينتقلوا كعمال مهاجرين الى المدن . وما لم يجر تطوير المواصلات على شكل تعبيد طرق جيدة تربط القرى بالمدن ، بسرعة بالغة ، فان القرى نفسها ستصاب بالهزال والحرمان حتى من ذلك الاسعاش النسبي الذى ينشأ من حركة المرور الدائمة في المواصلات السريانية للبلاد ومن المحمل حقا على أى حال أن يؤدى النظام التقليدى لتصنيف الناس في طبقات الى جد ما الى النلطيف من حدة الفروق والنغرات الطبقة أو الى تعديلها أو ايمانها ، وذلك بالنسبة الى الفرص الجديدة التى أتاحتها الظروف المتبدلة . لكن هذا يعتمد على التعليم الثقافى أكثر من الاعتماد على أى شىء آخر . وفى وسع المرء على أى حال أن يقول ان الانظمة الطبقة التقليدية فى افريقيا ، لم تترك أرا مدمرا على العلاقات الاجتماعية كالانتر الذى خلفته فى الغرب والشرق معا وسأنولى شرح هذه القضية بالتفصيل فى الفصل البالى . ولذا اكتمى الآن بالقول بأن فى وسع الانسان أن يتجنب عن طريق التبر فى الجمع بين الاضداد ، بعض الوجود فى الشهوات والتطرفات التى غدت مترابطة مع التمدد غير المنتظم فى الثقافة المادية فى أوروبا ، وليس للصراع الطبقة فى مثل هذه الاوضاع أى معنى على صعيد الثقافة الافريقية . ولم تتوافر حتى الآن الاوضاع التى يمكن اعتبارها معطيات تؤدى الى خلق هذا الصراع .

وقد يقال أن توسع الثقافة المادية قد ساعد على الحركة الاجتماعية وعلى السهولة النسبية فى التنقل من طبقة الى أخرى . وهناك منطق أيضا فى القول بأن النظام التقليدى فى التصنيف الطبقة يسمح بالتحرك الاجتماعى . واذا كانت الطبقات ترتبط بالسلطان والزعامات التى تقرها ، فان النظام التقليدى الذى يقرر هذه الطبقات يصبح عرضة

للتحرك الاجتماعي . ولعل من الأصح أن يقال على أى حال أنه على صعيد النظام التقليدى ، كانت الطبقات تعنى من ناحية التصنيف ، أوصافا معينة ولا تنطوى على أية معان خاصة من ناحية العمل والسلطان والسلطة . وفى هذه الحالة ، لم يكن النظام يسمح بأى تحرك أو انفعال من طيفه الى أخرى . فالانسان يولد منمنيا الى طبقه معينة ثم ينسأ فيها ويموت فيها أيضا . وتبدو أوروبا وكأنها تسير فى هذا الطريق اليوم . فالانتماء الى الطبقة النبيلة فى أوروبا لا يبدو اليوم وكأنه يعنى أى معنى خاص من ناحيه العمل أو السلطان أو السلطة . ولقد كان النظام الاوربى التقليدى يسمح حتى بانفعال العبيد الى مرتبة الزعامة ، وذلك بالنسبة الى مدى ارتباط العمل والسلطان والسلطة بالاختصاصات . أما حيث ينعدم الاختصاص فان طبقة المرء تضمن له التقدم والاسبقية ولا سيما فى الاحتفالات والمهرجانات والفضايا المماثلة . أما حيث توجد الاختصاصات كالفراشه السياسية والحكمة ، فليس ثمه أية أسبقية مرتبطة بحق الابن البكر فى الوراثه عن أبيه . وكان فى وسع أى عمد يقبم الدليل على واسع حكمه وغزير معرفته فى سياسة شسئون مجتمعه ، أن يحل مركز الزعامة والسلطان دون الحاجة الى أية نورة أو انقلاب .

وتلقى نظام الاسرة أيضا هزات قاسية كذلك ، ولم تعد هناك فى كثير من الحالات تلك الوشائج العائلية الوثيقة التى كانت قائمة فى الماضى . وقد ضيقت المسؤوليات الآن استحابه للضغوط الاقتصادية . ولاريب فى أن النظام التقليدى للقيمة يرفض مثل هذا الطراز من الاستجابة . وعندما يسأل انسان ضمن اطار القيم التقليدية عما اذا كان جنسه للمال قد بلغ حدا يغدو فيه على استعداد لرؤية أقاربه يموتون جوعا يقع المسئول تحت الانطباع بأن هذا السؤال الذى وجه اليه لا يعدو أن يكون قضية بيانية مجردة . لكن المستوى الجديد للحياة النابع من الزيادة فى الاستهلاك الناتج عن التمدد فى الثقافة المادية لا يسمح بأن تنقلب كل وجبة طعام الى وليمة تطعم فيها أفواه لا عد لها ولا حصر . وهكذا تعرضت قيمة ثمينة من القيم لخطر التهلكة والزوال . وأصبح مغرضا الى التفتيت والتدبر ، بالنسبة الى ما لحق بالالتزامات المترابطة مع هذه القيمة . وأخذت الاسرة تنحدر باستمرار الى الحيز الضيق الذى يشمل ربها وزوجته وأطفاله لبس الا .

ولحق الصعف أيضا بنظام الزعامة القبلية . فلقد حلت الدولة محل القبيلة فى أفريقيا كوحدة اجتماعية . وبانت أراضى أية دولة أوسع بكثير من أراضى أية قبيلة من القبائل . ولا ريب فى أن هذا التبدل يؤدى بالطبع الى التأثير على نظام المشيخة القبلية . ولم يعد شيوخ المشايخ ، زعماء مستقلين ذوى سيادة ، اذ أنهم يجلدون أنفسهم مرغمين على التراط ضمن

اطار المجالس الافليمه مع غيرهم من جيرانهم التسويح . ولا ريب فى ان هذا الرباط ، هو فى حد ذاته احساس بالوحده القوميہ . ويسير معه جنباً الى جنب ، وعلى الصعيد المعادى اسفال مسمر من ولاء المواطنين من سلطان الى اخر بين التسويح . وكانت الحركات العماليه وحدها هى التى اصعبت وبصورة فعالة ، السلطان الذى كان السيخ البقليدى يسمع به على ابناء قبيلته . وأدى بوفقه عن أن يكون صاحب السيادة، وعن أن يكون صاحب الحول والطول ومصدر القرارات السياسية على أى حال ، ار بوفف أفراد سعبه بسرعة عن التطلع اليه طلباً للتوجيه والارشاد وتحول الى شخصية اجتماعية أكثر منه شخصية سياسية ، ولم يعد حتى لمظاهر النبالة التى كانت تمت اليه فى الماضى أى وجود فى هذا الوضع الحفيض الذى آل اليه . ولم تعد للشيوخ فى هذه الايام حتى مكانة المواطن المنار وعندما يطل فجر التصنيع اطلالة شاملة على أفريقيا ، لن يبق فى وسع أية قبيلة ، أو لن يسمح لها أيضاً بتأمين العدد الضخم من العمال الذى تتطلبه عمليات التصنيع . فمن الضرورى القضاء على جزء من السلطات التقليدية التى يتمتع بها الشيوخ من ذوى ما يشبه السيادة ، وذلك لتحرير العدد اللازم من العمال لمشاريع التصنيع الضخمة ويسود الميل فى الجماعات الضخمة من الناس الى اضعاف أساس النجمعات القبلية والشيوخ ، أما فى الجماعات الأصغر ، فإن الميل يتجه الى تحويل هذه الجماعات الى تجمعات أصغر وأقل تأثيراً على شكل نواد وغيرها من الجمعيات . ولما كان قسط كبر من الثقافة فى افريقيا فى الوقت نفسه مترابطة مع التجمعات القبلية ، فإن الثقافة سرعان ما تجد نفسها مضطرة الى التمسك بقانون البقاء ، والى ابتكار أنظمة جديدة تضم بعض النواحي الأكثر قدماً . والتى تتضمنها الثقافة فى طبقاتها ولا ريب فى أن هذا الوضع هو اختبار للقيم نفسها .

وما زال وجه القيم للثقافة قادراً كل القدرة على فرض عيوبها ومحطورات على الوجهين المادى والتنظيمى للثقافة . ولقد أوضح نسام الايضاح أن لكل مرحلة من مراحل حياة الانسان ، صورتها الخاصة بها، وأن هذه الصورة تحدد ما يجب أن يكون عليه الانسان ، كما تحدد ما يصلح له . وعندما تكون الفكرة عن الانسان الذى نجرى اختبارنا عليه ، هى أن الانسان حيوان اقتصادى لا تعود هناك حاجة أو مرر ، فى الهبوط بالمصالح الانسانية الاخرى الى مرتبة المصلحة الاقتصادية . ولكن مع هذا ، تظل الرغبة فى التطور ، وفى ارضاء المصلحة الاقتصادية جزءاً من وجه القيمة لثقافة الشعب الذى ينتمى اليه هذا الانسان . أما عندما لا ينظر الى الانسان كحيوان اقتصادى قبل كل شئ ، فإن هذه الرغبة تصبح جزءاً لا يتجزأ من وجه القيمة للثقافة . والمذهب الشائع

فى الغرب اليوم وفى أجزاء كبيرة من الشرق أيضا ، هو أن الاسـسان  
حيوان اقتصادى ، ولكن الغرب والشرق ، يقفان موقف التناقض فى أنظمتـهما  
المنافسة لـلسـفـة هذا المذهب الاقتصادى الذى يقيم الثقافة على ضوء ما  
يمرض أن هذا التعريف ينادى به ويشجعه • وتثمر المساهدات العقلية  
فى الغرب نظريات رأسمالية بينما تـمر فى الشرق نظريات ماركسية •  
ويقف كل طرف على استعداد للدفاع عن مطابقة مساهدته العقلية  
للحقيقة ، وعن مذهبـه الاقتصادى الخاص به ، وعن رأيه فى طريقة  
تطبيقه بصورة خاصة •

وفى الامكان العـور على هذا الترابط بين الوجوه السـلالة للمناهـة  
فى كل مكان • وفى وسع المرء أن يشرح هذا الرباط على النحو المالى •  
عـما سـسـعير احدى السـافات بعض سـاليبها فى التطبيق السـاعى  
ونظميـها من ثقافة أخرى • فان فى وسع المرء أن ينوق ، أنه بالنسبة  
الى أهمية هذه الاستعارات والافتـاسات فى قالبـها الجديد ، فان فى  
الامكان السيطرة عليها ومزجها بعناصر ثقافية أخرى • حتى ولو كانت  
هذه العناصر تحمل شكل الاسرار التى يباح بها على موائد السـاى • وقد  
يحدث حتما أن تكون هذه السلع المستعارة محاطة فى أماكنـها الاصـلية  
بمثل وموافف ووشائج وأعراف انسانية ، تتمثل فى تصاميم العمارة  
والبناء ، والتعويضات وطرز السيطرة على العمال وأساليب هذه  
السيطرة • والعلاقات بين أصحاب الاعمال ومديرـها وبين المستخدمين ،  
وموافف العمال من العمل ، وأن تتكرر كل هذه فى الوضع الجديد •  
وحتى لو صح هذا تماما ، فان المسـعـرين يحسون أيضا بالألم الحـدى  
من رؤية أنظمتهم وطرائقهم قد زالت لتجـل محلها هذه الانظمة والطرائق  
الجديدة • وقد يعزى هذا أحيانا الى الرأى الخاطى رغم طبيعته بأن  
الانظمة الجديدة لا تستطيع أن تحقق نفس الاهداف التى كتب عنها  
الكثير ، أو لان مسـعـريها لا تحفزهم اليها نفس الدوافع والمثل العقائدية •  
ولكن على الرغم مما فى هذا الرأى من خطأ وأحيانا ، فان الفرصة  
فى الصـحة متـاحة له من الحقيقة المجردة ، وهى أنه رأى طبيعى •  
ولا ريب فى أن بروز هذا الاحتمال ، هو ثمرة للتأثير التفجـرى الهدام  
الذى تنركه الثقافة المادية على وجه القيم فى الثقافة وقد بؤدى أيضا  
احتمال تشـع بعض النظم والطرائق المعنية بالعناصر الثقافية التى تمت  
الى السـب الذى أستعيرت منه واقتبست ، الى تعذر تأثيرها تأثيرا كافيا فى  
عملية نقل بسـطة محدودة ، كزرع هذه النظم والطرائق المقتبسة من أرض  
أخرى ، وقد يصـبـح من الضرورى فى بعض الحالات ، القيام بعملية على  
شكل نطـعـم كامل وتعتمد السهولة التى تتم فيها عملية التطعيم فى ثقافة



جديدة على مدى غرابة الثقافة هذه عن الثقافة التي نقل الطعم منها وذلك على صعيد نواحي القيم فيها .

واجد نفسى قادرا بعد رسم هذه الصورة السريعة للقوى الاندماجية الموجودة فى الساحة ، على العسوده الى اسدلين احنلعيلى فى المطره الى الانسان فعلى الرغم من وجود مهجرين فى امان سارس فى العرب فان النظرة السائدة فيه ، والنسبى بلعى قبولا اكبر ابيوم ، هى النظرة العلميه وهى النى نفضى بأن كل ما يعمده الانسان من اساحيه اسطريه لا يمكن ان يسير الدهسه أو الاسنعراب ، اذ أن فى الامدن بوفعه على اسس علميه صحيحه ، ونظهر هذه النظرة بوصوح فى معالجه بعض الاضرار ، كانهرة الفائلة بأن الديموقراطيه ظاهره اجتماعيه مجردة ، وهى الفسكرة التى عالجهها كتاب حديث عنوانه « الرجل السياسى » لمؤلفه مارتن ليبسييت . وقد سبى لى أن أشرت فى هذا الكتاب الى أن التحليل العلمى للانسان يعرض صوراً محتلفة وبديلة للتركيب الاسمانى ، نعرض فيه كل صورة من هذه الصور لسيطرة مصلحة متسلطة معينة . والشئ الوحيد الذى لا يستطيع التحليل العلمى أن يجاريه ، هو الطاقة الظاهرة التى يملكها الخيار أو القرار على الرغبات الكامنة ، ونسير كل صورة من صور التركيب جنباً الى جنب مع ثقافة تناسبها وتعتبر جزءاً ممماً لها . فالتركيب الفائم على أساس الافتراض بأن الانسان حيوان اقتصادى ، يسير جنباً الى جنب مع الثقافة التى نملك نزعات ملحوظة نحو الاستهلاك ونحو النظرة المادية الى الامور. ولعل هذه الحقيقة نضع الترفق والغرب فى صف واحد ، على الرغم من الهمهمات الضعيفه أو المحمومة التى تصصدر عن الغرب فى غالب الاحايين عن وجود الله والروح ، دون ان تحمل هذه الهمهمات الا نادراً طابع الجد فى القول . ولقد فىل ان الغرب يقضى أوقاته فى حى التحليل المجسورة ، دون أن يقطع شوطاً بعيداً فى اعادة تركيب العناصر التى يتألف منها الانسان . واذا ما قورن هذا التركيب المقبول كلية للانسان بالدولة الفردوسية التى صورت بريطانيا العهد الفيكتورى فيها ، فان الاعمال الراهنة التى يغرق الرجل الاقتصادى نفسه فيها تعكس تصميمها على التمتع بالطيبات الموجودة فى هذا العالم . مع انتظار ما نأتى به الآخرة من طيبات أخرى ، ويختلف الشرق عن الغرب تمام الاختلاف فى نظراته الى الفردوس . وقد تكون صورة هذا الفردوس متشابهة عند الفريقين ، لكن الخلاف يتمثل فى أن الشرق يرى أنه يقىم الآن صورة طبق الاصل عن هذا الفردوس . فى بلاده لارضاء شعوبه .

ولكن ترى ماذا يتحتم على افريقيا التى لا تنتمى الى الغرب ولا الى الشرق أن تفعل ؟ ففسد يكون من الجنون المطبق على أقل تقدير ، ومن

البراحى الى حد كبير أن تكفى بقليد الشرق أو الغرب تقليدا أعمى ، وأن نغدو مجرد نقطة على البوصلة تتجه الى الشمس فى عبادتها وانباع سيرها ، فى طرق ودروب ، لا تدع الثقافات الافريقية على حالها ، ودون أن تهتم بما هو غالب على هاتين الثقافتين الاجنبيتين من صور ، أو دون أن تكلف نفسها عناء نفهم ما فى هاتين الثقافتين من حيل وخفايا ومر أسس عملية أيضا • ولا يؤدي هذا الوضع الا الى حالات من النقيض العنيف والمنقطع ، كما حدث فى سنغافورة تماما حيث غدت الحكومة فريسة سهلة للنال لمخالب الحملات الصليبية الخلقية الرجعية والداعنة الى التزمت فى التطهر ( السيورتيانية ) • وهما تمثل معضلة من معضلات السياسة •

ولقد جرت فرة صياح الاستقلال فى افريقيا المستقلة حديثا فى ذيلها اجراءات معية لاعادة تثقيف الشعوب الافريقية • كان من حسن طالع هذه الشعوب أنها لم تكمل ولم تستوف أعراضها • وكانت هذه الفترة نفسها عهد تجمد فى الار والمعالية للثقافات الافريقية • بل عهد نفتيت بفاى ، وانعدام فى الهدف لان المصادر الجديدة المربية للسلطات ، ومنايع البت والفرار ، باتت مبتوتة الصلة بالثقافات المحلية • وقد عسى هذا الوضع فى المناطق التى لم تكن فيها القوى الجديدة قريبة من الثقافات المحلية ، شيئا من العداء الخفى لها ، وباتت الهوية بين حياه المدن وحياة الارياف كبيرة كاملة ، وكان وجود هذه الهوية عاملا كافيا فى منع عملية اعادة التثقيف من الاستمرار والوسع • ولكن يجب أن نضيف الى هذا حقيقة أخرى ، وهى أن عملية اعادة التثقيف لم تكن تهدف الى خير افريقيا • وانما كانت موجهة لتحقيق أهداف أوروبا وحاجاتها • فالمثقفون الافريقيون الذين نجحوا فى حياتهم نجاحا شخصيا ، كانوا موجهين بوجهها كاملا الى الحد الذى ربطوا فيه أنفسهم بالثقافة الجديده والغربية عنهم • وكثيرا ما يعبر المرء على جمعيات نسوية أشبه ما تكون بأعشاش الغربان نحظر لوائجها الداخلية وأنظمتها على السيدات الافريقيات التحدث بلغاتهن الافريقية وارتداء الملابس الافريقية التقليدية • وكانت النظرة الى الخلاص والى الرقى تتمثل فى جهد دائب وان لم يكتمل لسر العادات والارباء الاوربية بين الافريقين ، وكان هذا كله نمرة القرب من الثقافة الاوربية الجديدة • وكان هذا أفل غرابة على أى حال وأقل ضررا وأذى ، فى أماكن كسمال نيجيريا حيث عملت العفائد الاسلامية العميقة على الابقاء على الظواهر الارسنقراطية المنمزة • وهو

موقف فهمه المستعمرون البريطانيون في أفريقيا في القرن التاسع عشر .  
واستساغوا وجوده (١)

ومن الاهمية بمكان كبير هنا أن يؤكد الطبيعة التقليدية لأفريقيا .  
ومن واجبنا أن نحسب أن سبعين في المائة من إفريقيا المسجلة . تعيش  
على نعاليتها ولم تستترك هذه الاغلبية الكبيرة في فترة ضياع الاستقلال .  
في ثقافة تحمل مكانة ايجابية بنسبة في تخطيط السياسات أو في  
طبقتها . ولهذا فقد عجزت هذه الاغلبية الكبيرة عن الشعور بأنها مستركة  
فيما يدور حولها من أحداث . ولهذا فعندما تحولت الزعامة الى الافارقة  
كان من السهل على ما يحسون به من مساعر عميقة من الضياع ومن خيبة  
الامل ، أن يطفو على السطح ، وأن تظهر بارزة للعيان . وبأن من الطبيعي  
أن تتوالى الاسئلة عن هذا الرجل الابيض الذي «يرشدنا عما يجب أن نفعله،  
وما يجب ألا نفعله ، ومن أن نخدمه أو لا نخدمه ، وعما هو خير لنا  
أو شر لنا » ترى هل هذا الابيض واحد ما ؟ وقد جاء هذا الطراز من  
النسائل في فترات من القلق الاجتماعي والسياسي المنقطع ، حتى في  
وقت مبكر . أي منذ مستهل القرن التاسع عشر ولقد طغى الشعور  
القومي على أفريقيا في الوقت الذي عمت فيه المشاعر القومية  
أوروبا . لم تكن الحركة القومية في أفريقيا ، كما ينوهم الكثيرون من  
الاوروبيين حتى الآن ، هبة مستحدثة من الهبات التي أنعم القرن  
العشرون عليها بها . ولا ريب في أن هذا الطراز من التفكير أو من  
الوهم . ليس الا سبيحة الفشل في ادراك حقيقة ما حدث ، أو في تميز  
الانسان لم وجه الضربة اليه . فقد نقبل القول بأن المرء قد لا يرى  
الضربة توجه اليه . أما الفشل في تمييز موجهها ، حتى بعد أن يتلقى  
الانسان الضربة نفسها ، فأمر يفضح وجود نقص في التقدير الصحيح  
عند المضروب . وظهرت استعادة الاستقلال السياسي بسرعة كشرط  
أساسي من شروط إعادة توطيد اقدام الثقافة الواضحة في مفاهيمها ،  
والتي نتج الافارقة على تعلمها ورؤيتها مطبقة . وما الثقافة الا أداة ذلك  
الاندماج المشطور الذي يعتبر أساسا في التدرج القومي ، وكانت الظاهرة  
الطبيعية الكبرى التي طبعت القرن العشرين بطابعها في أفريقيا هي  
ظهور عدد كبير من الاحزاب السياسية العظيمة حقا . ولعل ظهور حزب  
مؤتمر الشعب وهو الحزب الحاكم في غانا ، وهو أول تعبير قوي صادق

---

(١) أعتقد أن الحقيقة قد حاست المؤلف تماما هنا فكل متعمق في دراسة الاسلام  
يدرك معنى الادراك انه دين ديموقراطي . لا أرسنقراطي كما يقول المؤلف فلا فصل لاسنان  
على آخر إلا بالتقوى ، ولا سلطان لأحد وإنما الامر شورى . وإذا كانت بعض مظاهر  
الطبقية قد دخلت ، فاما كان دخولها ثمرة العادات والتقاليد ولائها لاصول الاسلام  
بها .  
- العرب -

عن اعتبار الحفاظ على الاستقلال السياسى شرطاً أساسياً لا غنى عنه  
لاستيفاء الوجود نفسه ، وبلورة ثقافة اسسـعـب الدايـه لتتـلامـع مع  
عمليات التحول العومى . ويتـوـن التنسـابـه فى الـايـان الشفـايـة ، العروـة  
الوئـى التى بوحد السـعـب ، حنى عـنـدما يسـير الـآخـى السـياسـى على  
خطوط من الاصول العريفة البشرية ، أو الاصول سبـه العريفة فعندما  
تتوحد الجماعات المنسابة عرفياً ، او المتعاربة أصلاً . فى تنظيم سياسى  
منسرك ، يصـبـح نسـابـه الـهـداف قـوة تدعو الى التماسك ، وان لم يصـبـح  
قوة حاسمة تمام الحسم . وكثيراً ما يسمع المرء بين الفينة والفينة أن  
الكفاح ضد السيطرة الاجنبية هو وحده الذى يوحد بين الحركات الوطنية  
والقومية فى افريقيا . وان هذه الوحدة تبعاً لذلك ، موقوتة محدودة .  
ويؤدى هذا القول بنفرد الدور الذى يؤديه الكفاح ضد الحكم الاجنبى ،  
بالمـرء الى توفـع نسـوب المنازعات بين الاحزاب السياسية الافريقية حالما  
يتحقق الاستقلال . ولكن هذا التوفـع ، لم يقـع فعـلاً وبصورة عامة  
فلم تتحطم الوحدة فى الاحزاب الوطنية الصادفة فى أفريقيا . ولم  
تتهشم كما لم تتحطم فى الهند بعد حصولها على الاستقلال وعلى المرء أن  
يستدير باهتمامه الى العناصر المجزأة التى تقوم فى الثقافات المتلاصقة  
فى وجودها . ففى الكونغو مثلاً ، حيث يملك أفراد قبيلة البالوبا  
فلسفة واضحة جلية ، قادرة على أن تحفظ ثقافتهم قوية متماسكة فى  
وجه الجماعات التى تحيط بهم ، أدت هذه القبيلة دوراً يعتبر على الرغم  
من انفصاليته بالنسبة الى الكونغو ، وحدوها بالنسبة الى القبيلة نفسها .  
وهناك رباط واضح بين المناطق ذات الثقافات الاقليمية وبين الحكومات  
المحلية أو الاقليمية .

وأود هنا أن أصدر النفاة على أنها البيان الساحر الآخذ بمجامع  
القلوب الذى يروج للاهداف السياسية ، وانى لأشك فى أن هذه الصورة  
كانت من اكتشافات حزب المحافظين فى بريطانيا ، ومن المحتمل أن تكون  
الاداة الرئيسية التى استخدمها هذا الحزب فى كبح جماح حزب العمال  
ومنع من الانتشار . ويملك حزب العمال هذا على صعيد النسبة العددية  
للسكان فى بريطانيا اليوم ، أكبر التأييد عند جماهير الشعب ، ويبدو  
أن شطراً كبيراً من هذا التأييد يصطدم بهذه الصورة نفسها بينما يتولى  
المحافظون مقود الحكم والسلطان ، ويستخدمونه كمصدر من مصادر  
زحفهم الاقتصادى . اذ فى وسع كل انسان أن يحدد سلفاً المكان الذى  
تقف الى جانبه عواطف حزب العمال المعارض فى أى نزاع صناعى فى  
البلاد . ويوجد حزب العمال نفسه مضوراً على شكل عقائدية جماعية ،  
ترسمها الحملات الضخمة على الثقافة المادية التى تشنها الصحافة  
والتلفزة والوكالات الاعلانية بشىء من الحرية والانطلاق على الحزب بتشجيع

من المحافظين • وفى وسع حوافر عناية حزب العمال بالنقابة اليوم ، أن يدون محاوله اصفاء توجيه أو لون جديد على الاغراق الراهن فى النقابه الجماعية ، بحيث لا ينظر الى معجزات النقابة على أنها مجرد الافتراح لا يصلح حزب المحافظين الى الحكم ومحاولة استخلاص النمار من حكومته •

ولما كانت غالبية السكان فى بلادنا الأفريقية لا يزال تقليدية فى 'وضاعتها وحياتها فان ساستنا ورجال دولنا يجدون أمامهم سبيلا واصحا للحيسار بين طريقتين • اما أن يطلوا غرباء عن شعوبهم تماما كما كانت الحكومة الاستعمارية السابقة غريبة عن هذه الشعوب ، وأن يكملوا عملية اعادة التنقيف التى شرع الاستعمار فيها ، وأن يستعوضوا عن النكافات الافريقية التقليدية بنقابة فعالة جديدة لا تملك لها جذورا فى قارنا ، أو أن يعرصوا المشاكل ، ويحددوا المل والأهداف القومية نحيديا معهم ، على ضوء الثقافات الافريقية ومعاييرها • وهى الثقافات التى كانت ولا تزال سائدة بصورة فعالة وفوية •

وتكون البلاد المسفله حديثا من الناحية النقابية • منرعة بالغيات المهنسة وفى أمس الحاجة الى رنق الخيوط النقابية المقطعة • وقد تكون المشاكل الكامنة فى عمليه روى هذه الخيوط واحدة بالنسبة الى جميع الدول التى استقلت حديثا • ولكن تحديد العملية تحديدا خاصا بالنسبة الى كل بلد من هذه البلاد يجب أن يجاب مع الميول والنزعات النقابية • ومن الواجب وفاء بأعراض الحماسة فى عمليات اعادة البناء التابعة عن التصميم والاراده بعميق بعض الصور الثقافية المعنية ونشرها واستعتمد أساليب التعليم الثقافى نفسه ، بما فى صميمها طريقة المناقشة الحرة ، وعلى المستوى والمدى اللذين يصل اليهما وعى هذه الثقافات التى استقلت من غمدها لتنتشر ونعم •

وقد أقر ساسة أفريقيا ورجال الحكم فيها ، فى خطبهم العلنية وتصريحاتهم بالصلة القائمة بين الثقافات الأفريقية وعمليات اعادة البناء • وهم يبدون فى انصرافهم الى ابراز الشخصية الأفريقية وكانهم يعتنفون الرأى القائل بأن المبادئ الموجهة لمستقبل أفريقيا ستكون تلك التى أبنت تجارب أفريقيا وثقافتها صحتها • وهم ينظرون الى التقدم وأهدافه وإلى بعض طرائقه وسيلة أيضا ، على صعيد الصورة التى يرسمونها للشخصية الأفريقية ، ومن هنا يتضح أن ثقافات الشعوب الأفريقية نفسها ، هى التى ستقرر أيا من أوجه الحضارتين الغربية والشرق أوسطية ، هى التى سيحافظ عليها ، وأيا منها سيتعرض للتعدبل والتبلور ، وأيا منها سيهمل وي طرح جانبا • ولا تكون هذه المجالات الاختيارية عرضبة الطابع أو مفتقرة الى المبرر والمسبب ، بل انهىا تكون حتما وبوضوح مرتكزة ارتكازا صريحا الى تلك التلورات الصامتة التى تقوم شرايين وجودها فى

برات النسب نفسه . ويطلب الاعتراف بصحة الشخصية الأفريقية تلك المجموعة المركبة من الأفكار والمواقف التي تملك خاصية التسابه والبرور حتى في السافات الأفريقية المختلفة في بل ما عداها من أوجه ، العسر فوراً على الجسم الصالح من هذه الأفكار والمواقف المتشابهة والبارزة لا يوا، ما يقترحه من هذه الحصارا العربية عا ، وأن نجد عن طريق التشخيص والمواجهة بوضوح ما بعده وصـوح ، ما نحن في حاجة الى اقراصه واقتباسه وامكان دمج ما نعنيه في نفاضا وكذلك أن نعر حقا على ما قد لا يضيرنا لو نبذناه من أجراء نفاطنا الخاصة .

ولا يرعب المرء في الوقت نفسه ، أن يكون نفاطات أفريقية التقليدية متزمتة وصيقة في افافها بحيث تعرض القيود على مستقبلنا . ولعل ابر ما يضمن الأهمية على نفاطنا التقليدية هي الحقيقة الواقعة . وهي ان نفاطنا عصرية الطابع أيضا . ولكن الى جانب هذه النفاطات تقوم الان بعض العناصر الغربية النفاية التي هضمناها . وبعض العناصر التي ل نهضمها ، وكذلك بعض العناصر الثقافية الشرق أوسطية ، المرابطة مع الدين الاسلامي، الذي وجد في العارة الأفريقية أرضا خصبة كل الخصوبة والنظرة المهمة في الثقافة ، التي جعلناها محور حديثي حتى الآن هو أباها منيع التضامن ، ومصدر التوحيد بين المذاهب الميكانيكية المعقدة ، وبين الرموز والشعارات وعفائد التكامل الاجتماعي ، والمت المنزرك لشيء واحد، أو بكلمة أخرى ، هي الوجود الحى للأمة نفسها . وتتطلب عمليات البناء القومي ألا تقف مشاعر الولاء الشديدة الضيق ، كالولاءات القبلية مثلا ، موقفا عدائيا شديدا من هذه العمليات والعناصر الثقافية التي سبى لى ذكرها قائمة في جميع البلاد الأفريقية ، ويجب أن يحسب حسابها في أية عملية تركيب جديدة . واذا كان الله هو الذى خلق الانسان فانه لم يخلق معه وفي نفس الوقت النفاة الخاصة به . فالنفاة ليست خاصة عضوية حياتية تولد مع الانسان . وانما هي من خلق الانسان نفسه . وتعتمد محتوباتها على جميع الصعدان وفي جميع الأوقات على الميول العفليه وغيرها من الأوضاع السائدة .

وقد جرت المحاولات منذ أمد ما لتصوير افريقيا على أنها أرض خام، أو لوحة بيضاء صالحة لانطباع أية نفاطات عليها . ويقال ان جميع الشعوب السوداء ، مدينة بتنظيماتها الادارية وأديانها والكثير من ثقافتها المادية الى مصادر لا زنجية ، وعالبا ما تكون مصادر مصربة قديمة . وقد بدأ بعض علماء الأحاس البشرية دراساتهم من هذه الفرضية على اعتبار انها مقدمة في الوقت الذى يجب أن تعبر نتيجة لا مقدمة ، ولهذا فقد وجدوا كل ما يبرر لهم انهاهم في دراسة التاريخ الافريقى . ويبدو أن هذا الانهماك يركز على رأيين يحملهما بعضهم . وأول هذين الرأيين

قت اللى قامت فيه القارات الأخرى بصاعه التاريخ وبلورته ،  
بقيا لا ترال مقلعة فى شكل من أشكال الحمأة التى لا تاريخ  
لم بدخل التاريخ الا منذ عهد قريب . ولقد أقحم عليها تاريخها  
ما الرأى المانى فهو ان افريقيا الأصلية ، افريقيا التى يعيش  
الغاب ، قريبة للعانة من الطبيعة المجردة حتى ان الانسان يرى  
الانسانية فى طفولها ، ويطلق علماء الأحناس البشرية الآن  
لنظام الذى يصعبه اسم العلم ، مع أن فرص التحررة غير  
م مطلقا . أما اذا اصرص المرء أن بمة تاريخا متسركا للآراء  
، فيها بى الانسان قاطبه فانه فى وضعه القارة الافريقية أمام  
لاخرى التى ارتفعت عاليا شجرة تاريخ الفكر والآراء،يجدبدبلا  
، التجربة ، أو نوعا من السمن النباتى « المرجرين » بدلا من  
قد لا تكون ثمة ضرورة للقول بأن علماء الأجاس الاكر دقه  
لا يرصون بهذا الوصع ولا يسهمون فيه ويعتبر علم الأحناس  
عند الشعوب التى لا تملك تراثا من التاريخ المكتوب ، اذ أنه  
اريخ ما قبل الكتابة ويكشف عن خياياه . أما ما يقوم به علم  
اجتماعى فهو أن يحلل الثقافة ويضع عناصرها الى جانب بعضها  
و فيها العناصر المهمة ، على درجة من الأهمية حقا . ويستطيع  
من العناية والاهتمام أن يوصح البدلات الداخلية التى تطرا  
، ولكنه لا يستطيع أن يضمن نتيجة تاريخية بالنسبة الى  
ثقافة المعنية نفسها . فالنتائج الساريخية بحاجة الى الأدلة  
نباتها وإقامة الدليل عليها .

ما ضرب المرء مثلا بمؤلف السيد ما يروفيتش عن قبائل الاكان  
سج له على الفور ، انها لم تحد ضرورة للاتيان بأية أدلة تاريخيه  
حتى لو اعبر المرء مؤلفها صرنا من صروب التاريخ الخيالى  
بان شعوره بالسحط على هذا المؤلف يستمر ويبقى .

قاربت المؤلفة بين أفكار الاكان عن حق الملوك الالهى وأظمهم  
سياسية والاجتماعية التى تربطونها بملك الافكار وبين الواحى  
فى عهود مصر القديمة المختلفة ، وتذرعت بهذه المقارنة ، ثم  
أن الآكايين يرجعون أفكارهم وأنظمتهم ، وحى تطيمانهم  
الكير من نفاقتهم المادية الى المصريين القدماء . وقد نكون هذه  
وطريقة ، ولكنها تقتصر الى كل ما يهم الدليل على صحتها  
، الساريخية . وهى لا تحاول محاولة حدية أن تقيم الدليل  
ة على أن الآكايين القدامى ، قد عاشوا فى يوم ما فى مصر  
فى مناطق عرف بصورة ثابتة ، أنها كانت فى الماضى واقعة  
ة المصريين القدامى . ولذا ما أخذ المرء مؤلفها على صعد التاريخ

الخيالي التكهني فانه يرى أن ما يطوى عليه من حديث عن الأفكار والأنظمة هو من قبيل التمار الفكرية لا من قبيل الحدس والتخمين . ولا ريب في أن هذه الأفكار كانت مهمة لقدامى المصريين بقدر أهميتها لسياسة البوتيكيمين ونظام حكمهم . وقد لا تكون من المعلومات العامة للمصريين القدامى بقدر أكثر مما كانت للأكانيين . فلقد دفنت هذه الأفكار والأنظمة في الحقيقة في أسرار الكتابات الهيروغليفية التي كان الكهنة يتولون حراستها والحفاظ عليها . وليس نمة من سك في أن أى شعب تمكن من الوصول الى هذه الأفكار المخبوءة بكل ما فيها من تفصيل ، على السجو الذى ذكره المؤلفة ، لابد وأن يكون قد امنس أيضا من الكتابة ، اذا لم يكن قد توصل اليه من قبل . ومن هنا يجوز لنا ابداء الاسف لأن المؤلفة لم تحاول أبدا ايضاح السبب فى جهل الأكانيين لنظام الكتابة وطريقها . ويمكن مقارنة الاقتباس المزعومة هنا بما يشعر به الغربيون من دين الحضارة القديمة واضحا فى اللغات الغربية ، واقتبس الغرب أيضا الدينية والنظريات الاجتماعية والسياسية والتنظيم . ولكن فى وسع المرء أن يلاحظ بأن الغرب لم يعجز عن اقتباس كل ما يرافى تلك المفاهيم من قضايا أخرى . فلقد اقتبس طريقة الكتابة ، ويبدو الأثر اللغوى لتلك الحضارة القديمة واضحا فى اللغات الغربية ، واقتبس الغرب أيضا المفاهيم الفنية وطرق التنفيذ الفنى كما اقتبس التقويم أيضا . ويجد المرء فى افريقيا اليوم ، حيث تقل طبيعة الافراس والاقتباس فى أوروبا عن طبيعة المنبسطات التى ذكرنها السيدة مايروفيتش ، بالنسبة الى الأكانيين والمصريين القدامى ان هذه المنبسطات وقد وقعت بما يسمى « بسلام بريطانيا » أو « بسلام غاليسيا » ، وتسير الأفكار الدينية والفن جنبا الى جنب اذ يتحتم على المرء أن يصور معبد البانثيون ، وأن يضع مخططا للطقوس الدينية التى تجرى فيه . وليس هذه القضايا من النوع الذى لا صلة له بأية قضايا أخرى . ولهذا فعندما تقول المؤلفة بصدد التقويم أنها لا تضع كتابها لتتحدث عن تأثير قدامى المصريين بصورة عامة ، وعندما تقول عن الفن ، بأنها تتفق مع رأى القائل بأن الفن الأكاني يملك صفاته الخاصة المميزة فإن المرء ليشعر بأشد الدهشة من رأى الذى سبق لها أن توصلت اليه (١) .

(١) لم استطع التثبت من المصادر التى رجعت اليها من الموقف الذى يجب ان نقتفه من هذا النقاش بين مؤلف هذا الكتاب وبين ساب مايروفيتش أو كتاب هومبرغر ، ولكن الشيء الواضح هو أن المؤلف يتهم المؤلفين المذكورين بالخروج على الحقيقة التاريخية دون أن يحاول هو بدوره اثبات اتهامه بالادلة العلمية التاريخية وبالطريقة العلمية أيضا ، وانى لترك تقرير هذه الحقيقة الى علماء التاريخ ، وان كانت بعض الحقائق التاريخية تؤكد أن آثار حضارة المصريين القدامى قد انشرت في جميع ما يحيط بها من بلاد في الشرق والعرب والجنوب وقد ثبت أيضا بصورة تاريخية قاطعة أن القوافل =



وإذا صح أن ثقافته الأكابيين مهتبسه تمام الافتباس من ثقافة المصريين العدامى فإن في وسع المرء أن يتوقع بعبا لذلك العنور على عدد كبير من الكلمات المصرية القديمة في لغة الآكان . وهنا نجد أن السيدة المؤلفة ، قد استندت بقوة إلى آل هومبرغر من أن جميع اللغات الافريقية الزنجية مسمدة بناء على عناصر مشتركة كثيرة ، من أصل مصري قديم ، ولكن الصفات أو العناصر التي تسنرك فيها اللغات الزنجية الافريقية قليلة للغاية . والحديث عن العناصر الكبيرة المشتركة بين هذه اللغات وبينها وبين اللغة المصرية القديمة أشبه ما يكون بنحطيم أضعف قوانين الخيال وبنات الافكار، ولكن السيدة هومبرغر على الرغم من اعتبارها حجة عند مايروفييتس، تكتب بشكل أقل نباهة وحرصا من تلميذتها . وبينما حاولت التلميذة في الواقع أن تضع فرضية توصلت إليها بعد الكثير من الاطناب والشرح العميقين . وسببتها إلى جميع الشعوب السوداء ، نرى أن الأخرى التي اعتبرتها حجة في هذا الموضوع مبالاة إلى الخلط والمزج . فلقد تأثرت بسوع « الفولة » من الماشية المحدودة الطهر ، وخلصت دون أي تعب أو صجبه إلى القول بأنها تمت إلى أصل «درايدي» ولاحظت تكرار العقد المزمارية في هذا الحيوان وقالت أنه لابد وأن يكون قد أتى من السند في الشمال الغربي للهند . ولم تكثر فيد أمثلة بالتبدلات الصوتية التي تعتبر دائما عقدا في كل تصنيف لغوي .

وكان ما فعله جان - هانيز جاهن في كتابه « مونتو » هو عكس ما فعلته مايروفييتس في كتابها تماما . ولكن بينما يستطيع المرء أن يقول ان مؤلفها يفنر إلى الوعي الكامل ، فإن في وسعه أن يقول ان مؤلف هذا الكتاب لا يتجاوز مطلقا مع البحث العميق ، ولعل خير ما يمكن اطلاقه عليه ، هو انه كتاب صحفى . ولعل رأيه في الثقافة الافريقية هو مزيج من دماثة سنيفور (١) الغربية ومن أي شيء يمكن للسياسة الافريقيين وغيرهم من أرباب النفوذ ، أن يؤثروا الايمان به بالنسبة إلى ماضيهم ، اذ أن جاهن يقول ، ان ما يؤمنون به مؤثر وفعال ، ولذا يجب أن يكون صادقا وصحيحا ، وهو يقول هذا دون أن يحاول اقامة الدليل على صحته، مكتفيا بأن مجرد ايمانهم به يكسبه صفة الصدق ، وإذا شئنا الصراحة

---

= كانت تنشر من مصر باتجاه الشرق والحبوب وأن هجرات واسعة قد حدثت من وادي النيل إلى اريقيا العربية وأن هذه الهجرات قد حملت قائل عربية الأصل إلى تلك البقاع كما حملت الأبل من الشرق إلى الصحارى الافريقية وبشين من هذا أن المؤلف كان معاليا في محاولته انكار كل صلة بين حضارة المصريين القدامى وبين قبائل الآكان في غانا .

« العرب »

(١) سنيفور هو رئيس جمهورية السعال وهو من ارق الشعراء في اللغة العربية ويتمتع بثقافة ممتازة .

— العرب —

فلما ان مؤلف جاهر بحمل طابع العطف والتأييد الظاهرين ، لكنه أكثر هذين المؤلفين خبنا وضرا . فهو يعرض عندما يتحدث عن الأدب الافريقى ارداءه لواقع الثقافة الافريقية التقليدية كحقيقة تاريخية ، وهو يحشد نماذج من الشعر يجمع فيها بين الغب والسمين ، دون أن يعلق عليها ، ودون أن يقبم أى دليل على وجود الأدب الافريقى .

وأعتقد أن هناك طرازا من الثقافة الافريقية وأن هذا الطراز « حوهرى » فى ابحاثه والهامه . وبجد النظرة الجوهرية للاسنان التى تكمن وراء هذا الطراز العبر عن نفسها فى الفن ، وفى قواعد السلوك والاحلاق ، والمفايد الدنية والادبيه . وكذلك فى تقاليد السمع الاجتماعية . والمجتمع الافريقى عملاق من هذه الناحية ، فالمبادئ الموجهة للعبور على حلول المشاكل الاسانية موائره دائما بكل ما فيها من وصوح وجراء . وليس اهتماما سافانا بمنحصر فى السواحى التاريخية أو الأثرية . وانما هو متجه نحو الغد والمستقبل ، وهو يعسا على حل المشكلة التى تواجهنا ، لا فى كيف كان الافريقيون ؟ بل فى كيف يمكن لنا أن نستغل مواردنا الاسانية الراهمة بأحسن السبل ؟ وهى موارد تقليدية الى حد كبير ، ويوفر هذا التوكيد لمطور التعليم النفاى الافريقى ، النتائج الطيبة لا من الناحية النظرية فقط بل ومن الناحية العملية ايضا .

ويتطلب تطوير التعليم النفاى على أى حال جهدا هائلا وواسع الانتشار ولا ريب فى أن هذا الجهد سيوجه الى بلورة نفاقتنا فى شكل فصيح وبطريقة بليغة نستطيع أن نواجه فيها تحديات العالم الحديث .

وفد هبط الانجذاب الثقافى الذى حتم التركيز على ثقافتنا حتى الى مستوى مدارسنا الأولية . فالاساطير السعبية التى كانت تنلى على مسامع أطفالنا مأخوذة من أساطير الشعوب الأخرى لا من شعوبنا ، ولا يمكننا قط أن ندعى أن مسمويات السلوك المقبول والمثل الممكنة والمطامع التى نعرضها هذه الاساطير ، هو مما يخصنا وحدنا دون غيرنا .

ولقد أوضحت فى السابق أن النفاقات مرتبطة بطرة جوهرية أو علمية للطبيعة الانسانية ، وانى لأعتقد أن ثقافتنا مرتبطة بالنظرة الجوهرية ، وسبق لى أن بينت أن الاحداث ذات الاهمية الضخمة تقع ضمن اطار ثقافة معينة وتستمد اهميتها من الثقافة التى تجد نفسها فيها ، ويبدو وجه القيمة من الثقافة وكأنه الوجه المسيطر ، اذ ان التقدم الثقافى يتطلب الانتقاء والرفض ، وهذان يعنيان الخضوع للقيم ، وعندما يقتبس شعب من شعب آخر ، نعدو الثقافة شيئا صحيحا باننا ، اذ أن الاسان

كثيرا ما يفسس بعض التوافه ، مع ما هو فى حاجة حقيقية اليه ، ولقد حاولت أيضا ان اؤكد العمل الادمجى للثقافة ولا ريب فى ان هذا الوجه من الثقافة كاف لاثارة اهتمام الافريعيين بثقافتهم ، ولكن يجب التأكيد على أبة حال ، بأن هذا الاهتمام ليس تاريخيا أو أنريا فقط ، مع أنه يتعلق بالناحيتين أيضا ، ومن الواجب توجيهه على أية حال نحو المستقبل، اذ انه ساعد فى حل المسئلة المتعلقة بخير السبل التى تتبعها للافادة من مواردنا الانسانية الراهنة ، لا المعلفة بما كنا عليه قبل عدة قرون . ولا ريب فى أن هذا التوكيد لا يضمن توفير النتائج الطيبة لتطوير التعليم الثقافى الافريقى من الساحة النظرية فحسب بل ومن الناحية العملية ايضا .

## نموذج المجتمع الأفريقي

« أوجه الشبه بين الثقافات - طراز الثقافة الأفريقية - ناحيتها الفلسفية - ناحيتها الغيبية - نظرتها الى الانسان والمجتمع - نظريتها في الحكم - جهازها القضائي - تنظيمها العسكري - أدبها - سننها الاخلاقية - خوارقها - النظم والنظريات » .

تمر المعائنات على الرغم من اسنمرارها على حالها ، عبر مراحل وصور متعدده وملاحقة . ولكل ثقافة منها نواحي أساسية عدة ، تملك كل ناحية منها الطاقة على أن تصبح منغلبة على الثقافة نفسها . ويقرر النوكيد الذى يضاف فى أى وقت من الأوقات بسدة على ناحية من نواحي هذه الثقافة ، الصورة التى تظهر فيها ، بينما تظل النواحي الأخرى فى حالة من الكبت الدمى الرفيق . ولعل الطاقة عند الثقافات على البقاء على ما هى عليه رغم مرورها فى عدة مراحل أو صور ، هى التى تمكن الباحث من البحث بسكل ما فى وجود هذه الثقافة نفسها . ويكون هذا البحث صحيحا بطريقته الخاصة وان كان لا يعكس مطلقا أية مرحلة معينة من الثقافة . وتمثل الطاقة على عرض هذه الثقافة بهذه الطريقة فى القدرة على عرض تركيبها ، وعرض المدى الذى تستطيع كل صورة من صورها أن تظهر فيها . وكثيرا ما تهمد الممارك التى تدور عن الثقافة فى الحقيقة لتتحول الى مجرد منافسات لتأييد هذه الصورة أو تلك من صورها . وهكذا يصبح فى وسع الانسان أن يقول ان أف . أو . ليفز ( F.R. Leavis ) ، يود لو ساد الخط المتطهر ( البيوريتانى ) على الثقافة البريطانية فى هذا الوقت ليصبح بحثا من بحوثها . ولو أصبح العنصر المتطهر هو الغالب على الثقافة البريطانية . لبات فى مكنة الانسان أن يقول عنها أنها دخلت فى المرحلة المتطهرة أو أنها تحمل صورتها ووفرة الخطوط التى تتحدد فى امكان تحقيق المراحل والصور ، موحودة فى كل آن وحين وهناك احتمال صريح دائم ، فى أن يتحول أى خط من هذه الخطوط الى صورة غالبية ، والى بحث منهجى عن الثقافة نفسها . ونسبه هذه الخطوط أرجل الحشرة المتعددة الارجل موجودة دائما هناك . ولكن الامساك بالحشرة ، بتم دائما عن طريق رجل غير الرجل التى أمسكت بها المرة السابقة .

وسأحاول فى هذا الفصل أن أعرض ما أعتقد أنه المدى النموذجى

الافريقية • والظاهرة الأساسية في الطراز الذي نمى اليه السقاة  
هـ هي النظرة العالمية • التي يمكن أن تنسب اليها جميع المفاهيم  
وبينها بالطبع المفاهيم اللاهوتية والحلمية والدينية والتنظيم  
ى • ولهذا فانا أعترز شرح هذه النظرة العالمية ، واضاح الطريقة  
نقن منها جميع الصور الرئيسيه الاخرى للمجتمع الافريقى التقليدى  
، هذه الغاية أوبر اخسار مجمع أفريقى واحد لسكون متالا  
اب الاخرى • وهو مخضع الآكان فى عانا •

مىل الآكان فى عانا بلى سكان البلاد البائع نعددهم سة ملايين  
المليون من الناس • ويعيم معظمهم فى منطقة « الاشامى » والى  
منها وفى « اكسيم » والى الغرب من أكرا • وهم يتحدثون  
ه من اللغات التى نمت الى أسره واحده للنشانه المابل بينها • وان  
يعبر لهجات معدده فى لعه واحده •

فى نعددى لكره هذا المنال او المودح لا اعزم مطلعا الايحاء بأن  
، الافريقية كلها أو حتى معظمها ، سترك فى مجموعة مسابهة من  
أوحتى فى مجموعة منشابهة من الناصيل • فلكل نفاه من النفاات  
ما الخاصة بها وهذه الشواهد أو الأدلة هى الى نوصح أنامن البيانات  
العامه الموجوده فى النفاة نفسها معقول ، وأيها غير معقول •  
مىل هذه البيانات النفيمة العامة على القانون وفواعد الاخلاق  
م الاجتماعى • ويظر اليها عادة وبصورة سائعه ، وكأنها عاجزة عن  
دليل غير الذائع وغير المنشر ، وبصل المرء ضمن اطار الفواعد التى دعا  
ب (Kant) التى نعويم فيها المبادئ القياسية أو المعيارية على  
أحكام العقل ان عاجلا وان آحلا الى مبادئ عملية يفترض أن العقل  
، يفرضها على نفسه • أما فى المجالات الاخرى فان هذه البيانات  
العامه ، لا نصبح معقولة أو صالحة الا من ناحية علاقتها  
ت الفردية •

من السهل بالطبع على أى نفاة أن تسركا فى نفس القيم العامة  
لى الرغم من هذا الاشتراك فان النظم التى تعبر عن هذه القيم تظل  
بين مكان وآخر • وبطل كل من النفاة محتفظة بعدد من الظواهر  
التي لا ترتبط ارتباطا مباشرا بأى من القيم العامة • وبصح لنا  
، على هذا القطاع النفاى الذى يضم الظواهر اللامرتبطة بأية قيم  
بنة اسم «السلوبيات الثقافية» • ومن هنا يقال ان «السلوبيات»  
، مختلعة بين نفاة تشتركان فى نفس الابعاء والالهام • ويتضح  
أيضا أن « السلوبيات » تشمل تلك الامور التى تخضع للذوق  
اس ولا رب هى أن المثل الواهى الشائع بأنه «لا خلاف على الذوق»

يمكن أن يعبر أيضا دلبلا على أن الأدواق مرحيب أنها أسلوبيات للثقاف  
لا ترتبط ارتباطا مباشرا مع قيمها العامة السامية . ومع ذلك فإن الأدواق  
تعتبر نفسها لتستخدم كطرائق اصافبة لتأييد أية صورة أو مرحلة من صور  
الثقافة ومراحلها .

ولقد سبق لى أن أوضحت أن الاملة على الطرر المتشابهة من الثقاف  
قد تختلف . ولكن المرء يوقع أيضا وجود أوجه شبه بينها . ولكن هذ  
الأوجه ليست على أى حال من النوع الذى ينتظر الانسان أن يلقاه به  
الجميل التى تعبر فى اللغات المختلفة عن نفس الفكرة . وفى وسع العاقد  
التى نمت الى نفس الطرار أن تكون فى صور أو فى أوساط ومراح  
مختلفة . فقد نختلف أساليبها، وبختلف تنعاً، وعلى نحو أوضح أنظمتها  
ومن هنا يكون التفكير بأوجه السبه بين الثقافات التى تسمى الى نفس  
الطراز على صعيد أوجه النسبه العائلية . فهنا يمكن للثقافة الواحدة أ  
تنسابة بشكل ملحوظ مع عدد من الثقافات المختلفة التى تسمى الى نفس  
الطراز ، وأن يكون هذا الشبه بطرق مختلفة ، تماما كما تقوم أوجه ش  
بين أفراد الأسرة الواحدة المختلفين تمام الاختلاف .

ولعل هذا هو الذى يبرر الطريقة الجوهرية فى معالجة ثقافة واحد  
تعال على أساس أنها نموذج للطراز الذى تنتمى اليه تلك الثقافات وأعتة  
أن من غير المستحب أن نحاول عرض « خطة » الطراز كلها .

وقد فكر الأكاني كثيرا بالعالم لا العالم الذى يعيش هو فى وسطه  
بل العالم الذى يؤلف هو جزء منه . ولم يتخذ الأكاني قط موقف  
« الظاهريه » من العالم فالعالم بالنسبة اليه شىء عيبى ولا علمى . ولفه  
هذا الرأى تمام الفهم من الضرورى أن نفكر بأن « العصرية » نألف ه  
اغتيال الافكار ومن تضييق المجالات التى يستطيع فيها مفهوم العسلاف  
بين الافكار ، تقرير طبيعة العالم ومحتواه . وقد اعبر هذا ممكنا الآن ف  
أوروبا فى حقل الفكر والعمل ليس غير . أما فى الحفول الأخرى ، فلا يعتب  
الم فى أوروبا كمر من شىء ادراكى ، ولعل من أسس البحث العلمى مؤ  
القول بأن الذى خلق العالم لم يكن « فيلسوفا عقلانيا » .

لسكن العالم بعبر من وجهة النظر العينية للأكاني فكرة فلسف  
عقلانية وتنخذ العلاقات بين الافكار لحمتها وسداها من العلاقات بين معطيا  
الطبيعة ومركباتها . وتقضى هذه النظرية وعلى هذا النحو بأن تكون الغيبيا  
الحقة نظاما اسفرائيا . ومن هنا تكون الاخلاف والسياسات والطب كل  
أمور تنبثق من الغيبيات . ومن هنا يغدو العلم بما فيه من تجربيات شة  
زائفا من أسكال السلادة .

وأدى تقدم العلم والتقنية فى أوروبا الى دبول مجالات الاخلاق كاحدى معطيات الغيبية واحطاطها وبات المرء يشهد الاخلاق وقد تبلورت لتدعن للطب ويرى العلاقه بين انكر والعمل وقد انسحبت لتخلى مكانها للعلافة بين المسبب والنتيجة ، عن طريق الحوافز ، والمقدمات السكامة من أيام الطفولة . وباب الامون والخطاه يتنكرون سحرية مهم فى أشكال المرضى ودوى العاهات ، أما بالنسبة الى الاناس فلم يدن هناك تعريبا أى فرق بين الخطأ والخطيئة ، أو بين الخطأ والاسم ، اد أبهما يحملان اسما واحدا هو ايبنون (Ebon) ويلقى هذا الاسم نفس الصورة النامه على المعين وهى صورة الشرالتي تسجل الاخطاء والخطايا، وينابل الخطيئة فى السمل الانسانى اسم الننافض فى الفكر الاساسى ولما كانت المحالفة أو السافض تسئل الفكر ، يصبح من اللامعقول . أن يعابل الخطايا أو الآام بالعقاب السديد ولما كانت الغيبيات هى النى نلعل الاخلاق والسياسات والطب ونظريات التنظيم الاجتماعى وغير ذلك ، فان نتائج أى خطأ يعبر فى عرف العيبيات خطيرة أيضا ولعل هذا المفهوم هو الذى يشرح صرامه العقوبات التى فرصها شريعة الاكايين . والتى طهرت بمظهر الوحسية والبربرية وكل ما يفعله تقدم العلم هو انسة الاخلاق والسياسات . ونصبح الاخلاق مركزة على ذلك اتركيب الذى يوائم الناس فى أوضاعهم الراهنة ، أو على اجماع الرأى العام الانسانى . وهنا لا بد وأن يشأ شىء من الجماعية ومن النظرية الطبيعية ، لفواعد الاخلاق فى المجمع . أما السياسات فتصبح مؤكدة للانظمة دون أية اشارة الا بقدر ضئيل ونادر الى المثل التى تقوم عليها هذه الانظمة . وتطهر هذه الحقائق فى المناقشات الراهنة التى تدور بين الاروبيين والامريكيين حول الاخلاقيات والسياسات . فمن المعروف من الناحية الاولى أن القول بطبيعة شىء يعنى امتداحه حفا والتوصية به فعلا وأن هناك وصفا طبيعيا ومقصودا قد تولد لاضفاء نعت « الطيبة » عليه . ويمال من الناحية الأخرى أيضا أن جميع المثل السامية يمكن تحقيقها ، تضم أنظمة محدودة معينة تهدف الى تحقيق تلك المثل بطريقة مقبولة وطيبة . وتحدد آنذاك قضية تطبيق هذه المثل عن طريق ربطها بقضية تقبلها وما فيها من جودة وحدارة بالنسبة الى الأنظمة التى تحدددها . ويؤدى تحديد هاتين القضيتين الى الكثير من الخلاف والمشاكل ، اذ أن صلاح هذه الخطوة هو موضع الشك والتساؤل حقا . وحنى الخلافات فى الدين والادب والفلسفة هى فى النهاية والى حد ما ، واحدة اذ أنها تمال فى مظاهرها الاساسية ، الفرق بين الطبيعية وما وراء الطبيعة . وفى وسعنا أن نرى فى الفلسفة علمنة أو دنونه ( نسبة الى الدنيا ) لهذا الفرق . وهذا يعنى أن الفلسفة تبجث فى هذا الفرق بدون أية اشارة الى تلك الصارية من التوصيات التى نرفعها المثل

العليا ويدعو اليها ويغدو الفرق على هذا الاساس حامدا بل ووحسيا ويصل الخلاف فى الفلسفة مرحلته الحاسمه عندما يصبح الفن مطابقا مع الواقع ، وعندما يغدو ما وراء الطبيعة مطابقا مع الطبيعة نفسها ، والمثل مع الحقائق المجردة ، والاساطير مع التاريخ وبعمم هذا التوسيع فى أى سرد نزعهم أن ما بوصف بالسئ الموضوعى ليس الا التوفيق أو البطابق بين مجموعة من الآراء الذاتية أو العاطفيه أو فى ذلك السرد الواقعى الذى يصف الامور على النحو الذى تظهر به أو نبدو فيه الاوضاع العاديه المألوفه ، وهنا يقوم التواسج بافراط بين المظهر والمخبر أو الواقع . وينحول الواقع الى مظهر يبدو فى أحسن حالاته أما التاريخ فيتحول الى طراز من الاساطير بالمدر الذى يسمح فيه للمخيلات الخلاقه أن تلعب دورا فيه . وهذا هو الرأى الذى نادى به ترينفور - تروبر . أما الاساطير فى المينولوجيا المفارقه فنعالج على أنها تاريخ فى جوهرها . وينحول المثل الى حقائق ، تحاح الى النظر اليها بعناية ، أما الذين لا يسركون فى هذه المثل فيسمون عميانا أو منحرفين صالحين . وينحول الفن الى واقع عميق ، ويصبح الفنان من طراز العلماء الذين يستخدمون أجهزة عدة ويتحدثون بلغات مختلفه . وتصبح الفنون والاساطير والمثل كلها صادقه ، وكذلك الحال بالنسبة الى الحقائق والتاريخ والعلم . أما بالنسبة الى الاخلاقيات ، والى ما يود الناس قوله ، فان نميل صوت النسعب بأنه من صوت الله عن طريق الفلسفة القائلة بأن «الصدبرز حسنه الضد» نغلب الى القول بأن صوت الله هو من صوت السبع . وهما يعود الله واحدا من الناس . وكل هذا مرة فرعبة من ثمار العلم والتقنية .

وعلى الرغم من أن العقل الآكانى كان ينظر الى العالم كسئ غيمى أو ما وراء الطبيعة ، فانه لم يكن يعبل حل المساكل حلا عيبيا ، أو حلا يقوم وراء الطبيعة ومن هنا يصبح من الحطل القول بأن الآكانى كان يفتقر الى العلم والتقنية . لكن قوى هذا يجب ألا يههم على أنه محاولة طموحة للقول بأن الآكانى كان يجمع بين الناحيتين أى الغيبه والعلمية . فلقد كانت للآكانى مساريع فى الحديد والصلب وقد اكتشف الادوات الحديدية والفولاذية كما دلت بعض الاكتشافات الاتريه على وجود بعض موافع أفران الحديد والصلب . وكانت لديهم بعض الادوات النحاسية التى يبدو أن بعضها مسورد على أى حال . وقد عرفوا كذلك بعض أدوات الزينة المصنوعة من الاحجار الكريمة كما أن فنهم وحذقهم فى صياغة الذهب والمجوهرات انارا اعجاب زائريهم من قدامى الاوروبيين . واذا ما استثنينا على سبيل الاحتمال الطب الوقائى ، فان الطب لم يكن أيضا بالنسبة اليهم قضية تحليل للمفاهيم . ولم يكن عمل الغيبات هنا يبدو فى شكل التشخيص أو التحليل أو وضع الوصفات الطبية فكل هذه الامور كانت تنم بأساليب وطرق طبيعية . وتطورت المعالجة بالعقاقير النباتية



(الاعساب) الى درجة عاقيه جدا من الكفاية . وما زال هذا الطراز من العلاج حتى يوما هذا الوسيلة الممكنة بالنسبة الى قسم كبير من السكان . وعندما تم حل مشاكل النسخين والحليل ووضع الوصفات الطبية . ظلت هناك مشكلة قائمة اعترف بها ، وهي مشكلة الصلة المحددة بين الظروف ، وهي الصلة التي تؤلف بالنسبة الى المريض المعن ، مرضه وعلمه . وقد نعددت هذه الحالة الى درجة الاشكال عن طريق اعتبارها حالة فريدة من نوعها ، أى عن طريق التفكير بأن الفرد المصاب ، عنصر دائم لا متغير بالنسبة الى وضع المرض نفسه . وعندما يصبح الفرد ، وتصبح الظروف المتصلة به ، متغيرة لا ثابتة بالنسبة الى وضع المرض نفسه ، يغدو هناك كل ما يبرر التجربة من الناحية النظرية ، وتكتسب الحالة الفردية قيمة علمية من قيم حب المعرفة ، بدلا من العناية الفلسفية ، ويصبح المسرح ممهدا لظهور نظرية طبيعية عن المرض . ولا يغدو للعرايس فى هذه الحالة كرمز عن العرفان بالجميل أبة ضرورة . وعلى الرغم من أن الاكانيين كانوا يوصون تقليديا بتجنب الربط بين الظروف التي تؤلف الحالة المرضية وعلى الرغم من الاجراءات الوقائية الخاصة والعامة ، ومن التغذية والسرب المنظمين اللذين نسب بهما نصائح الحذر والحيلة ، فان فردية المريض ، التي تعرضها وجهة النظر العيبية خلقت فبهم احساسا باحتمال التدخل السماوى . ومن هنا كان من الضرورى للمصلحة الاسانية أن تقدم القرايين وأن تعام الصلوات طلبا لاستمرار الحالة الصحية السليمة أو استعادتها .

ولهذا رأى وجهة نظر واحدة وهي التحديد الذى سطوى عليه عملية مفهوم الاحداث العارضة ولم يكن نمة نكران لامكان تكرار هذه الاحداث العارضة . ويعترف العالم بالاحداث العارضة كشيء علمى وكشيء عيبى أيضا . فهى فى التجسيد العلمى لها تنطوى على ارتباطات ووسائح ، لم يعرف بعد أى قانون ينظمها . أما فى التجسيد العيبى ، فابها فنضمن ارتباطات وشائج تعتبر مفاهيم عناصرها غير مترابطة أو منصلة ببعضها . وعلى الرغم من أن الترابط فى رأى الاول يمكن أن يست عن طريق الادلة الاختبارية وأحيانا الاحصائية ، فانه فى رأى الثانى لا يمكن أن يثبت الا عن طريق تحليل المفاهيم .

ولم تكن الآلهة فى مفهوم الاكانيين شيئا من اختراع الكهنة أو الكاهنات ومن الخطأ البالغ أن يظن المرء هنا أن الطبيعه قد نزعت الى الروحانيات فليس للطبيعة هنا أية أهمية كبيرة فى حكم الواقع ، ولا شك فى أن التعبير عن النظرة الغيبية على صعيد نزوع الطبيعة الى الروحانيات ، هو تسويه كلى للنظرة نفسها ، اذ أنها محاولة للتعبير عنها على صعيد وضع يقف موقف

التعارض الجدرى معها ، وذلك لأن الطبيعة كانت فى رأى الاكانيين - وان  
شئت فسمها ما وراء الطبيعة - أمرا روحيا قبل كل شئ آخر .

وتحمل الروح فى عيبيات الاكانيين المزلة الاولى . ونقوم الارواح  
فى طبقات مسلسلّة اذ أن المزايا التى يطلق عليها اسم المزايا الاخلاقية ،  
كالادراك والسحابة والفصائل وهلم جرا ، هى الصفات الأولية للأرواح .  
وهناك بالطبع فرق بين الصفات والمزايا ، فالاولى كامنة وقريبة من الوصف  
بينما الثانية نزوعية الطابع وقريبة من التمجيد والتقدير . وكثيرا ما يقال  
بأن الصفات طسعة ، وأن المزايا خلقية ، لكن النميزليس فى الحفينة  
والواقع ألا مميير قائم على التحليل لا نتيجة الوجود أو الفطرة اذ أن بعض  
الصور المتعلقة بنشأ ما قد تكون صفات فى وقت من الاوقات ، وقد تغدو  
مزايا فى وقت آخر . فوجود الهدف مثلا كاف فى غالب الاحايين لنحويل  
الصفات الى مزايا ، وهكذا تغدو صفات العولاد مزايا له ، اذا كانت تخدم  
عرصا معيننا بالذات . فالهدف يجعل الصفات أو الحُصَال، خاضعة لعمليات  
التقييم المبنيّة على الصلاح والمناسبة ، وبذلك يحولها الى مزايا . وقد  
لا يوجد هذا التمييز الا فى اللغات التى يكون فيها معنى الوجود الطبيعى  
قويا كل القوة . ويختلف اجرائية التمييز وطاقته على التنفيذ فى وجهة  
النظر الغيبية اختلافا عكسيا مع سيطرة الغيبيات وتغلبها . لكن هناك على  
أى حال فى وجهة النظر هذه ، صفات وخصالا ، لم تتحول الى مزايا . أى  
صفات تحمل طابع الصفات لا بالنسبة الى هدف محدود معين ، أو غاية  
متحولة بل بالنسبة الى حقيقتها اذا شئنا الدقة ، اما كفايات فى حد ذاتها ،  
أو بالنسبة الى صلاحها صلاحا كاملا لغايات ثابتة وغير متحولة . واذا  
شئنا الاختصار قلنا ان كل صفة قد تصبح ميزة أو مزية ، ولكن هناك  
مزايا لم تكن فى يوم من الايام صفات أو خصالا ونصل من كل هذا الى  
نقطة واحدة وهى أن فى غيبيات الاكانيين ، ذاتيات معينة تتحول صفاتها  
الى مزايا وان هذه الذاتيات تقدم على الفور تسلسلا طبقيا من المخلوقات  
وتقرر كذلك أوضاع الامور فى هذا التسلسل الطبقي ، وفق ما تملكه من  
صفات ومن مزايا وتنتمى الالاحياء الى الطبقات الدنيا من هذا التسلسل  
أما الكائنات المتعلقة بالارواح ، وبينها الجسم الانسانى بالطبع فتتنتمى الى  
الفئات الوسطى لكن الارواح وبينها بالطبع أرواح الناس فتمت الى الطبقات  
العليا . ويعرض هذا التجاور فى التنظيم الذى تحتل فيه المخلوقات الحية  
مكانة فى التسلسل الطبقي ، مشاكل فورية بالنسبة الى الدين وفى وسعنا  
الآن أن ننتقل الى بحب هذه الساحة .

## الناحية الغيبية :

كانت دولة الاكانيين دوله مقدسه من حيث أن النظرة اليها تقوم في وجودها في عالم يسكنه الاحياء ، كما تسكنه الارواح والالهة التي يدين لها الناس بفروض محددة ، تؤدي وفق طقوس مناسبة ، ويكون الناس معها في حالات من التعامل المستمر على أساس القرابة والنسب . وكانت «القرابة الروحية» هي العصب الحساس في أواصر القربى بين الاكانيين، وفي الامكان استخدامها لايضاح ارتباطاتهم الزوجية أيضا . فالانسان بالنسبة اليهم روح غير مغلقة ، وليس بالجسد الحى، كما يقول سهر الخليفة في العهد القديم ، وكانت مستلزمات القرابة الروحية تنفوق عندهم على مستلزمات القرابة الحياتية وواجباتها ، ولم يكن التسلسل المناسلي عندهم الا تعبيرا عن هذا التسلسل في القرابة ، مع ما يصاحبه من واجبات والتزامات . أما طريقة هذا التعبير فساؤضحتها اصاحا كافا عندما أصل بحديني الى البحث في الاسرة الاكانية .

وكادوا يرون أن الأحياء هم في جوهرهم من الأرواح حتى وإن كانت مغلقة في أحساد من اللحم والعظم فترة من الزمن . وتنطوى هذه النظرة على بعض النتائج بالنسبة الى الدين . فقد يقال عن الدولة نفسها أنها دينية لأنها مؤلفة على الغالب من الناس أى من الارواح ، أو لان عبادة الناس تغدو محدودة لانهم هم أنفسهم من الارواح . ولا تتاح أحسن فرص الوجود للعبادة الا عندما ينظر الى الانسان نفسه على أنه فصيلة مادية من الكائنات لا الارواح . أما عندما ينظر الى الرجل كشريك في طبيعة الشيء الذى يعبد، فإن الدرجة الفعلية لعبادته هو أن تكون أقل شأنًا منها عندما ينظر اليه نظرة مخالفة لذلك تماما . وإذا أمكننا حما أن نجد بونا بين عبارتي «العبادة» و«الخدمة» ، فإن في وسعنا أن نقول ، ان الاكانيين لم يعرفوا معنى العبادة أبدا . فالعبادة مفهوم لم يكن له وجود فطفي فكر الاكانيين . وكان غيابها عند الاكانيين أكثر كمالا من غيابها حتى عند قدماء الاغريق الذين عبدوا طبيعة « الوقوف بانصاف » وذلك لان الارقاء وحدهم هم الذين كانوا يحنون طهورهم . يضاف الى هذا أن نظرية الاكانيين عن القدر ، كانت أكثر شمولاً من نظريتهم في جوهر عبادة الانسان المشوشة . فكل انسان روح من الارواح أوفدت الى العالم الطبيعي والمنطور ، لاداء رسالة معينة . ولم تكن وجهة النظر هذه ناتجة عن التفكير في الفروق اللامتكافئة بين الناس ، مع أن في وسع المرء أن يقول وأن يناقش بأن عدم التكافؤ بين الناس قد غدا مدهشاً الى الحد الذى بات يوحى فيه بالقدرية ، لكن نظرة الاكان الى القضاء والقدر تنسجم كل الانسجام مع فكرتهم في المجتمع المتناسك والكلى الاندماج ، الذى يعيش فيه الناس كاجزاء من آلة لا يمكن

فصلهم عنها . فلكل منهم مكانه المحصص له فى هذه الآلة ، حيب يؤدى عمله لتحقيق الانسجام الشامل ولخدمه المصلحة العامة . ولعل من الاقرب للصحة بالنسبة الى الاكانيين أن تنعت الدولة نفسها بأنها شئ دينى . ولم يكن هؤلاء الناس يفكرون فى العالم على أساس افراض غرة لا يمكن سدها بين عالمين . العالم الرمنى ، والعالم اللارمنى ، وعلى أساس افراض أن العالم الثانى خير من الاول وأكبر أهميه ، أو على صعيد تلك الفكرة التى تقول بنىء من الوجود خارج نطاق المتعبددين الذين يهدفون اليه ، والسى تنبت طرازا معيناً من الاحساس بسمل الشعور بالاحلال وازدراء الذات وهما خاصتان تتضمنهما مواقف العبادة . ولما كنا جميعاً من مواد العبادة ، فليس ثمة من ظاهريه أو عمق كافيين لاستثماره العماده والدين على هذا الصعيد . فحن كبشر ، أى كظواهر عارضة ، مدبون بوجودنا الى الله ، لكننا كالارواح ، أى فى جوهرنا غير محذوفين ولهذا السبب وحده ، كان يقال عنا ، اننا حتى كبشر ، لسنا خلقاً لله وانما رسلا له .

وفد احل الله نفسه محلاً بارزاً فى تفكير الآكان . وقد سمع دا . يعدد كبير من الاسماء ، لا ريب فى أن أحدها وهو « اونيامى Onyami » يمل اسم الاكثر أهمية . ولم يحاول الا فله من الكتاب ، بنهم بالطبع ويستزمان وراترى وأخيراً مايروفيتنس أن يصوروا « اونيامى » أو « نيامى » كما يسمونه أحياناً على أنه من الهة السماء وذلك بسبب استغافات لغوية مزعومة . فلقد خيل اليهم أن اسم « نيامى » منسقت من اسم « نيام » أو « أونيام » وهناك حقا فعل « نام » فى لغة الآكان ، ويستعمل عادة مع الساحرات . وهو يستخدم على هذا النحو ليسر الى حركاتهن السريعة والواقعة هنا وهناك ، أثناء أدائهن أعمالهن السحرية . لكن هذا الفعل لا يمكن أن يكون الكلمة التى اشنق منها اسم الكائن الاعظم . وهناك أيضاً اسم وصفة تنسب الى نفس الأصل . وهى كلمة « أونيام » التى تعنى الهيبة والجلال والمجد . لكن هذه المعانى لبسب الاكنانات من المعروف أنها تستعمل فى اللاهوت الاكانى ، عن الله . ولكن من الجور كل الجور ، الاصرار على أنها تسمد أصلها من الشمس . وليس اله المسيحين أو اله المسلمين بأحق من اله الاكانيين فى أن يكون من آلهة السماء ، اد أن نفس هذه الكنايات تستعمل لتمجيدها . وقد شجع الفقه اللغوى كربستولرفى معجمه الانكليزى - الاكانى العظيم فكرة نعت اله الاكانيين بأنه من الهة السماء وذلك عند بحثه فى كلمة « اونيام » فهو يخمن هنا بأن « اونيام » هى الكلمة الاكانية التى تعنى السماء . وهو يلجأ الى عقد مقارنة بين كلمة « نيام » وبين الكلمة الاصلية « ديو » فى اللغات السنسكريتية . وهنا يسمح لنفسه بأن تضلل اللغات السنسكريتية التى يفترض أنها تنسب

الى حد كبير دون أن يجد سببا يبرر به منطقه ، لغة الاكان المختلفة عنها كل الاختلاف في اشتقاقها لكلمة الله • وكل ما بفعله والحالة هذه ، في عين الواقع هو أن يعثر على اسم لمستقر الله وداره دون أن يجد اسما لله اذ أن كريسنولر نفسه يسمح بأن تكون اسماء الله الأخرى ذات أصل مشتق من « أونيام » واخبرا لانهى كلمة « أونيام » نفسها السماء مطلقا ، وانما نستعمل مجازا للكنية عن السماء ، كما أن كلمة « السماء » الاتكليزية نفسها (Heaven) ستعمل احيانا للكنية بها عن الله دون ان يعنيه فعلا • ولم يستعمل كريسولر نفسه في ترجمته للكتاب المقدس الى لغة الآكان ، مرة واحدة . كلمة « أونيام » ليعنى بها السماء وانما يستخدم دائما الكلمة الاكانيه الصحيحة التى تعنيها وهى اوسور أما فى (Osor) معجمة فيستعمل الكلمة الاكابه الصحيحة والدقيقة للسماء وهى « ابويم » Ewim ، التى تعنى مناطق الشمس •

وأنا لا أصدق أيضا فى الحقيقة أن أونيام تعنى « الشيء المسرف » • فلو عنت « الشيء المشرق » حما لكان ما تعنيه هو الشمس طبعاً • وبذلك ينحتم الربط بين الله وبين تجليات رمانبة موقوته ، أو الوصل ، وهذا هو الهدف الأبعد بيده وبين مستفر مسرف • لكن أيا من هذه الافتراضات لا وجود له عند الاكانيين اذ أنهم يرون من الناحية الأولى ، ان ما يعنيه « أونيام » شئ غير منظور ولدا لا يمكن أن يكون له تجليات وليس أدل على صحة هذا من أن الاكانيين لا يقيمون لهذا الشئ صوراً أو تماثيل أو أضرحة • يضاف الى هذا أنهم لا ينظرون الى الله كشئ محدد له اسمه يعيش فى السماء ، وانما يكتفون بالايان المجرد بأنه هناك فى العلا ، فى مكان ما • وهناك أسطورة أكانيه عن موقع الملكوت الأعلى لا ريب فى أنها تربطه وان لم تحدد تماماً بالسماء فهم ينظرون الى السماء ، كشئ أو كمادة ، ويرون فيها انها سقف العالم ، أو على الأصح ارضى الملكوت الأعلى • وتقول هذه الاسطورة ، انه فى وقت ما ، فى عابر الأزمنة ، وكان أسلافنا فيه لا يزالون صغاراً للغابة ، عاش الله ، على مقربة منا • ولكن امرأه عجوزاً ، راحت فى يوم ما وكانت تدق الموز لتعد وجبة طعام لها بالمدق والهاون ، نصيب الملكوت الأعلى بمدقها • وهنا انفجر الاله قائلاً لها « لم فعلت ذلك معى ؟ اننى اعتزم الرحيل الى العلا بسبب ما فعلت » وصدق الله وعده ، كما يفعل دائماً وارتمى بنفسه الى العلا • وتمضى الاسطورة فتعرض على مسامعنا قصة تنسب الى حد كبير قصة « برج بابل » ، وان اختلفت عنها فى نهايتها الاكثر فجيعه • فلقد بدمت العجوز على ما فعلته • وحزنت على ان الله ، قد نأى بنفسه عن الناس فطلبت الى جميع أولادها ، أن يجمعوا كل ما يمكن جمعه من « هاونات » وان يضعوها بعضها فوق بعض ليصلوا الى الله فى اعاليه • ونفذ الاولاد وصيه أمهم تنفيذاً صادقاً ولكنهم وجدوا فى

النهاية ان « هاونا » واحدا ينقصهم لتحقيق الوصية وفكرت العجسور طويلا . ويبدو انها كانت الا ان قد اصبحت بمس من الجنون فعادت تقول لأولادها « ..... » حسنا يا أولاد ، ارفعوا الهاون الادنى من مكانه وضعوه فوق الجميع . لتصلوا الى الله أخيرا . » واطاع الاولاد أمر أمهم بانيسة وفعلوا ما طلبته . ولكن الهاونات كلها ابهارت الآن مدحرجة على الأرض . ففتلت جميع الأولاد ، حقا انها قصة رائعة ، ولكنها لانحدد بأى حال من الاحوال أن مسنفر الله فائم فى السماء ، وان كانت تربط بين السماء وهذا المستقر .

ولو كانت كلمة « اونيام » هى حقا الاسم الرئيسى لله ، لنحتّم عليها أن تعبر عن معنى لا هوتى بارز ، فمن نعضية (نمو الاعضاء على التالى) ، الآلهة الكثيرة الصغرى التى يزعم الاكانيون انها الدرب الموصل الى جود الله وكرمه ، ورعايته السخية ، أرى نفسى ميالا الى الاعتقاد ، بأن الاشتقاق الصحيح والأصلح لكلمة « اونيام » أو « نيام » هو من كلمة « نيا » التى تعنى العطاء أو « أرنيا » التى تعنى الحياة السعيدة الطالع و « مى » التى تعنى القناعة والرصى . ويؤيد صحة هذا الاشتقاق كما يبدو اكنار الاكانيين واصرارهم على التوصل الى الآلهة الصغرى طلبا لجميع اشكال العون والنصرة ، لا سيما وانهم يرون فى هذه الآلهة الصغرى جنودا أو مساعدين للكائن الاعظم بل وتعبير عن عظيم قدرته وجلال شأنه .

وقد ضل بعض الكتاب الذين تأثروا ودهشوا من مفهوم الاكان عن الكائن الأعظم وعن تمثيله الاله الصحيح لهم الطريق ، فزعموا أن هذا المفهوم مستورد من أوروبا . ولكن « راترى » الاربى رفض فى كتاباته هذه الفكرة رفضا قاطعا . فاسم « اونيام » يحتل مكانا كبيرا فى أحاديث الاكانيين وتفكيرهم ، وهو يظهر بوضوح فى الخطب التى تلقى منذ الأزل على جماهير الاكانيين فى احتفالات دق الطبول التقليدية ، كما أنه معروف تمام المعرفة فى أعماق الغابات والادغال التى لم تطأها قط أقسام البشرين الاوروبيين . ولو كان هذا المفهوم مستوردا أوروبا لكان مدى الذبوع والانتشار المفترض وجوده لتفسير هذا التسلسل لكلمة « اونيام » على أقوال الاكانيين وتفكيرهم ، أقرب الى الخيال منه الى الحقيقة التى لا تصدق ، يضاف الى هذا أن الاكانيين يؤمنون حقا بأن علم الله فورى وياحائى وفطرى ويظهر هذا الايمان بوضوح فى الحكمة التى تتردد على ألسنتهم دائما « ليس فى وسع أحد أن يعلم الاله حتى ولو كان طفلا » .

وقد أبرزت صفات الله ابرازا كاملا ، فى الأسماء الفرعية الأخرى التى تطلق عليه ، والتى يحتل اسم « اونيان كويون » أو « نيان كويون » مقدمتها ويقال ان هذه الكلمة تعنى عادة الرجل الذى « يحمل أعباء الآخرين دون أن يطأى ظهره » . والفكرة هى أن هذه الكلمة مشتقة من « نيا »

التي تعنى « واحدا » و « نكو » التي معنى وحده و « مبون » التي تعنى « لا يمنحني » لكن راترى يقول ان هذه الكلمة كانت معروفة عند « الأكيمنين » وهم أفراد جماعة متفرعة عن « الاكاسين » ، وانها كانت تلعط على هذا النحو « أونيامى - نكو بون » وتعنى الاله العظيم الواحد . وهاك رواية ثالثة سطوى على شئ من الغرابة . وهى تقول ان الاسفاق الصحيح لهذه الكلمة تابع من كلمات « أوبان » وتعنى الاشراق « وكورد » وتعنى المدنية و « بون » وتعنى العظيمة وبذلك يصبح معناها « المدينة السماوية العظيمة » . ولا ريب فى أن طريقة التعليم وهى طريقة سفوية تدور وكابها بصفى على شيوع كلمه « أونيامى - نكو - بون » الكثير من الأهمية . وتوحى هذه الطريقة بأن هذه الكلمة ، هى الأصل الذى استقت منه كلمة « أونيان كوبون » . ولا يكون المعنى المقصود على هذا النحو ، من الكلمة الأخيرة ، هو عين المعنى الذى تحمله الكلمة الأولى . وهناك اسم آخر من أسماء الله الثابوتية وهو « توويريدوامبون Twereduampon » أو « بويريامبون » المعروف عند الفانتيس ، وهم جماعة أخرى ساحلية متفرعة عن الاكان ، ويؤيد هذا الاسم فى انتساره ، المذهب الذى ذهبنا اليه قبل قليل . ويقال ان هذه الكلمة مشتقة من ثلاث كلمات وهى « توير » وتعنى لا تعتمد و « درا » وتعنى الشجرة ، و « امبتون » وتعنى لا تمنحني . ومن هذا يبدو أن فكرة الله الذى يستطيع الانسان الاتكال عليه بأمان واطمئنان واضحة وصريحة فى هذا الاسم الثانوى من أسمائه . وها أيضا يكون الشكل الأكثر صراحة ووضوحا ، هى المعنى القديم للكلمات التى اشتق منها الاسم . وادا صح الآن ، ان هذا الاسم ، أكر وصوحا فى نعت الله ، بالكائن الذى يعتمد عليه ويركن اليه ، فان من غير المعقول بالنسبة الى الاشتقاق المتعددة والمختلفة التى نسبت الى كلمة « نيان كوبون » ان يكون هذا الاسم أيضا معبرا عن نفس الصفة . واسب لأجد نفسى منجذبا الى معنى « الاله العظيم العرد » ويطلق عليه أيضا اسم « أوتمو » التى تعنى الأقوى حقا وحقيقة « واسم أودومانكوما » ويعنى « الخالق المبتكر » و « أونيان كوبون قوامى » ويعنى « أونيان كوبون » صاحب يوم السبت و « بوريبور » ويعنى « صانع كل شئ » . والله عند الاكانيين غير منظور ، ولكنه موحود فى كل مكان ويمكن الوصول اليه مباشرة . ويقول الاكانيون انك اذا أردت البوح بشئ الى الله أو التحدث اليه، فعليك أن تحمل الرياح الرسالة .

ولقد فيل دائما على لسان الكتاب الأوروبيين ان الاكانيين يعتقدون أن « نيامى » أو الله ، لا يهتم بالأخلاق مطلقا . واسى لأرى أن هذه الفكرة لا تنبعث الا عن جهل الأوروبيين المطبق . فالاكانيون يرون أن الله « أونيامى » حم الاهتمام بالعدالة ، ولذا اطلقوا اسمين مختلفين على شيتين

محللين ، حرصا منهم على ألا يكون هناك أى اجحاف • فالله عندهم رمز الحب ، وهم يرون أنه يعتدق المعنى على العجزة والضعفاء • وفى وسعنا مقارنة هذا القول بأن الله يعنى بالحيوانات التى لا ذنب لها • وهو على أى حال وفى الوقت نفسه نائب سرمدى لا يغير ، وإن كان بخصص للقوانين التى وضعها بنفسه • وهو الفصاء والقدر ، وهناك موقف الاكانيين من الله ، باعتماد القول المأثور عندهم بأن الأرض واسعة فسيحة ، ولكن الله هو رئيسها ، وهو الذى يواصل عملية خلقه باستمرار وأرليه •

وفكرة التعصية عند الآلهة ( نمو الأعضاء بالنال ) ، وهى الفكرة السائدة عند الاكانيين هى فى الحقيقة ، فكرة وسواسية بالنسبة الى الاكانيين أنفسهم وليست الآلهة الصغرى ، الا وسائل مصنعة يعبر بها « أونيام » الكائن الأعظم عن جوده وكرمه وقيم الكهنة من هذه الآلهة وسيطا بين الانسان والله على اعتبار انهم يؤلفون جزءا من فضائل الله وسلطانه ، يحب بهم الى الناس ليضمن لهم السرعة فى نعمته عليهم عن طريق الوساطة الخالصة التى يؤديها الكهنة الذين يؤدون فى الوفاء نفسه دور السدنة • ولو عاد المرء بفكره الى قديس المسيحية ورجال الدين فيها قليلا لاسطاع تكوين فكرة سريعة عن الدور الاصطناعى الرائف الذى يملئه الآلهة الصغيرة عند الاكانيين • فالشفاعة التى يقوم بها القديسون عند المسيحيين هى عين الشفاعة فى معناها الذى نقوم بها الآلهة المعبودة الصغيرة • وقد عقد أرنور راموس (Arthur Ramos) وباسم (Bastide) هذه المقاربة بالفعل عند مناقشتهما موضوع الوساطة الدينية فى أمريكا الجنوبية • وليس لآله البصارى يوم راحة أو يوم عيد الا يوم « أحد الثالوث المقدس » على الغالب • وليس لاونيام ، اله الآكان أيضا « أى يوم عيد » • أما الأعياد فهى من نصيب صغار الآلهة وتكون الآلهة فى الطقوس الدينية ذليلة مستعبدة ، اذ عندما يتم اداء الطقس على النحو الصحيح ، لا يبنى أمام منلهى الطقس الا مجال ضيق للاختيار • ولبست الطقوس الا مجموعة من التمرينات القريبة من السحر • وهكذا يبدو اقامه عدد من الآلهة الصغيرة ، مجرد محاولة للوفوف من نجدة الله وغوئه ، وكذلك للتأثير على هذا الغوث ولهذا السبب وحده ليست هناك أية طقوس لعبادته « نيامى » ، وقد يكون من الكفر أو الالحاد ، أن يجعل المرء من نفسه كاهن له ، وهو الرجل الذى يدعى لنفسه صفة الاتصال الشخصى به ، والذى يعرف كل طقوسه السحرية الخاصة • ولهذا السبب وحده أيضا ، ليس نمة لنيامى مذبح أو هيكل ، ولذا فان الاتصال به لكل راغب يكون عن طريق السحدث الى الرياح •

وقد تمكن الكهنة عن طريق ادعائهم الاتصال الشخصى بالآلهة الصغيرة وعن طريقها بصورة لا مباشرة مع الله « الكائن الأعظم » من



التحول الى العرافة والتكهن بالغيب ومن هنا اتسع نفوذ الكهنة من محيط الدين المجرد ، الى المحيط الاجتماعى أيضا . ولم تكن صفة العلمية لكل شئ ، ساملة كل التسمول للناس فى كل حين ولهذا باب الناس يلجئون الى الكهنة لاستشارتهم على اعبارهم مصدرا لا نضب ولا يخيب ، من مصادر المعرفة . وراح الناس يلجئون اليهم كما يلجأ المرء الى الموسوعات أو الى دوائر التحقيق الجنائى . ودائرة التحقيق الجنائى هذه منظمة علمانية ديوية ، وننضح علمانيتها من أسلوبها الواضح والمعروف فى العمل . أما عداسة الكاهن فتتضح أيضا فى طريفته المعروفة فى العمل وهى الادلاء بدلوه فى بشر المعرفة الشاملة أو العلمية بكل شئ التى هى صفة من صفات الله أو دوما نكوما . لكن طريقة العمل الديوية الحقة التى يمارسها الكاهن على أى حال لا تعل علمانية ان لم تعل انمارا عن طريقة دائرة التحقيق الجنائى . فهو بنظم كشاف يسعظون له الاخبار ويتلفقون الشائعات ، ويفومون بالمحربات اللازمة . كما يحتفظ فعلا بملفات ضخمة كاملة .

وكانت صغار الآلهة دائما مرتبطة ببؤره ، يمكن استدعاؤها اليه دائما عند الحاجة واستجابة للرغبة ويقول الكهنة أن الاله الكائن الأعظم هو الذى يوفدها فى سرعة كلمح البرق . ويسنطع الكاهن اذا كان دقيق الاننباه الى حد كاف ، ان يمسك بهذه اللمحة من لمح العظمة الالهية ، وان يعتقلها فى قمقم الى أن يجهز لها البؤرة المناسبة لها . والتى تكون فى الغالب اما فى الحجر أو الخشب . شريطة أن يكون مقبولة لديها . وبعد أن تتم هذه العملية يصبح الاله الصغير وسيطا بين الانسان والله . ولا تحمل هذه البؤرة فى حد ذاتها صفة القداسة ، ولكنها تغدو كذلك فى الفترات التى ينفذ الى داخلها فيها الاله الصغير سواء أكان مستدعى للدخول اليها أم غير مستدعى . ويزعم الكاهن بالطبع انه قادر على استدعائه الى بؤرته ويعلم المعبود الصغير عن وصوله اليها عن طريق حسد الكاهن الذى يصاب بنوبة من نوبات الرجفة . ويكون الكاهن عادة من النساء وان كان هناك كهان من الرجال . وستغرق عملية التدريب فى السامة فترة تتراوح بين السنين والثلاث سنوات .

ويبدو مافى هذه الطقوس من افساد خرافى ووساوس للعلاقة بين الانسان والله بوضوح كاف من علم اللاهوت المتعلق بالله نفسه . فالقول بأن الكاهن هو الانسان الناطق لله ( أونيجان كوبون كيامى ) كفر صارخ ولايضاح هذه النقطة أرى أن من واجب المرء أن يدرس ما يعنيه القول الاكائى المأثور وهو أن طرق الناس وسبلهم مختلفة لا يحتل الواحد منها مكان الآخر ويرتبط هذا القول بوجهات نظر الاكائين فى القضاء

والقدر . فالسائد على الاعتقاد هو ان هناك ناحيه فى الاساس تدعى «أوكر»  
وتعنى حرفيا « الرسالة » وان هذه الناحية تمثل القدر الذى رسمه  
الله له . وتقدم كل روح انسانية عند وفاء صاحبها الحساب الى يامى ،  
وقد يسمح لها بالعودة ثانية الى عالم الأجساد الفانية ، أو تحبس فى  
« سامانادزى » حيث تظل أرواح الموتى حائمة هائمة ، وهناك دليل آخر  
يقوم على صحة القول بأن العلاقة بين كل اسان وربيه مباشره وخاصة ،  
وهذا الدليل هو المثل السائر القائل ، بأن لا شهود هناك عندما تطلب  
روح الاسان السماح من الله ، ليتحول الى اسان من لحم ودم ، وكذلك  
القول المشهور بعدم وجود مقر أو دروب جانبية من قضاء الله وفنره ، أو  
القول بأن الانسان العاقل لا يحاول مطلقا تحويل الكلمات التى قالها له  
الله من قبل أو القول بأنه اذا لم يكن الله قد حدد موعد موت الانسان ،  
وحاول انسان آخر ان يقتله ، فان ذلك الرجل لا يموت أو بمعنى « لا يموت  
المرة الا اذا جاء أجله » وكذلك القول بأن الله اذا ملأ كأس اسان بالحمر ،  
وجاء انسان فان آخر فنعير بها وصب محتوياتها على الأرض فان الله  
يعود فيملؤها لصاحبها مرة ثانية ولا ريب فى أن هذه الأقوال كلها توضح  
تمام الايضاح مافى الحياة من قدرية ووحشة . ويبدو اللجوء الى الكهنة ،  
والى معبوداتهم الصغيرة كمحاولة للنفريج عما تبعه هذه القدرية والوحشة  
فى الحياة فى النفوس من عم وكآبة ولا ريب فى أن هذا التفيت الروحي  
يقف موقف التباين المباشر مع التنظيم الاجتماعى للاكانيين . وسأتناول  
شرح هذا فى المكان المخصص له فى هذا الكتاب .

وقد تعرض الله لنوعين من محاولات الافادة والنفع . وفى الامكان  
بالطبع توجيه الابنهالات مباشرة اليه . وكان الناس يرون فى استجابته  
لهذه الابنهالات ما يرضيهم ارضاء كاملا . ولكل بيت من البيوت عمود ذو  
فرعين على شكل الشوكة يسمى « نيامى دوا » . وعلى الشوكة يقام قدر أو  
حفنة تضم رأس فأس من الحجر لا يستعمل أبدا كفأس ، وانما يسود  
الاعتقاد بأن البرق هو الذى زرعه فى الأرض وتضم الحفنة بعض الماء  
الذى يحيط بأعشاب معينة وترش قاعه الدار كما يرش الناس أنفسهم  
بهذا الماء كل صباح كفرض من فروض الصلاة طلبا لحماية الله ورعايته .  
وتعتبر هذه الحفنة رمزا على الاقرار بالركون الى الله . وبالإضافة الى دور  
الله فى القضاء والقدر فقد استخدمه الاكانيون أيضا لتفسير المواهب الخارقة  
والطاقات الخاصة ولهذا فهناك قول مأثور بأن المرء لا يستطيع أن يلحق  
ابن الحداد طريقة السكب والصباغة ولكن الله يستطيع أن يلحقه ذلك .  
وهم يتولون أيضا أن الله اذا كان لم يمنح الطائر الحطاف شيئا فقد حباه  
على الأقل بالسرعة فى الحركة والالتفاف . وهناك حالات عدة ومختلفة يلجأ

فيها الاكايون لله . ولكنهم ياشدوه دائما العون والمساعدة في حفلات تنصيب الرعاء العمليين وفي الاستهلالات التقليدية في احتفالات قرع الطول الرسمية .

### نظريتهم في الانسان والمجتمع :

قد يرغب المرء في أن يعرض سؤاين هنا، أولهما : ما اذا كانت اجراءات علم النفس العامه مطبقه في افريقيا. وتابيهما : ما اذا كانت النتائج التي توصل اليها علماء النفس الذين درسوا المجتمعات الأوربية تستطيع الصمود في أفريقيا دون أن تنعرض لكبح جديد ، أو أن يعرض سؤالا آخر وهو هل تكون النفس الافريقية مختلفه تمام الاختلاف، ولا ينطبق عليها اكتشافات علماء النفس الأوربيين الذين بنوها على دراساتهم في أوروبا ؟ وقد يرغب المرء في أن يعرض سؤالا آخر بالطبع ، وهو ما اذا كان للافريقيين نظريات تحليلية خاصة بنفسياتهم . فالمعروف أنه لا بد للطريقة التي يحلل فيها أى شعب من الشعوب نفسيه الى صور ، من أن تؤثر على التفسيرات التي يعطيها هذا الشعب للسلوك البشرى . ولا بد لهذا التحليل وذلك التفسير معا من أن يؤثر على الطريقة التي يبنى فيها المجتمع ويساس . ففرويد مثلا مسئول الى حد كبير عن الميل المتزايد الى النظر الى بعض الجانحين والخطاة على أنهم مرضى ، عن طريق وصفه للنفس البشرية .

ولم يخل الاكايون بدورهم من مثل هذا الوصف . ولقد كما وا يميزون في الكائن البشرى شيئا آخر بالاضافة الى جسده يطلقون عليه اسم «او كرا Okra » وهذا الشيء هو الروح الموجهة للانسان ، وهى التي تحمل فصاءه وفدره وتنفذهما ، وهى الروح التي تستأذن قبل خليقة الانسان من الله ، في أن نحل فيه . وهذه الروح هى التي يؤدى فراقها للجسم الى موت الانسان ، مسجلة بذلك استكمال فدره والوصول الى نهايته . وتعود هذه الروح الى الله ، لتبرر له وجودها الأرضى . وتحتل هذه الفكرة مكانة بارزة عند الاكانيين حتى ان هناك قرولا مأثورا عندهم يعنى أن جميع الناس هم عيال الله وان ليس هناك من انسان هو ابن الأرض الذى يوجد عليها . والانسان وحده هو الذى يملك مثل هذه الروح ، القادرة على الظهور على الأرض مرة ائر أخرى في أجساد مختلفة ، وهى بدورها العامل الفعال في رسم الهوية الشخصية للانسان . ولعل هذه النظرية هى التي نسجها الاكانيين على الحديث عن النفس الحقيقية للانسان .

وتعير الروح بوصفها العضاء والقدر ، اسمها لاشارات حسن الطالع ونذر سوء الطالع . وهى اشارات ونذر يعتقد ان الانسان يستحقها وانها تمثل شيئا محتوما لا مناص منه ، ومناسبا تمام المناسبة . وعندما ينزل

حسن الطالع أو سوءه بالاسنان . يقال عنه أن روحه الموجهة هي التي أنزلت به ما يستحقه . وفي الغالب على الاعتقاد ان روح الانسان الموجهة يمكن أن تستجوب على أيدي الكهنة ، حتى قبل ولادة الانسان أى وهو فى رحم أمه . ولا ريب فى أن هذا القول أيضا محاولة الحادية لتقصي وربما لتحويل ما أفره الله من قبل . ولا ريب فى ان باطنية الاكايين يجب ان يحكم عليها فى النهاية على أنها شيء من الخرافات .

وقد أبرز الاكايون أيضا بالاضافة الى الروح الموجهة ، شيئا آخر فى الانسان اطلعوا عليه اسم « سانسوم » . ولقد اعتبروا الروح شيئا « آليا » فى أعماله ، حتى وهو يوجه النصائح عما هو خير وعما هو شر . ولا تتبع نصائحه أو تنسى من اهتمام خاص بل من الكشف الحسمى عن القضاء والقدر المعين له . وفى وسع هذه الروح أمام الخطر والحالة هذه أن تكون الوسيلة فى خلاص صاحبها لمنع الموت من الوقوع مبكرا . أما القول بان الانسان بموت فى الوقت المحدد له ، فيغدو على ضوء ذلك وادا شئنا الدقة شيئا لا معنى له فى مفاهيم الاكايين .

ويطلق الاكايون على قضاء الانسان وقدره اسم نكرابيا Nkrabea وكان القضاء كثيرا ما يبدو للانسان على شكل حمل ثقيل ، اذ على الرغم من أن القضاء كان الأساس فى هويته الشخصية فان الانسان الحى لم يكن يربط نفسه بعمره . وكان يقال على الانسان الذى لا يأتى له قضاؤه بحسن الطالع ان له « أوكراپرى » أو قضاء اسود ، وكان يقال أيضا ان الرجل صاحب الطالع الفرمزى ، يأكل دائما الثوت والنمار الطيبة ويرتدى الملابس المطرزة . أما اذا كان قضاء الانسان اسود على سبيل المقارنة فان هذا يعنى المقت والكراهية . ولم يكن فى وسعه أن يستأنف أو يستندى لتحسين قضائه ، اذ أن المشاكل تلاحقه وتناوبه بحثا عنه .

ويبدو أن « السانسوم Sunsum » كانت مادة روحية تعتبر مسئولة عن « السوبان » التى تعنى الشخصية والعبقرية والمزاج والكيف وتكون « السانسوم » معنوية فى عملها لا آلية ، كما أنها قابلة للتهديب والتنفيذ . وبينما تكون الروح « الاكرا » هى العامل الذى يمكن الانسان من التنفس وتكون بالتالى مصدر حياته فان « السانسوم » ليست كذلك وكان يظن بأنها تستطيع أن تغادر الجسم أثناء نومه . وهى تمثل الشخص النائم الذى يتراعى فى الاحلام كشخصية مسرحية . فالانسوم بالنسبة الى الانسان هو الروح التى يمكن للسحر أن يهاجمها ويوصف كأساس للخلق أو الشخصية ، بأنه قوى أو شرير ، أو طيب . ويمكن للمرء عن طريقه أن يصبح ساحرا ، أو ساحرة اذا كان المرء انشى .

وابرر الاكايون أيضا عبارة « نورو Ntoro » ويكون هذا المسمى

ورايها ، بينما لا يكون الروح « أو كرا » أو « الساسوم » كذلك . ولا يخرج هذا الشيء من جسم الانسان عند موته كما تفعل الروح ، بل ينتقل منه الى أطفاله فان لم يستطيع انتقل منه عن طريق أخيه الى أولاده أو بناته . ويحل «نتورو» الوالد محل «نتورو» الوالد حتى سن البلوغ أو الرشد . وليس للبلوغ عند الاكانيين سن معين ولكنه يعرف ويميز بظهور التعرق الوجه مع عزارته ويبدأ « ساسوم » الطفل عمله عند البلوغ . ولكن «نتورو» الأب لا يتوقف كلية عن العمل لهذا السبب . وينسب الاكانيون في ايضاحهم الخصائص الموروثة كل شيء الى « نتورو » الوالد ، كما ينظرون اليه على أنه مجموعة من الخصائص بل طراز فرد قائم بذاته من الشخصية . وهم برون أيضا أن تعاون « نتورو » الوالد مع دم الأم على شكل قرابة . هو الذي ينسلك الجنين ثم يصوغه على شكل انسان .

وأبرز الكانيون أخيرا « الموجبا » Mogya وهو طراز من العوامل الروحية وبات أساسا للعشيرة أو ما يسمونها « ابوسوا Abusua والانات وحدهن هن اللاتي يمنحن هذا الشيء والموجبا هذه هي التي تتحول عند موت الانسان الى سبيحه « سامان Saman ويحتفظ الشبح بهمكه البدني . وقد تتاح له فرصة التجسيد . على الرغم من أن هذه الفرصة لا يمكن أن تتاح الا عن طريق امرأة من نفس العشيرة ولا يستطيع حتى التجسيد نفسه ، نمكين الانسان من تغيير العشيرة التي ينتمي اليها .

ويبدو من نظرية الاكانيين عن الانسان ان الشخصية والخلق الانسانيين كانا يعتبران مرتكزين على مجموعة من العوامل والناثيرات ومنها الروح الموجبة « أو كرا » التي لاتصلح للتهذيب أوالتنقيف والتي لانحرف عن جادة الحق « والسانسوم » القابلة للتهذيب عن طريق الترائع والسنين الادبية وعن طريق نظام العقاب والثواب التي تؤلف قاعدة المسؤولية الشخصية والمعنوية « النتورو » التي يرئها الولد عن أبيه والتي تتصل الى حد كبير بوصف عدد من الاجراءات المعينة وتجذب اجراءات أخرى ، مبلورة الخلق عن طريق عمليات التحريم الدينية ، وأخيرا « الموجبا » التي تضمن أن يكون الانسان مسئولا عن عقله وأن يكون انسانا حقا ولكن العوامل الروحية كانت تحتل في نظرية الاكان عن الانسان دورا أساسيا .

وكان يظن أن الانسان بعد موته يظل قائما في شكل الروح التي تعود الى مملكة الأرواح ، وفي شكل « الموجبا » التي تتحول الى شبح « سامان » يحمل نفس المعالم البدنية التي كانت في الرجل المتوفى . ولا ريب في أن هذه « الموجبا » المتحولة الى « شبح » هي المعنية فيما يسمى خطأ بعبادة الاسلاف .

وأبرز آكانيون أيضا ثلاثة أنواع مما يسمونه « نسامانفو Nsamanfo

فهناك أولا السامانبا Samanpa أو السبج الطيب . وكانت صفة الطيبة تطلق على السبج اذا لم تمل وفاة الانسان صاحبه سلسلة من النكبات العامة المتسيرة الى سوء الطالع كوقوع وفيات أخرى في أسرته أو في المجتمع الذي كان يعيش فيه أو اذا توقفت بعد الوفاة سلسلة سابقة من نائبات الموت كانت تحل بالأسرة قبلها وتكون هذه الأشباح عادة حية وتختفي وراء الزوايا ، عندما ترى انسانا حيا .

وكان هناك أيضا « السامان – بوين – توين Saman-Twen-Twen وهو السبج الذي لا يمكن دفعه أبدا . وكان مثل هذا السبج يظهر عادة على فترات ويراه الاحياء حول الأماكن التي كان يؤمها صاحبه . وتعجز هذه الأشباح عن الذهاب الى عالم الأرواح التي تنتمي اليه . وتظل تحوم حول الزوايا المعنمة أو في الباحات الخلفية للمنازل . وتستمر هذه الأشباح في الهيمان حول الأرض كعقاب موفوت أو ازل لها . وهي لانملك قدرة على عمل الشر ، وتكتفي باحداث الخدوش ليس الا .

واخيرا كان هناك « الوفو Tofo » وهو سبج الانسان الذي لفي حنقة على نحو عنيف ومات ميتة قاسية . ونظرا لسوء طالع هذا الانسان فان طقوسا خاصة تحمل طابع الاستنكار ، تجري له عند دفنه . ولا تستطيع هذه الأشباح ان تظل على وفاق مع الأشباح الطيبة ، ولذا تظل هائمة على وجهها وقد صبغت نفسها بالطين الابيض وارتدت ثيابا بيضاء . وهي على النقيض من الأشباح الطيبة كثيرة الجراه واستمرازيه في تصرفاتها .

وكان ينسب الى الأرواح انها تحمل رائحة معينة يقال انها تسببه رائحة النونوم Nonom وهو نبات يحمل رائحة عطرية معينة تشبه رائحة العبير ويكون السبج ، عندما يرى ، مرنديا حللا بيضاء دائما وهو لا يحمل مطلقا طابع الود والصدقة ، ولذا يحذر المرء دائما من أنه اذا لمي شبحا ومد اليه هذا السبج يده لمصافحته فان عليه أن يسحب يده بعيدا فوراً عن يد السبج . لكن السبج الطيب ينهال عادة بالدعوات الصالحات لليتيم الذي خلفه صاحبه السبج . وللأشباح بظائر ما للناس من حواس وعواطف ، وبينها الجوع والظمأ والغضب وكثيرا ما تتطفل بسوء من عدم الكياسة على الموائد فتأكل غير مدعوة ، ويظهر أثر ذلك على المائدة اذ تختفي عنها صحاف الطعام بسرعة هائلة مما يدل على نشاطها في الأكل وفي الشرب أيضا . ويلجأ الناس لمنع الأشباح من التهام طعامهم وشرابهم الى اسقاط كسرة من الخبز على الأرض يطرد سقوطها الأشباح عن المائدة . وترفع المقاعد الجالية أو تقلب رأبها على عقب في غالب الاحايين لمنع الأشباح الضانة والمنهوكة من القعود عليها، واذا ماحاول انسان الجلوس على مفعد

يحتله احد الاشباح قبل ان ينهض عنه فانه يحس على الفور بالام شديدة  
فى خاصره .

ونسكن الأشباح الى حد كبير فى عالم الأرواح ويقف الاكانيون من  
هذا العالم موففا يجمع بين الاجلال وبين التطور . ولعل أصدق وصف لهذا  
الموقف هو قولهم : انه لو لم يكن فى عالم الأرواح من سوء سوى الاسم  
الذى يحمله لكفاء هذا سوءا وعلى الانسان ان يذهب بنفسه الى ذلك العالم ،  
اذ أن الرسائل لا تقبل ولا تحمل منه . ولا يستطيع المرء أن يذهب اليه  
أيضا أنى شاء وأن يعود منه متى أراد ولو كان «أورفيوس Orpheus (١)  
اكانيا ، لما عرف طريقا آخر له الى العالم السفلى سوى الموت . وهناك نظام  
اجتماعى كامل بسلوكه ورعاياه يسود عالم الأرواح . ولكن لا يعرف على  
وجه التحقبق اين يوجد هذا العالم . يقول بعضهم انه يقوم تحت الأرض  
وبقول البعض الآخر انه هناك عاليا فى السماء . ولكن سواء كان هنا أو  
هناك ، فان هناك طريقا بينه وبين القبر ، انى كان هذا القبر . وهذا العالم  
فسيح الأرجاء ويضطر المسافر اليه ، الى ارتقاء الجبال صعدا ، وهبوط  
الوهاد وتكون الطريق الى عالم الأرواح بالنسبة الى الرجل الذى يموت  
ميتة طبيعية هادئة ، مظلمة وقاتمة . أما الرجل الذى يموت ميتة عنيفة  
فانه يسقط بعض الصلصال الأبيض منه على الطريق التى يسير فيها .  
وهذا هو السبب الذى يجعل الطريق اللبنية ( المجرة ) فى السماء بيضاء  
اللون . وهناك فى الوقت نفسه اتصال بين الأرواح والناس . والصعوبة  
الكبرى فى الذهاب الى عالم أرواح ليست ملاحية ، وانما تتعلق بالحلول  
وتناسخ الأرواح . اذ لما كانت السماء تعيط بنا ، فان التحدث الى الله  
يتم عن طريق التحدث الى الرياح وتكون أرواح الجدود والاسلاف فى عين  
الطريقة فى تناول الدعوة فى كل حين . وفى الامكان اسنداعاؤها حسب  
الحاجة عن طريق طقوس من الابتهاالات الخافتة التى لا يرفع الصوت  
فيها .

---

(١) اورفيوس : من أبطال الاساطير الاغريقية وأشهر شعراء اليونان المنائيين فى  
عصر ما قبل هومر . عاش فى تراقيا . قدم اليه الاله اولو قيثارا . عرف عليه أعذب  
الالمان التى لم يطرب لها الناس وحدهم بل طربت لها الانهار والصخور التى أطاعت  
أوامره . بنى نعروس من عرائس الاحراش تدعى يوريديس التى ماتت متأثرة من عضه  
نعمان ، وهم اورفيوس باعادتها من العالم السفلى الذى مصت اليه بعد موتها فهبط الى  
ذلك العالم حيث أخذ يعزف على قيثارته مستجديا عطف الاله بلوتو الذى سمح له  
بالدخول وحمل زوجته على كتفه دون أن ينظر اليها حتى يصل الى العالم العلوى ، ولما  
خالف الشرط ونظر خلفه ، احتفت يوريديس أمام ناظريه وراح يهيم فى الممان مزدريا  
حب نساء تراقيا اللائى صبون له ففطنته اربا اربا ثارا لقنوبهن الحريجة ولكن عرائس  
الشعر والموسيقى جعلن هذه الارب ودفعنها عند سفح الاولب بينما نزل كبير الالهة  
« زيوس » قيثارته الى النجوم .

— العرب —

ويستدعى الاسراف فيما يسمى بعبادة الاسلاف ليفدموا النجدة والعرى الى ذرارهم ، الذين يلقونهم بكل مظاهر المجلة والاحترام فى هذه المناسبات . واساس هذا الاجلال مزدوج ، فالشق الاول منه هو أن هؤلاء الجدد هم أسلافنا أو الكبار منا وهم على الاساس يستحقون اجلالا والثانى أنهم فى وضعهم الروحى أكثر تبصرة منا ، اد أنهم على اتصال دائم بجواهر الامور وأصولها ويكون الاحتفال بعبادة الاسلاف أيضا فرصة لتذكركهم ، وشكلا من أشكال التلاحم العائلى . ولا يمكن للأسرة الاكانية الا أن تنمو ، ولا نستطيع أن نتخلص أو تصفر . وذلك لان الاسلاف يؤلفون جزءا دائما منها . ولكن لما كانوا لم يعودوا يمتنون الى نسق الاقائيم الثلاثة للآحياء فمن الواجب العثور على دروب للتساور ، معهم والوصول اليهم . وتخلق هذه الضرورة الحاجة الى الطفوس . وليست طفوس عبادة الجدد أو الأسلاف طقوسا دينية للعبادة ، وانما هى مجرد أساليب مبتكرة للانصال . وليس تمة من احساس بالصفة الذاتية أو سلبية الذات عند الآحياء اناء ادائهم هذه الطقوس . ولا تكون السلالات التى ينمى اليها هؤلاء الاسلاف مبتكرات سياسية وان كان هؤلاء الاسلاف يعدون انفسهم للاستعمال فى صياغة المطالب السياسية وتبويبها . وهم فى حد ذاتهم مقدمات للنريبات السياسية . ولعل هذا هو السبب حقا فى امكان ادراجهم فى البرهنة على هذه المطالب والادعاءات ودوام التسلسل العائلى هو فى حد ذاته أيضا أسلوب للحفاظ على الونائق العائلية .

وتكون السلالة مجموعة منعاقبة شكلية ورسمية كل الرسمية ، وهى كاملة كل الكمال فى اعرافها ومحظوراتها ، ورموزها وسخصيتها . وترمز السخصية الى درجة رفيعة من الاندماج والتكامل والنظيم . ويوجد الدليل على هذه الحقيقة فى البيانات التى يقول ان هذا أو ذاك ليس من الخلق أو السخصية لا جزئيا ولا كليا . ولا تكون للامة أية سخصية الا اذا كانت هذه السخصية منظمة تنظيما عاليا فى مواقعها وفى استجاباتها . ولما كانت السلالة بالنسبة الى هذه الاهداف نظاما مغلقا ، فانها تكون صاحبة سخصية ، يمكن أن يطلق عليها فى الحقيقة اسم « سخصية مجموعة » وقد لا تكون فكرة السخصية المجموعة بعيدة عن المتناول وقد يرجع شأنها بسرعة الى الجنان أو الجحيم وذلك بسبب التنسيق القائم فى مفاهيمها . لكن الطبيعة الوراثية « للننور » والموجيا تضفى على أى حال وحدة اضافية على السلالات القائمة عن طريق الامهات ، وتعزز السخصية المجموعة أيضا . وتضفى العلاقات المترابطة لعدد من السلالات فى المجتمع بطريقة معينة شيئا من التنسكيل الرسمى على المجتمع الاوسع أيضا وتخلق الأساس لسخصية المجتمع وسخصية المجتمع هذه زبدة نظرية الاكانيين فى شئون الدولة . فهم يجسمون الدولة تجسيما كاملا . ويعطونها الأولوية على كل



فرد • ويصدق هذا أيضا بالنسبة الى العشيرة أو ما يسمونها « أبوسوا » Abusua وتنفوق الدولة « أومان Oman في معرض المفارنه على العشيرة • وتفرض القرابة التي يخلقها التنظيم العشيري أولا وقبل كل سىء واجبات على أعضائها • وبهذه الصورة يصبح المجمع الاكانى قائما على الواجبات لا على الحقوق • أما الواجبات فطفوسية وبشرية فى آن واحد • ونثبت اقدامها على الصعبد الانسانى • ولا يعصد من مسئولية العضو فى العشيرة نجاه سعادة الأعضاء الآخرين وخيرهم ، تشجع الكسالى ، والحمقى من الآخرين ولا يعنى هذه المسئولية ، مطلقا أن يخرج المرء على اجماع العشيرة وان يهرع الى مساعدة المحتاجين ، الحمقى • وهناك مجموعة من الأقوال المأثورة التى تؤكد هذه النقطة • فعندما يكون المرء فى حاجة فانه يلتقط الجوز أو اللوز من كومة الباذورات هذا ما يقوله أحد هذه الأقوال وهو لا يفيد كبير فائدة فى استخلاص صورة عن ابناء العشيرة • وهم بيننا لون بوجودهم على شخص واحد • وهناك أقوال أخرى نسير على هذا المنوال ..

**عندما تكون فى حاجة ، فانك تأكل جند الماعز .....**

**: تحيل الحاجة الاشراف الى عبيد ألاء •**

**: الفكر يشبه الجنون •**

وتتخذ مسئولية عشيرتك شكلا فعالا ، عندما تغدو غريبا فى قربة من اقربى ، أو عندما تغدو معدما ذا خصاصة ، أو تتراكم عليك الديون .. دون جريرة منك ، فتصبح قريبا من لحدك . وهناك قول يؤكد الحاجة الى التضامن والدوام عندما يعلن أن العشيرة أسببه ما تكون بشجرة مزهوه تمثل ايناعها فى مجموعات وعناقيد ، وهناك قول آخر بأن شجرة العائلة لايمكن تشذيبها أو قطعها .

وعلى الرغم من أن العشائر ، هى أساس الدولة فانها لم تكن متساوية من ناحية الأهمية . فهناك عشيرة واحدة أو فئة خاصة من العشائر ، يختار منها الحكام دائما ، هذا اذا افرضنا التكافؤ فى سائر الامور الاخرى . ويقول الاكانيون ان جميع العشائر متساوية ، وان هذا التساوى يسعدنا . ولكننا نتطلع على أى حال الى الجوازات التى تخرج انزبت . ولا ريب فى أن اقامة سلم طبقي عشائرى يعد ابتكارا تماسكيا فى بناء الدولة اذ أن هذا السلم أقام الأساس للقيادة أو السلطة للحكم فأضعف بذلك من احتمالات الصراع على السلطان من النوع الذى يهدد بالتجزئة « بينما حافظ فى الوقت نفسه على طرز من ديمقراطية القيادة عن طريق الانتخابات .

واتجه تعليم الشباب كله اتجاها جماعيا . فالدولة تجسّد فى

هذا التعليم على أنها تضم عددا من الاسلاف المبجلين . وعكست في تجسيد منظور ببيان العالم الروحي ، الذى تظل على اتصال دائم به . ومن هنا كائب الدولة والحالة هذه بناء دبنيا . وقد وجه تعليم الشباب توجيهها يضمن العناية بهذا البيان الدينى ويتسد من ازره . وهناك قول من الوعظ والتحذير ينص على انه عندما شرع الدولة فى الانهيار ففى الامكان العنور على سبب هذا الانهيار فى البيت . وهناك قول آخر يؤكذ وجوب استكمال امتصاص الفرد فى الدولة وينص على انه عندما تشرع الدولة والشعب فى الشجار ، وينسج الواحد منهما رأس الآخر ، فان آثار هذا التسج تظل فى مكانها لا تمحى ، ولا ريب فى أن هذا القول يضمن اطلاقية حق الدولة فى طاعة الافراد . لكن حق الدولة هذا لا يحمل طابعا استبداديا أو طوعيا وانما يقوم على التفكير ، وعلى الاقرار العام باهميتها . مع الميل كل الميل الى تحقيق الخير العام .

وكيرا مايظهر بالراى القائل بأن الانسجام بين المجتمعات الافريقيه يعرض حدودا ضيقة على حرية الفرد وحوافره وانه قد يؤدى أيضا الى الكثير من الخور وضعف العزيمة ، لكن فى هذا القول فهما خاطئا ، ولا ريب ، فمن الواجب فى كل دولة خلق الاجهزة اللازمة للحفاظ على الأمن العام ونوطيد دعائم الانسجام العام والحيوية والكفاية . وهناك فى الدولة الحديثة منظمات قانونية للحفاظ على الامن والاستقرار ، كما ان هناك مجموعات من المنظمات المهنية وشبه المهنية تقوم بوضع قواعد إضافية للسلوك . كمنظمات الصحفيين والمحامين والاطباء ولاعبى كرة المضرب ( التنس ) وهلم جرا . وهناك أيضا نواد وراى عام يقران ساسلة من الاجراءات التى تضمن الانسجام عن طريق الافكار المتعلقة بما يجب ألا يفعله الناس ، وما يحق لهم أن يفعلوه . أما فى المجتمعات التى لاتكون منظمة على هذا النحو فان الاهداف التى تسعى اليها هذه الهيئات ، وما تزال مشروعة ومرغوبا فيها . ويفدو التطوير الواسع النطاق لروح الجماعة ، الطريق الأفضل لتحقيق هذه الاهداف . وقد نمت هذه الروح فعلا فى مجتمع الاكانيين عن طريق التعليم والراى العام . وعندما تظهر تلك الهيئات والنوادي التى اشرنا اليها الى حيز الوجود فان الافراد يقدون متحررين من الالتزامات المباشرة الصالحة تجاه مجتمعهم . ويعبرون عن التزاماتهم هذه بصورة مباشرة عن طريق الولاء لهذه الهيئات والنوادي . فالالتزامات مازالت على حالها ، وكل ماتغير فيها هو منظرها . ولكن لما كانت هذه الالتزامات قد غدت الآن أضيق تركيزا ، فان الفرد يحصل على شعور من التحرر ومن المبادرة والقدرة على الخلق ، ولقد كان تقسيم دولة الاكان الى عتائر فى

طريقة أيضا لتخفيف الاعباء التي تعرضها الدولة على  
في وسع الافراد أن يركزوا عنايتهم على العشيرة بدلا من  
سؤليتهم المباشرة عن العالم . وكانت العشيرة وسيلة لاختفاء  
بة على روح الجماعة .

، هذه الفائدة من العشيرة قد مالت بصورة حتمية لانها  
امات الافراد نحوها الى التزامات روحية ومعنوية الى  
ة الفرد في التعبير والعمل ، في أكثر من مجرد ولاء اجتماعي  
ولاء مهني الى منظمة . وكانت العقوبات التي تفرض بالنسبة  
عدم الولاء ، صارمة كما هو منتظر تماما . وكان ينظر الى  
في البنين المجتمعى ، كخطر يهدد تركيب المجتمع الذي  
ح الموتى من الاسلاف . وهكذا كان عدم الولاء للعشيرة  
عض الحالات المعينة وكأنه يحمل طابع انتهاك حرمة  
، أما عدم الولاء للنادى أو للمؤسسة المهنية ، فلا يعرض  
بب التحديد في التوجيه الى أكثر من عقوبة الطرد أو  
عندار . فالمجتمع هنا لا يمكن الفرد من الشعور بالتهديد  
يتسعر المجتمع هنا بمثل هذا التهديد من جراء عدم الولاء

إذا كانت العشيرة قد حددت حرية التعبير والعمل ، وحددت  
الأحاسيس عند أعضائها ، فعليها ألا نسننح من ذلك أن  
فاستلا أو معرضا للحصر والاختناق . ولم يعمل الحظر الذي  
التعبير عن بعض الآراء الخطرة والمليحة ، عمله الا بحضور  
سيرة واسلافها وقد تدمر أساتذة المدارس من الصعوبة التي  
، حمل الاطفال الافريقيين على التعبير عن آراء معينة في  
ولا يرجع السبب في هذا الى أى افتقار في الافكار المحدودة  
لاصلية والخلافة وانما الى العجز عن طريق التنشئة عن  
نين ، وهم يمثلون هنا الاساندة معهم في أعمالهم . ولا تقف  
شاء التي يكتبها الأطفال انفسهم موقف التوازن والتطابق مع  
ى يلقونها ، ويمتد هذا الموقف من المدارس الاولى الى  
، وهناك قول مشهور عند الاكانيين يضع كلمات المسنين في  
اويد والرقى . فالمسنون هم مستودع الحكمة الشعبية ،  
كديهم أو مخالفتهم بسهولة . ويقوم بربير هذا الموقف في  
واقعة وهى أن حكمة افريقيا كانت دائما من الطراز العملى .  
الخلاص العملى بين من يتعلمون وبين من يعرفون ، في المسائل  
يت لا يكون للاخطاء من نتائج جذرية أكثر من تلك التي  
اضاعة الوقت والجهد خلافا لا منطقيا وتافها ، ولكنه يكون

فى الوقت نفسه تمرىنا نافعاً ، وعندما يكون المسنون محتلين مراكز عالية فى السلم الاجتماعى ٥ لا يمكن للخلافات العامة مع الناس الاقل سناً والاخفض مكانة الا أن تؤدى الى خسارة فى المهابة وفى مانحمله مراكزهم من قدرة على التأثير . وقد تكون الحكمة التى مثلوها كافية لمطالب العتسرة واحياجاتها ومطالب الدولة واحتياجاتها فى الوقت الذى عاشوه فى الماضى ولكنها لم تعد كافية اليوم . ولذا فقد بات الخلاف معهم فى هذا العصر الجدد من البحث والاسنقصاء أمراً معقولاً .

وكانت القيود على العمل ، لا يفرض عادة الا فى حالتين : حالة اختيار الزوجة ، وحاله اختيار الطريق الذى سيسلكه المرء فى حياته لتأمين معاشه . وفى حالات الزواج ، تبرز جميع الافكار والاعراف المتعلقة بالتسلسل العئسرى ، وتتخذ صفة العمل . ويكون الزواج عند العشائر من الابعاد الا بالنسبة الى الملوك الذين يستنون من هذه النقاعدة لاسباب معينة ومن الطريف أن السبب فى الاستثناء هو عين السبب الذى أدى الى وضع القاعدة العامة . أما بالنسبة الى ما كان يفرض من قيود على حرية اختيار العمل الجبانى . فهذا سىء متوقع فى مجتمع لا تتوافر فيه وبشكل بارز الفوائض فى السلع والثراء . وكان اقتصاد المجتمع الاكانى مجرد اقنصاد قوى . لا فائض فيه الا القليل . وفى مثل هذه المجتمعات كالمجتمع الاكانى . تكون الفرص قليلة ونادرة وكان ارباب الفكر الذين لا عمل آخر لهم يجدون أنفسهم مرغبين على الاعتماد كلية على رعاية الملوك والكبراء ولما كانت طوابع الفرد مرتبطة كل الارتباط ، مع طوابع أسرته فان اختيار الفرد للعمل الذى يعتاش منه . يفدو أمراً مندمجاً مع كيان الأسرة اذ لما كان تراء الفرد بعتبر مصدر عون ماضى للأسرة فى أوقات التسدة ، ولما كان عوزه بفرض التزامات الفوط على الأسرة ، فان اختبار مصدر الرزق بالنسبة للفرد يفدو مرتبطاً براء الأسرة ومشاعرها . ولم يكن هذا الاختيار ينطلع الى الاكتفاء الذاتى فحسب بل كان يهدف أيضاً الى الوفاء بالالتزامات العائلية . ومع نزايء الفرص واتساعها ، أصبح فى وسع عدد أكبر من أفراد الأسرة أن يكدوا ويكدحوا لا لخيرهم فحسب بل ولخير أسرهم أيضاً . وكلما ازداد عدد هؤلاء القادرين ، كلما قل خطر دعوتهم الى مد يد العون ، وكلما زادت فرصهم فى التحرر والانعقاق .

واعتمدت قواعد التغبيلية فى الفن والادب والتقنية أكثر ما اعتمدت على الفهم الفردى ٥ لا على الحاجة الاجتماعية .

والسبب الذى يشرح ظاهرة الزواج من الابعاد عند العشيرة وظاهرة الزواج من الاقارب عند الشيوخ ، هو عين السبب الذى يفسر

الحق في الوراثة والتسلسل . ولا يمكن فهم حق الوراثة دون فهم نظرية الملكية فلقد عرف الاكانون نظامى الملكية الفردية والملكية العامة وأمروا بهما . وكان ادراكهم في الحقيفة لأبار الملكية انفرادية ونتائجها كبرا . وكانت الارض هى الشئ المهم الذى يمتلك مشاعيا أو بصورة عامة . فهى ملك مشترك للعتيرة كلها بصورة مستديمة من احيائها وأموانها ، ولا يمكن خروجها من هذه الملكية لا ككل ولا على أجزاء . ولم يكن نظام الملكية القائم على المزارعة ، يتضمن أى حرية فى التصرف بالارض وليس فى انكلترا أى شكل من أشكال الملكية المطلقة للارض ، اذ أن المالك النهائى لها هو الملك ممثلا الدولة . ولعل أقوى أسكان الملكية المتاح فى انكلترا لرعايا الملكة ، هو حق الجيازة المطلق المستند الى الايجارة الاسمية . واذا مانظرنا الى هذا الحق نظرة عملية بالنسبة الى أهدافه العملية ، نبين لنا أنه لا يعدو أن يكون ملكة مطلقة . ا.هـ . عند الاكانيين فكان التطبيق العملى ، معادلا للنظرية فى انكلترا . فالارض فى عهدة العرش أو عهدة مقعد الشيخ القبائى . وهما يقومان على رعايتها وصاية عن الشعب ، ولم يكن حتى للشيخ نفسه حق التملك المطلق للارض المصنفة فى فئتي « اراضى الادارة » و « اراضى العرس » ويستقل الصنف الثانى من الارض شخصا من قبل الشيخ الحاكم طيلة الفترة التى يظل فيها شيخا ويقتضى السماح بالتدخل فى هذه الارض موافقة شخصية من الشيخ . أما اراضى الادارة اشاعة للعرش أو لمقعد الشيخ ، فهى الممتلكات الخاضعة لسلطة الشيخ وصلاحياته وهى فى الوقت نفسه المناطق الارضية التى يملكها رعاياه . وكان النظام السياسى الاكائى يفصل بين الارض والسكان ليقم على اساس هذا الفصل نظام الحكم فى البلاد ، وتقوم محكمة الشيخ وتحت اشرافها بتوزيع الاراضى الادارية أو اراضى الدولة ، توزيعا متكافئا بقصد المزارعة والتصرف . وكان هذا النظام يعم افريقيا كلها ، ولم يتعرض لبعض التعديلات الا نتيجة لبعض الاحداث التاريخية كما وقع فى اوغندة مثلا ، حيث ادخلت أنظمة تفصيلية مسهبة يمكن ايضاحها على ضوء العناصر الاقطاعية التى ادخلها الفزاة الاجانب .

وادت ندرة الممتلكات الخاصة التى تحول موضوع تعيين الوراثة الى قضية شكلية . وكانت الأولويات فى الميراث تصنف على النسب التالى :-

- ١ - الاخ الاكبر من الام نفسها .
- ٢ - الابن الاكبر للاخت الكبرى .
- ٣ - الحفيد عن طريق البنت .

٤ - فرع آخر من الاسرة نفسها .

٥ - العبد « الرقيق » .

وعلى الرغم من أن تسلسل الورانة كان شكليا ، فان احتياجات الوصاية ، جعلت من اعتبارات المصلحة . أمرا لازما فالوارث كمورثه لا يملك من حقوق الملكية الا انتصرف فيها . ولذا ففي الامكان بخطيه دون اية ضجة اذا لم يكن صالحا لهذا التصرف . وكان يطلب أن تتوافر في الوارث مؤهلات نسكية وغير نسكية ، أى الطاقة والقدرة . وكانت العاهات أو العيوب البدنية بالاضافة الى العجز ، سببا يدعو الى ايثار الابن الاكبر للاخت الكبرى على الاح الاكبر من الأم نفسها . وكان الرقيق يفضل أحيانا على الاعضاء الاحياء من الاسرة نفسها . وهناك مبدأ قانوني يطبق فى المنازعات على الارث وهو يقول بكلمات عدة . ان أبناء الاخوة والاخوات لا يرتون طالما أن هناك أخوة من أم واحدة .

وهناك بالطبع سبب لهذا الترتيب فى الارث فالمرأة فى عرف الاكانيين هى مصدر العائلة . ولهذا كان أبناء الاسرة والعشيرة يحددون بالنسبة الى القرابة عن طريق النساء . فالأم هى التى تلد الطفل . وهو أقرب فى الظاهر الى أمه من أبيه . فهى التى تحمله فى رحمها وهى التى نرضعه من دمه . وهى التى تقضى على ولدها « الموجيا » وهو العامل الروحى الذى يقرر شكل الطفل . وهناك قول مأثور بأن أم طفلك هى قريبتك . وكانت حيازة الملكة وسيلة اقناع لتحديد الورثة بأولئك انذين يرجعون فى ظاهرة « الموجيا » الى مصدر مشترك . وكان التزاوج بالنسبة الى الملوك أو كبشار الشيوخ ينحصر فى العشيرة نفسها ، للحفاظ على نبالة العشيرة ولتقرير صحة نسب الملك تقريبا كاملا .

ولم يكن خط الورانة بعيدا عن طراز التنظيم الاجتماعى فعندما يفقد التنظيم وجودا قائما بذاته . أو شيئا فى حد ذاته لا يرجع فى مسورته الى غيبيات الاولين فان المجتمع يساس على اساس اقتصادى محض . وعندما تغدو المهام الاقتصادية للذكر فعالة الى حد معين فان خط الورانة يتحول الى ناحية الآباء بدلا من الامهات . أما عندما تكون المرأة هى التى تتولى تصريف هذه المهام ، فسواء اكان المجتمع يعود فى أموره الى غيبيات الأسلاف أم لا يعود فانه يظل مرتبطا بأواصر السلالة عن طريق النساء . وفى مجتمع الاكان ذى الطابع التقليدى الصرف . كانت الام هى المسئولة عن أداء الالتزامات الاقتصادية للأطفال مسئولية كاملة تقريبا . ولهذا كانت ارتباطات الاطفال بأمهاتهم

نعبر بدورها ، من النوع الذى لا يقسم عراه ه وهناك قول مأثور بأن  
على الطفل اذا ما وقعت أمه فى معرة ألا يحاول النخل عنها بحنا عن  
أم جديدة .

وكانت بريبة الطفل عملا يفتضى من الام الانهماك كل الانهماك  
والكب على تنشئته . وقد مكنت حكمة الاكانيين وتجاربهم من تأمير  
رصيد ضخّم لهم فى هذا الميدان . وكانوا يفرسون الفضائل فى أطفالهم  
عن طريق التمرين العملى أكثر من الفهم النظرى .

وهناك كما يتوقع المرء عدة أقوال مأثورة وحكم تنطوى على هذه  
الفكرة . واود هنا أن ادرج بعض هذه الاقوال أ

« لا ينسأ الطفل الذى يريد له اهله النجاح فى حياته ، دائما  
على فراش لين من الورق »

« حد السكين التى لا تأمير لها ، هى التى تنطلق حرة من يدي  
الطفل » .

« اذا حاول الطفل التمارض وادعى الموت ، فعليك أن تتظاهر  
بدفنه » .

« اذا اقترب الطفل سبع سيئات ه فان نتائج خمس منها تترد  
عليه » .

« اذا أصر الطفل على الامساك بالفحم المحترق بيده ، فعليك أن  
نسمح له المجال ليفعل ذلك . وعندما تحترق يده ، لا تجد نفسك  
مضطرا الى تشجيعه على القاء النار من يديه » .

ولنصائح المسنين قوة وتأثير أكثر من الرقى والتعاوين . وفى  
وسع المرء أن يستخلص من هذه الحكم والأمال الشعبية السابقة  
أن الاكانيين كانوا يؤمنون ايمانا عميقا بانضباط الاطفال ، وكانوا  
يمنحون لكبر السن الحق كل الحق فى ارشاد السباب وتوجيههم .  
وكانوا يؤثرون الحكمة دائما على السلطة والقرض ، وهذا أمر يظهر  
بوضوح فى أنظمة الارث عندهم . وكانوا يقولون أن الحكيم العاقل ،  
يولد قبل أن يولد السيد المطاع . وعلى الرغم من أن الاكانيين تسفوا  
بالحكمة كل التسف ، فان موقفهم من الحمقى ، لم يكن قاسيا أو  
صلبا ، وانما ينطوى على السخرية والزراية الخفيفة . ونظرهم الى  
الحكمة نظرة عملية ، فالاحمق هو الذى يخسر دائما فى مجالات  
العمل ه ولا يكتفى بالتدليل على عجزه فى ميدان النظريات . وها انا  
أدرج بعض الامثال والاقوال المأثورة عن الحمقى ..

يقول الاكاثبون .. « يقول الاحمق دائما ، ان المعنى صديقى لا أنا » . وهم يعنون فى قولهم هذا مايمير به الاحمق من قلب ، ومن نهرب من المسئولية ، ومن عجز عن الافادة من شىء ، لاندفع الى فمه دفعا . أما الحكيم العاقل ، فينتفع كما يفترض كل انسان ، من كل شىء .

فهم يقولون .. « عندما تتلو منلا على مسامع أحمق ، فعليك ان نشرح له مايعنيه » .

وهم يقولون أيضا .. « الاحمق فقط هو الذى يحتاج الى من يفسر له المثل » .

ولا ريب فى ان هذا القول .. يعنى تماما ما بعنه المثل اللاتينى المشهور .. « الحكم تكفيه الاشارة » .

ويتحدث الاكاثبون عن عدم تبصر الاحمق فيقولون .. « عندما يبعثر الاحمق ذهبه ....، يكتفى بأن يقول .... ان الخلل أصاب ميزانه » .

ولما كان الاحمق لا يقوم بأعماله مفتوح الاعين وعن بصيرة ، فهم يقولون .. « الاحمق هو من يبيع له الناس « الطماطم » التى يملكها » وأعرب الاكاثبون عن مقتهم للآراء العلمية الاكاديمية الصرفة في قولهم ....

« الحكمة لبست كالمال ، فهى لا تقيد ولا تخفى »

ويؤدى الافتراض بأن الحكيم ينتفع من كل وضع من الاوضاع الى تفسير حرقى واقعى للحياة . وهم تمهيدا لهذا الاحتمال يقولون بتىء من الفلظة والجفاف ..

« عندما يتعامل حكيمان عاقلان مع بعضهما تختفى العواطف فى تعاملهما » ..

وهم يقولون فى المعنى نفسه ..

« يستخلص الحكيم العاقل ثمانية جنيهاً من الاحمق ببئس واحد » .

ولكن هذا الطراز من التعامل لا يطرى كثيرا ، ولذلك فهم يوجهون التحذير التالى ..

« عندما تحتال على أحمق ، يكتفى العاقل بالتفرج عليك » .



وتسهل ألوان الحكمة الاكانية العملية والخيالية ، وهى تعكس صور الحكمة الافريقية عامة على المجتمعات الافريقية بصورة فورية مهمة تعصير هذه المجتمعات واعادة بنائها على أسس حديثة . والحاجة الى الاعمار واعادة البناء ، هى فى حد ذاتها مهمة عملية . وتؤلف مشاكلها، الموضوع الذى سأتطرقه فى الفصل الاخير من هذا الكتاب ، وأرى أن اكتفى هنا بالقول ، بأن مواقف الاكانيين المتعلقة بالحياة هى فى واقع الامر مواقف عصريه وناضجة كل النضوج . فلقد كانت روح الجماعة قوية كل القوة على الصعدان الخفضة المعنية من الانماء الاقتصادى، وتوحى طبيعتها السلبية مبدئيا ، بعدم التدخل فى شئون هذا الانماء . ويتطلب الاعداد للنهوض بافريقيا اقتصاديا الكثير من الآلام والتضحيات التى تقتضى اعادة النظر فى مواقف الافريقيين بصورة عامة من الفقر والثراء . وهنا يجد الانسان نفسه مضطرا مرة ثانية الى العودة الى الامثال والاقوال السائرة ، للكشف عن المبادئ التى ننطوى عليها هذه المواقف ، وعن الاحكام التى يمكن صدورها فى قضايا الاقتصاد المالية . وهنا أدرج بعض الامثال ذات الصلة بالموضوع . اذ يقولون . .

« فى حالات المسغبة والعوز الشديد ، يعيش الانسان فى الغابات كما تعيش الحيوانات » .

« الخصاصة تدفع المرء الى البحث عن « الجوز » فى أكوام القاذورات » .

« بحيل الفاقة التريف الى عبد »

« الففر هو الجنون »

ولا ريب فى أن هذه الامثال توضح الحدود التى يستطيع الففر أن يدفع بالانسان اليها . ويظهر تشبيه الفقر بالجنون ، حكمة بالغة واستشفافا مهما لذلك المظهر من مظاهر اللامسئولة التى يخلقها الفقر فى بعض الأمزجة . لكن الاكانيين لم يكسبوا على أى حال ذلك الانطلاق من الطاقات الخلاقة التى يستطيع الفقر أيضا دفعها واستفزارها . وقد اظهر الاكانيون فى اعترافهم بما يصحب هذه الطاقات من فسوه ووحشية ، ما يميزون به من انسانية أساسية . ولقد سبق لهم أن قالوا . . « لو لم نعرف أوروبا الفقر لما ترك الرجل الأبيض أهله ليعيش فى بلاد الرجل الأسود » . وبحسب هذا القول النقاب ، عن أن الروح التى غلبت على بعض الاكانيين فى الدفاع عن أنفسهم ضد محاولات الاوروبيين استيطان اراضيهم أو انتزاعها لم تكن ناجمة دائما عن التعقيدات الغريبة التى يربطون بها اراضيهم الى أفكارهم . وهكذا تحقق لهم بسرعة فهم العلاقة القائمة بين

الحاجات الاقتصادية والحوافز الى فظائع الاستعمار . وقد اكتشف وجه الشبه القائم بين الففر والجنون في أقوال محدودة ، عن المزاح الذى يسيطر على الرجل الفقير ، كالقول المأثور ..

« ليس للفاقة من أصدقاء »

وتحليل الفاقة الانسان في المجتمعات السعوية الصحيحة ، اما الى اله أو الى وحش كاسر .. كما يقول المثل ..

« لا يفضب الرجل الفقير أبدا » ..

ولا ينجم هذا الموقف عن أن الرجل الفقير لا يستفز ، فالفقر وقوة الشخصية ضدان لا يجتمعان أبدا .. وقد نواترت أمثال عدة أخرى ، عن حطة مكانة الفاقة ، نجتزىء منها مايلى :

« لا يتناقل الناس أقوال الفقراء المأثوره »

« يفصل في قضية الرجل الفقير في جلسة قصيرة »

« عندما يرندى الفقير قلادة من أرق أنواع الحرير ، يقال بئنه يرتدى حجاما من الاحجمة التى تعلق في رقاب الاغنام » .

« .. انا في حاجة ، أرجو أن نعمل شيئا لى » .. هذه هى الطريقة التى نقلب الناس فيها عبيدا » .

ويظهر الاكائيون في القول الاخير مدى احترامهم للاستقلال الشخصى ، ولا ريب في أن هذا الاحترام كان مرتبطا بالمسؤولية السلبية والاشتراطية التى تحملها العشيرة بالنسبة الى عنايتها بأفرادها وليس ثمة من شك في أن المجتمع السعوى الاكائى يشبه الى حد بعيد « دولة الرفاة الاجتماعى »

وكان الاقتصاد الشخصى أمرا مفروضا . وكان يطلق على كل من يفتقر اليه صفة الحق ، كما سبق وبينت في المثل الذى أوردته عن الاحق والمتعلق بموازينه . ويقول الاكائيون أن الفاقة لا نحدد موعدا أو تاريخا لمجيئها .

ولاحظ الاكائيون أيضا العلاقة بين السلطة والمكانة والثراء فقالوا ..

« لايمكن للمرء أن يضايق آخر بفقره »

« الفنى هو رجل السلطة »

« المال أحد مضاء من السيف »

« عندما يأتى المال ، ويمضى ، لا يخلف وراءه شيئا »  
« المال كالخادم ، ان أسأت معاملته ، فر منك ومضى »  
« عندما يشمل رجل ثرى ، يقول الناس عنه انه معكر المزاج »  
« تختفى دائما الأنام التى يقتربها الفنى »  
« الشهرة القائمة على رفعة النسب لا تنتشر ، أما الشهرة القائمة على الثراء ، فيذيع أمرها وتنتشر »

« لا بطبح المرء رفعة سببه وبأكلها ، لكن النراء هو كل ما يهم »  
ولم تكن الفاقة مرتبطة بحكم الضرورة مع الرق ، عند الاكانيين ، وان كانت من ناحية المنزلة الاجتماعية مرتبطة به . وكان فى وسع أى عبد من العبيد أن يطالب عن طريق الكفاية ، والقدرة ، بالحق فى الورانة ، كما كان فى وسعه على سبيل اليقين أن يغدو ثريا غاية الثراء فى كبر من الحالات . وكانت هناك طرق ثلاث متبعة فى تحول الانسان الى عبد من العبيد . فهناك أولا أولئك الذين يتطوعون بوضع أنفسهم تحت تصرف احد السادة ليتولى حمايتهم واطعامهم وايوائهم ، أو حتى ليتناولوا منه أجورهم . وكان هناك نانيا أولئك الذين يضعهم أقرباؤهم رهينة أو ضمانا لديون يقترضونها ، وحتى يتم تسديدها . ونضم هذه المجموعة أولئك الذين يلقى عليهم القبض لكونوا رهائن وفاء لدين فى العملية التى يطلقون عليها اسم « بانيارنيج » . أما الفئة الثالثة فتضم أولئك الذين بولدون أرقاء من آباء وأمهات من الرقيق . ويعمل أفراد هذه الفئة عادة فى حمل الأفعال ، وتقديم العون فى زراعة الأرض .

وكان العبيد يؤلفون جزءا من متاع البيوت ، حتى ولو كانوا من احط الفئات أو أفراد المجتمع ، وعلى الرغم من انه لم يكن لهم خيار فى انتقاء ساداتهم ، إلا انهم لم يكونوا يعاملون بقسوة وغلظة ، اذ ان القول المأثور عن الاكانيين ، يؤكد أن جميع الناس هم عباد الله . وان ليس هناك من عبال للأرض . وكان السؤال يوجه دائما الى الذين ألفوا اساءة معاملة عبيدهم ، وفى هذا السؤال الكثير من المنطق والبلاغة . ما اذا كان « كوبوبى » سيستطيع حمل الطبل الضخم والكبير لو انه كان بشرا ، ولدته امرأة . وكان فى وسع العبيد أن يتحرروا من الناحية النظرية اذا أقاموا الدليل على معاملتهم بوحشية . وكان يقال فى الوقت نفسه أن المرء لا يقتنى عبدا ، ليلقى المهانة منه أى من هذا العبد . وقد سجلت سفاهة بعض العبيد فى القول المأثور ، بأن العبد اذا جمع بعض الثروة ، نسب نفسه الى عشيرة « نسونا » Nsona . ذات المركز القيادى . وكان يسمح للعبيد باستغلال الممتلكات التى يحصلون

عليها بالطريقة التي يشاءونها ، وكثيرا ما أصبح بعضهم أكثر براء من سادتهم ، وجمعوا حاشية أكبر حواليتهم ، وسيطروا على جنود من الاحرار .

ولم تكن هناك في الوقت نفسه أية مسؤولية على العبد من الناحية النظرية ، وعندما يقترب اية أخطاء أو أعمال ، سواء أكان ما يفترفه في خدمة سيده أم لا ، وتنفيذ لأوامره أم لا ، فقد كانت مسئوليته هذه الاخطاء نحمل على السيد نفسه . والسيد هو المسئول عن ديون عبده . وعن التعويض على ما يلحقه بالآخرين من اضرار . وولاء العبد وطاعته لسيد المباشرة ، ولا يمكن أن يطالب سيد السيد بنقلها اليه . ويرجع الاكانيون في اصول الرق عندهم الى الايام التي فقد فيها بعض الاشخاص الحائرين والقلقين استقلالهم . وأصبحوا يعتمدون في معيشتهم وأمنهم على غيرهم . ويقول المدافعون عن تجارة الرقيق وهي تجارة لا شأن لها بأوضاع الرق عند الاكانيين انفسهم بشيء من المكر ، ان من حق الغرباء أن يشتروا أطفال الاكانيين ، اذا كان أبائهم يملكون الحق في بيعهم وقد كتب روبرت Roemer المؤرخ الدانمركي الذي عاش أمدا طويلا في ساحل الذهب وبلاد الاشانتى كتابا في عام ١٧٤٩ نفى فيه هذا الادعاء أشد النفي . وقد بنى الادعاء نفسه على سوء فهم لعبارة « اوبا Oba » الاكانية فقد فهم التجار الاوربيون العبارة الاكانية « مى دزى مى بابى اوبا Me dze meba bi oba » على أنها تعنى « لقد جئت بولد معى » بينما تعنى « لقد جئت بفلام - أى فلام معى » وهى عبارة يقولها الاكاني عندما يعرض شخصا للبيع .

## نظرية الاكانيين فى الحكم

تقضى نظرية الاكانيين السياسية بأن الحاكم يستمد سلطانه كله من الشعب . وأنه بمسك بهذا السلطان وصاية عن الشعب ووكالة له . وقد تضمن النص باقالة الحكام والاسس التى تبنى عليها هذه الاقالة ، هذه النظرية تضمننا واضحا وصريحا . . وعلى الرغم من ان هذا الراى لم يكن أكثر من نظرية تقييم أسس السيادة فى الشعب . الا انها لم تكن سلبية كل السابية فى فحواها وإنما كانت تضع أيضا اجماع رأى الشعب وقونه كلها وراء الاعمال التى يقوم بها الحكام . وكثيرا ماوضعت قرارات الحاكم بالفعل على لسان الشعب وباسمه . فلقد قيل على سبيل المثال بأنه اذا قام الناس برسم صورة سخيفة على رأس انسان فانه لا يستطيع أن يمحوها . وكان الخروج على اجماع الراى ، حتى عند التعبير عن رأى ، بل القيام بعمل ، يعتبر عملا من أعمال الحماقه ينظر اليه بالكثير من عدم الرضا . والوقت الصالح للتعبير عن جنون انسان أو تطرفه ، هو الفترة التى تجرى فيها المشاورات . وكان اصرار الفرد على رأى يخالف ما انفق عليه الراى العام وأقره ، وأعان عنه بعد الكثير من التشاور يعتبر شرا هداما . فالاكانيون شديداو التعلق بمبدأ الوحدة . ولهذا فان نرف ما يعرف بتقارير الاقلية . كان غربا على تفكير الاكانيين وأنظمتهم السياسية .

وقد يكون من التسرع كل التسرع ، أن ينظر الى هذا الوضع على أنه حد من حرية التعبير بالنسبة الى الفرد . فمن الواجب السماح بهذا الحد . حتى فى أكثر الانظمة الليبرالية تطرفا ، فاذا كان فى الامكان التفريق بين هذه الحرية وبين القوضى على أى حال . فان من الواجب أن تكون هناك نقطة فى ممارسة حرية الكلام والخطابة يعتبر تجاوزها اعتداء على حرية المستمعين أنفسهم يجب منعه وعدم السماح به . وتكشف أقوال الاكانيين وأمثالهم عن حقيقتهم وهى أنهم شعب ذو تفكير عملى . وتتمثل لهم قيمة حرية التعبير فى الناحية الممكنة من الحقيقة التى يمكن أن تكشف عنها هذه الحرية . أما اذا كان لا بد من انقيام بعمل ، فهناك نقطة يجب أن يتوقف النقاش عندها. لكن وقف النقاش لا يودى بالطبع الى اغلاق الامكان المنطقى للنقد السليم . ولكن لما كان العمل يجب أن يتم فى الوقت المحدد له . فان

مظهر الاجماع يجب أن يحفظ به في الآونة الى يتم فيها العمل الذي يحسر النقاب عن عقائد غير مستفزة وعن مواقف فيقال انه يستدل التسك في الصواب ، بالتأكيد بوفوع الخط الاكائبون بنظرون الى الاصرار على التعبير عن آراء معارص الوصول الى قرار ما ، ولهم كل الحق في نظرهم هذه ، بأنه يه مخربا ومجزئا بل ومضعفا . وكانوا من أجل ذلك يهدرون الذي يفف مثل هذا الموقف ويجردونه من حمابة القانون . في أن هذا الطرار من الهدر . الذي يؤكد المسؤولية الجماء سعمور الوحدة . اذ أن القرارات العلنية نفدو رابطة للجم استثناء ودون اكرثا بالآراء والمواقف التي عبر عنها أو انه الوصول الى تلك القرارات .

وخوفا من أن يشكل الهدر بالنسبة الى الاصوات المح صدور اقرارات والتي تهدد الوحدة أي اجحاف بالنسبة الى من الفرقاء ، فان اتريبات قد احدثت بالنسبة الى ج ووحات النظر ، لسمع بحرية وتناقش . وكانت القرارات طبعا للغالبية الكبيرة ، وهي على أي حال أقرب معادل عملي وكان الناس في المجتمعات الصغيرة يدعون الى الاسواق العام في المنافسات السياسية . أما في المجتمعات الكبيرة . فكان استحالة عملية في عقد مثل هذه الاجتماعات . وكانت المناق قبل كل شيء بين النيوخ المنتخبين الممثلين لمختلف العشائ يتولون في الوقت نفسه دور المشر الناصح للرئيس الاعلى . قول مأثور عند الاكائبين بلغ مرتبة الحكمة السائرة . وهو هناك حاكم سييء . ولكن هناك ناصحين أشرارا .

وبنطوى هذا المثل على أمرين هامين . اولهما : الخضو المركز في شخص الرئيس الاعلى . وتانيهما : اشتراك المجموع كما أما مباشرة عن طريق جميع الافراد شخصا أو لامباشرة عن ط للشعب المنتخبين منه . وهكذا فان التعادل القائم بين شبه جعل من تأثر القرارات أمرا حتميا . وهناك قول مأثور عا مع هذه الظاهرة وهو يقول : اذا أراد الملك أن يقتل رجلا المجدى مطلقا الاقتراع على ذلك . ولم يكن نمة أي شك في الملك . فقد كان يقال ان الملك ، اذا أنزل مسغبة بالناس ، ردو الى الشعب . ويبدو أن الملك كان يمثل لهم شخصا تقف الآ شفتبه . وكانت موافقة الملك على القرارات غير لازمة نظريا من المفروض فيه أن يضيف عليها قيادته المعنوية . ولم يكن م ان يعقد الصلح أو شن الحرب وحده أو طبقا لرأيه ، كما

صلاحياته نخوله الدحول في معاوصات او نوفيغ معاهدات ذات صلة بمصالح شعبه أو سن العوانين بصورة استغلالية .

وكان السبخ الاكبر يعتمد بصورة مستمرة في رفاه حياته وسعاداته ، وذلك بسبب صلاحياته الدستورية . على طاقته الشخصية وعلى آراء شعبه ومستشاريه لا سيما وأن مكانة الدولة المقدسة كانت تفضى على الملوك الذاتية عند هؤلاء وهى الملوك التى تبرز عادة إبان المعارك على السلطان . وعندما يموت أحد الملوك تؤول ممتلكات الدولة الى وصاية الملكة الوالدة . وعلى الملك الجديد أن يسبت أولا كفايانه وطافاه قبل اسعادة حقه فى الاشراف على الممتلكات ففى حالة « كوى كاربكاي » مثلا وهو الملك التاسع عشر من ملوك الاشانتى فى غانا . وقد سبى بالعوه رغم نحوله . وبالكرم والدمائة ظلت ممتلكات الدولة بعيدة عن اشرافه طيلة الاعوام الخمسة الاولى من بولبه الملك .

وكان مركز الملك يحمل طابع القداسة أكثر من طابع المنصب السياسى ولما كان الملك محاطا بمستشارين تعتبر مراكزهم من المناصب السباسبية . ولما كان الملك نفسه يمثل الوحدة الروحية القائمة عند الشعب . فقد كان فى الامكان خلع الملك من منصبه شريطة أن تقدم سلفا قائمة بالاسباب التى تدعو الى الاطاحة به من منصبه .

ويمكن خلع الملك عن عرشه لعدة أسباب يعتبر مزرية بالمركز الذى يسفله . فالملك الذى بصر باستمرار على تقديره التخصى للامور ، ضاربا عرض الحائط بالرأى المشترك لمستشاريه مجتمعين ، يتعرض للخلع والعزل . وكان يقال ان الشعب لا يستطيع أن يشرب الماء مع منل هذا الرجل . وفى الامكان أيضا تنحية الملك اذا كان ظالما ، أو كان مسبدا ، أو شريرا ، وينحى الملك اذا ببتت عليه بهمة الرشوة أو الاهمال لسئون الدولة أو الافقار الى الشرف فى معاملته للنساء . ويمكن خلع الملك أيضا اذا وقف موقف المشاكسة مع مستشاريه ، أو اذا أصيب بعاهة أو مرض يحولان دون ادائه واجباته وتصرف سئون الملك .

لكن عملية الخلع هذه لا تتم بسهولة ، اذ على الرغم من أنه قد يحاكم دون معرفته أو علمه . فان على مستشاريه أولا ، أن يأخذوا رأى هيئة أخرى وأن يحصلوا من هذه الهيئة على موافقتها . بأن هناك نهمة يصح توجيهها الى الملك . واذا لم يكن فى الامكان الحصول على هذه الموافقة . فان محكمة سرية تعقد حيب يدلى الشهود بساداتهم وحيث تفحص هذه الشهادات فحفا دقيقا ويقدم آنذاك تقرير رسمى الى رأس العشيرة الملكية ، وهو شخص آخر غير الملك طبعا . وعلى الاثر يتولى هذا دعوة الشيوخ الاصفر مقاما ورؤساء العشائر ، ولا

ينجى الملك عن عرسه الا بقرار اجماعى منهم . وكان الملك يغرم أحيانا على الاساءات التى يرتكبها والتى نجى عن عرسه بسببها . وهناك قول معروف أيضا ، بأن خدم الملك هم الذين يؤمنون للملك هيئته . وكانوا يشبهون اذن الملك بسلة مفتوحة ، عدد فتحاتها أكثر من ألف . وكانوا يقولون أيضا أنه يشبه شجرة « الدودوم » لا وجه لها ، ولا مؤخرة . وهذا يعنى ، استحالة التأمر على الملك سرا أو علانية .

وكان النسيوخ الوزراء هم الذين يتولون الادارة السياسية فى دولة الاكان وكانوا ينتخبون ليمألوا بعض المناصب ذات الاختصاص أو حتى بعض الوزارات . وبوزع المناصب على مختلف النسيوخ الذين يفدون مسئولين عن الخطابة والاحتفالات والدعابة والفرش ، والقبور والموسيقى . وادارة العاصمة ، والفصر الملكى ، والحرس والقوات العسكرية .

ويطلب الى رئيس دائره الخطابه ، أن يكون مسئولا عن المحافظة على سجلات الدولة وأوراقها . وكانت هناك أغان نمجد مافام به الاسلاف من مفاخر وأعمال عظيمة ، والمعارك التى كسبوها ، والتعوب التى أخضعوها ، والخصال المميزة لهذه التعوب . وكان هذا الرئيس ينصرف على الموظفين المدربين تدريباً خاصاً على ضبط مثل هذه السجلات والاحتفاظ بها ، والذين يتمتعون بمواهب انشائية ننطوى على الدوق الأدبى . وكانت هناك أناشيد مدرسة عديدة ، لبعث الروح المعنوية وتثديدها نحفظ وتسلم على مدى الأجيال من منسد الى منسد . وتناقلت هذه الأجيال قطعاً أدبية صرفة ، يقصد منها متعة الجماهير العقلية ، وكانت التعديلات والزخارف تدخل على هذه الروائع الأدبية لجعلها مطابقة لكل وقت من الاوقات فى موضوعها . وتضمن الانتاج الأدبى : القصص والروايات القصيره واللوحات والرسوم والمسرحيات والقصائد والاشعار الفصصية . وتم عن هذا الطريق تطوير لغة أدبية لا تستعمل فى لغة الحديث واكمال النواقص فيها . وكانت الاحتفالات هى الفرص التى نعاد فيها بلاوة التاريخ والمذائح . وكان القسم الكبير من هذه التلاوات يصحب عاده بقرع الطبول ، بحضور الملك الحاكم . وكانوا عن هذا الطريق يعرضون على مسامعه ، الاعمال العظيمة التى حققها أسلافه فكان يجد نفسه طائراً معها الى ذرى رفيعة من البطولة والانتصارات . وقد حددت هذه الاناشيد أيضاً الاوضاع التى يكون فيها الملك ، والمراسم التى يحاط بها ، فهى نجعل منه مركز الولاء للدولة ، كما تحطم أى حماس تورى عليها . وكانت مجموعة صغيرة من المنشدين تحصر نفسها فى تحديد مستمر ومتواصل



لمركز الملك الحاكم ومهامه . ونكرار الإشارة ... اليه عن طريق الاطراء  
واطلاق الفاظ المهابة عليه .

أما التاريخ الذى تسرده هذه القرارات فمزخرف وموسى الى حد  
بعيد وكان ينتخب بحذر وعنايه كل أساره الى الجدران المحلله لقطاعات  
الشعب المعبده حرصا على عدم بجزئها وضمانا لى يكون وحدة  
الشعب دائمه وكامله . وكانت عمويه الخطأ أو المميز فى هذا المجال ،  
الموت الفورى لمركبيه ، فالجلاد ينف مسدبا من السلطان فوق رأس  
المؤرخ الرسمى . الذى يؤدى قراءته . فقد تمت امبراطورية الاشانتى  
بصورة خاصة عن طريق الفتح . وعن طريق سىء من الموبوساطة  
الاندماج . وقد بذلت الجهود كلها لطمس آثار هذه الحقيقة ، ولطمس  
التاريخ الصحيح وأصول الشعوب المحتلة التى وقعت فى نساك الاشانتى .  
وكانوا يجئون بمؤرخى البلاطات الملكية السابقة عند هذه الشعوب الى  
بلاط الاشانتى فى كوماسى ، حيث يعملون باصرار واسنمرار ، ناريجهم  
الرسمى الجديد . وكان الاشانتيون يشبهون أنفسهم بحيوان الدليل  
أو الشيهيم . الذى يحب السلام فى أحواله العادية اذا لم يستشر غضبه  
بسىء من العناد ، والا فانه ينقلب الى حيوان أحمق ، تسيطر عليه نزوات  
من الغضب . وتتوحد كلمته مع بظائره من هذه الفصيله حول هدف  
واحد ، ومركز مشترك . وهكذا كان ملوك الاشانتى ، أكثر ملوك الآكان  
قوة ونالقا فى التاريخ .

وكان الاكياميهيون (Akyeamehene) كبير الناطقين بلسان الملك . اذ  
ان الملك قد لا يتحدث مباشرة الى شعبه . وكان رئيس حملة صولجان  
الملك ومساعدوه مسئولين عن حمل هذا الصولجان والتنقل به من ناحية  
الى أخرى . وجعله فى متناول الناس فى أى حين أما حفارو قبور الملك  
فمسئولين عن الحفرة التى تعلق فوقها جثث الملوك الموبى مدة ثمانين  
يوما بفصد تجفيفها قبل نقلها نهائيا الى المدافن الملكية . ويرأس الحرس  
المكى أحد أبناء الملك أو أحفاده . وذلك باجراء أمن وقائى . وقد  
لا يؤدى قتل رأس الاسرة أو الخلاص منه الى التأثير على وراثته . وهم  
يثقون من ان هؤلاء الورثاء سيستجيبون الى تبدل الاوضاع فيكيّفون  
أنفسهم وفقا لها . وكانت دولة الآكان منظمة ومستقرة كل الاستقرار ،  
فهى لا تعرف تقريبا الفتن والاضطرابات اذ أن الاجراءات السياسية  
فيها حبيبة وودية ، وكان العصيان أمرا متروكا بحكم الطبيعة الى  
الشعوب التابعة الخاضعة ولا ريب فى أن مرد الكثير من الامن المدنى ،  
والرضا عن الاوضاع ، يقوم فى تفريق الآكان الفريد فى نوعه بين -  
الرتبة والعشيرة وبين السلطان . ولم يكن السلطان ظالما لاية طبقة من

الطبقات . وفي الامكان أن يكون السلم الطبقي في العشيرة أو في الرتبة مختلفا كل الاختلاف عن السلم الطبقي في السلطان . وأخيرا أرى أن المجتمع الأكائي في حاجة الى الايصاح على صعيد ما فيه من مساواه روحية .

### النظام القضائي :

لم يفسم الأكايون أعمال الادارة والقضاء على عدد كبير ومختلف من الافراد والهيئات . وكانت الهيئات نفسها من رأس الاسرة الى الملك في مجلس مسيساريه هي التي تتولى هذه الشؤون . وكانت انعكاسا للهيئات التي بنى وصنع العواصم هي أدرى الناس بأهميتها . وأبها والحالة هذه خبر هئته تتولى الفصل والوساطة بين الهيئات المتنازعة . وكان في الامكان الجمع بين السلطان على هذا النحو بالطبع ، عندما كانت مهام القضاء بسيطة ، وحالية من التعهد الذي لا لزوم له . وكان خطيب الملك هو الذي بنى عمليا دور خبره القضائي أيضا .

ولم يكن الفرق كبيرا بين المخالفات المدنية والجناح الجنائية وكانت هناك طريقة بسيطة ، وهي أن يقسم المرء اليمين ضد خصمه ، ليحيل القضية من جنحة الى مخالفة مدنية . وكانت نتيجة هذا الاجراء أن العقوبات لا تفرض بالنسبة الى خطوره الجنحة المرتكبة ظاهريا ، بل بالنسبة الى الاصرار في ملاحقة القضية ومتابعتها ولم يكن هناك سجون أو عقوبة بالحبس ، فالعقوبات لا تعدو الموت والغرامات .

وتعقد المحكمة جلساتها عندما يرغب المدعى ، المتهم على الظهور أمامها ، بعد أن يؤدي الاول اليمين ضد خصمه . وكان كل يمين يحمل مجموعة من العقوبات والغرامات تتناسب مع خطورته . فالموت مثلا هو عقوبة الشخص الذي يقسم خصمه اليمين على رأس الملك . أو الذي تشير تهمة الى كارتة قومية . أما الغرامات المفروضة فتقرر على ضوء خطورة اليمين المؤدى من ناحيه وعلى وقائع القضية التي ينظر فيها ، وما فيها من أدلة . وكان من حق القضاة الذين يرأسون المحاكم أن يختاروا أي الفريقين في القضية يجب أن يؤدي رسم اليمين القانوني . وفي وسع الفريق الذي يعتقد أنه ظلم في قرار أن يستأنف بأداء اليمين لقاض أكبر ، حتى يصل الى أداء اليمين الملكي . وفي وسع أي انسان عادي أن يؤدي اليمين ضد أي شيخ ، مرغما اياه على الظهور أمام المحكمة والتعرض للمحاكمة .

وكان من الواجب التعويض على حالات الموت التي تنتج عن حوادث عارضة . وكان من حق ورثة المتوفى أن يحددوا مبلغ التعويض وقدره الذي ينق عليه طبقا لوضع المتوفى ومركزه في المجتمع .

وكان يسمح للعائل المدان والمحكوم عليه بالموت . بأن ينفذ الحكم في نفسه اما عن طريق التفجير أو باطلاق الرصاص على نفسه . وكان يسمح لمثل هذا الشخص بفترة زمنية تنقضى بين صدور الحكم عليه بالاعدام ، وبين تنفيذ هذا الحكم .

وعقوبة السرقة هي الغرامة ، وتكون في حالات امكان اعادة المسروقات الى أصحابها . وتتولى اسره السارق نفسه فرض العقوبة البدنية عليه وكانت هنالك انحرافات رأسماليه معوجة في قوانين السرقة . فلو فرضنا نقديم فضية معفولة ، بأن سرقة قد وقعت ، وأن هذه السرقة قد عرضت الشخص المسروق منه الى خساره ربح كان بنوع الحصول عليه ، نحتّم أن يشمل التعويض دفع فسخ رأس المال الأصلي للسلع المسروقة ، والارباح التي كانت متوقعة ايضا . وكان هذا القانون يطبق في العادة بالنسبة الى الحيوانات التي تسرق في المزارع .

ونتم عفود الزواج بدفع مهر للعروس . كثيرا ما ينخفض المهر الجنبه الواحد الى اسره العروس المستقبل . ولم تكن موافقة العروسين سرطا لازما - اذ لما كانت الاسرة عند الاكانيين كبيرة ومندمجة ومكاملة . فان مصلحة اكر من العروسين تتأثر بالزواج المقصود . ولم تكن المتسوره التي يقدمها الاسرة في هذه الحالة ، ظالة أو استبدادية ، بل كانت تركز على اعتبارات يعترف بها كل واحد من الناحية النظرية . ولم يكن في وسع الرجل أن ينزج من بنات عشيره وكان الراعب في الزواج ، ينحري عن اصول الفتاه التي يريد البناء بها وارتباطاتها العائلية ، ويستترط ألا تكون لها قرابة بالفتلة أو المجانين . ولما كانت الاسره تعتبر قيدا على حرية الفرد في عقد زواجه . فان الطريقة الصالحة لعرض الموضوع هي القول بأن الزواج كان بحول دون البطولات الشخصية . ولكن يجب أن يعترف من الناحية الأخرى ، وفي الوقت نفسه ، بأنه عندما تزال بعض الموانع العائلية فان مدى المكنات الفردية تيسر ، وهذا يؤدي الى احساس متزايد من الحرية عند الفرد ، وهي حرية صالحة لتطور المجتمع التصنيعي والى الطريقة المدنية في الحياة .

وكان اكتساف فقد الفتاه عذريتها قبل الزواج ، يعتبر سببا كافيا للطلاق وكان في مكنة الزوج في هذه الحالة أن يستعيد المهر الذي دفعه على اعتبار أن الزوجة نعاقدت على الزواج وفق بيانات كاذبة . اما اذا كان اتهام الزوج لزوجته بفقد عذريتها كاذبا ، فان في وسع واليه العروس ، أن يستدعي العرس الكاذب أمام مجلس قضائي ويقدم الادلة على طهارة فتاته . وان يطلب من الزوج المدعى دفع التعويض

على الاضرار التى لحقت به . وفى قدرة الفناة اذا رغب ان نعلن الفاء الزواج فى هذه الحالة .

وكان الزنا يعتبر جنحة بالسسبة الى المرأة المتزوجة ليس الا وينعزض رقبها فى الجنحة الى الفرامه . ولقد ظهر شيخ شرير من قبيلة اكواموا ، تزوج جميع النساء فى القرى التى احتلها . ثم غاب عنهن نحواً من عام ، ليعود بعدها فيجمع الفرامات الحتمة . وفى وسع الزانى أن يحتفظ برفيقته الزانية كزوجة له ، سريطة أن يدفع تمويضا مناسباً يرضى عنه الزوج الذى أسىء اليه ، وإن يشمل هذا التعويض قيمة المهر ، والنفقات التى يحملها عن زوجته حتى موعد الحادث . ولم يكن يسمح للمرأة بانمام الزواج الجديد فى الحال ، وكثيراً ما اوقف الزواج الجديد عن الاكمال ، لان الترتيبات لم تكن الا وسيلة لتغطية عار المرأة الزانية ، واضفاء سكل رسمى على جريرتها . وبالطبع كان الاكانيون يعتبرون جريمة الزنا أساساً كافياً للطلاق .

ولا يمكن اعتبار علاقة الزوج علاقة زنا الا اذا كانت هذه العلاقة مع امرأة متزوجة أخرى . ولا يمكن أن تعتبر علاقته من الزنا اذا كانت مع امرأة عانس لأن الزواج محدد من ناحية تعدد الزوجات .

وكانت القسوة فى المعاملة والاهمال سببين كافيين للانفصال الزوجى كما أن هجر الزوج لامرأته مدة ثلاث سنوات ، يعطى للزوجة الحق فى الزواج ثانياً .

وعلى الرغم من اباحة تعدد الأزواج بموجب الاعراف الفائمة ، الا أن الرجل لا يستطيع ممارسة هذا الحق دون موافقة زوجته . وهى موافقة لا تعتبر رسمية عرفياً الا عن طريق قبول الزوج ، لغرامة صلح يدفعها زوجها اليها ويقضى العرف بأن تقبل الزوجة هذه الغرامة أو الرسم ، قبل أن يتمكن الزوج من الزواج ثانية ولكن فى استطاعة الرجل ، حتى بدون سماح زوجته ، أن يحتفظ بالمرأة الأخرى كخليفة له .

وكانت مبادئ القانون هذه هادفة الى فكر التنظيم الاجتماعى واقامة النظرية المتعلقة بالانسان . وكان الوسطاء يعتمدون عادة على حكمة الشعب الجماعية وكان فى وسع التطبيق الحاذق لمثل سائر ، أو حكمة مانورة ومقبولة فى حالات اقرار العدل أن يسوى القضية ويفصل فيها الا اذا ووجه هذا القول أو تلك الحكمة ، بقول مماثل ، أو حكمة مماثلة ، وقيماً عدلاً ذلك تكون للمثال والاقوال المانورة القوة التى تملكها السوابق .

وكان الطابع الطبقي على كل هذه الامور عرضياً أو اتفاقياً . وفى

وسع المرء أن يتذكر القول المأثور الذي سبق لنا أن نقلناه . وهو أن  
الإنسان لا يستطيع أن يطبخ نباله الأصل لأكلها . وأن التروء هي الأمر  
المهم . فالشرى بالنسبة إلى الغرامات هو الذي يدفع مبالغ أكبر .  
ويكون ما يتقاضاه من تعويض أبضا ، أكبر مما يتقاضاه غيره . وبالنسبة  
إلى حالات الزواج . فالرجل الذي يسرّج امرأة يفضلها في المنزل والربة .  
كأن تكون من أخوات الملك مثلا ، يجد نفسه سبه مرغم إذا ماتت زوجته  
فيله ، على أن تنتحر ليلحق بها .

### التنظيم العسكري :

كان السئون العسكرية عند الأكانيين تدار عادة تحت إشراف  
قائد أعلى يكون دائما من المحاربين القدماء ، وهو المسؤول عادة عن تسييم  
المتطوعين وفرص تأمينهم على رؤساء المقاطعات ونيوح العسائر . وهو  
المسؤول عن الحفاظ على الجيش في حالة استعداد كامل . وعن تعيين  
الضباط ، وتنظيم القوات ليكون دائما على أهبة لخوض المعركة . ويقوم  
إلى جانب القائد العام ، محارب آخر يطلق عليه اسم قائد الخطط  
العسكرية . وهو الذي يضع الخطط للحملات الحربية ويعمل مشيرا  
ناصحا لقادة الجيش في موضوع سير الحرب ونسقتها . وكان جميع  
القوات في الميدان وسوفها إلى الحرب ، يختلفان ويتنوعان باختلاف  
المعارك ونوعها ، ولكن الأسناتيين الظافرين كانوا يعدون جنودهم  
للمعركة على شكل طائفة نفريبا . وكان هذا الترتيب يقوم على النحو  
الآتي : هناك رتل طويل في الوسط يتقدمه انكشافون ويتبعهم على الفور  
حرس المقدمة . وتحشد وراء الحرس الامامي ، القوات الرئيسية ،  
ويأتي بعد ذلك القائد العام بمحاربيه ومعاونيه ووراء هؤلاء كلهم تأتي  
وحدات النقل والوحدات الإضافية المساعدة . يجرى بعد ذلك دور  
قوات المؤخرة لحماية المؤخرة . ومواجهة أي طارئ من الناحية  
الآخرة . وكان هذا التسييل يمنل قلب الطائفة ، ولها مقدمان من  
ناحيتين كل منهما في اتجاه مضاد للانجاء الآخر ، أحدهما إلى الامام  
والآخر إلى الخلف . وكان الجناحان يؤلفان من عشرة أرتال . خمسة  
منها في كل جناح ابتداء من القوة الرئيسية . ومن مركز القائد العام .  
وكانت هذه الأرتال الجناحية تؤلف من مجندين في المدن الرئيسية .  
وكان الملك يتخذ موقفه على مقربة من الرتل الأخير الواقع في الجناح  
الشمالي عندما يسر إلى الميدان للحرب . ولم يكن الملك قط مسئولا  
عن الحملة حتى ولو اشترك فعليا فيها . وكانت كل وحدة من الوحدات  
مسئولة عن تموينها وعن أطباء الميدان .

وكانت هناك مجموعات من العدائين حاضرة للقيام بأعمال المواصلات.

وكانوا يؤلمون فئة من حاشية القائد العام . وكان الانضباط صارما  
كل الصرامة وعموبة الجين في معظم الحالات هي الموت .

وكان في وسع الاشعاني ، وهم خيرة محاربي الاكان ، أن يدفعوا  
الى المعركة بنحو من مائه الف رجل في وقت واحد . وكان الجيش  
يؤلف منظرا جميلا برايا حيا وهو في ميدان الوغى . ولكل ربل من  
الارتال ، علمه الخاص به وعندما يرافق النسوح الجبوش ، كانوا  
يجلسون في محفائهم تحب مظلائهم الكبيرة ولم تكن هذه المظلات الا اثناء  
مزجرفة منمنفة نظم الواحدة منها عدة قطع ملونة من الحرير ، مع  
حبوط من الفضة والذهب . وفي رأسها خبوط مذهبة من القصب  
وكان النسوح يحملون في محفائهم أو في المقاعد التي تشبه عربات  
الفيتون (١) . وكانت هذه المقاعد تصنع من الخشب الرقيق أو من  
السلال المضفورة من أماليد الاغصان . مرصعة بعدد كبير من المسامر  
النحاسية تغطيها النقوس والزخارف .

وكانت الاسلحة تتألف من البنادق ذات الزناد المسماة ببنادق  
الدك ومن « الفريينات » وكانوا يحملون عتادها في انطقة جلدية ،  
وتلحق بهذا العناد جيوب من الجلد أو الخشب يصب فيها البارود صبا .  
أما الرصاصات فخرادق من الحديد . وكان الجنود يعلقون على اكتافهم  
أكياسا جلدية تضم خيوطا وقشرات من لحاء الاشجار ، ومسامير  
حديدية وحجارة ومحارات حجرية . وكان مسحوق البارود يذف في  
ماسورة البندقية دون ابة ادوات كابسة أو ضاغطة . ويضعون مع  
البارود حفنة من المحار وقطعا من الحديد . وتطلق هذه القذائف بعد  
ذلك من مسافة قريبة .

ولو كانت اساليب الاشعاني في اطلاق النار افضل مما كانت عليه،  
لما أصبح ساحل الذهب مستعمره في يوم ما . فلقد هزم الاشعاني  
البريطانيين أربع مرات على الأقل وأسروا عددا من فرقائهم العسكريين .  
ولقد بعث اش . ام . ستانلى مراسل صحيفة النبويورك هيرالد في  
سبعينات القرن الماضي ، برسالة الى صحيفته من افريقيا . قال فيها  
ان في وسع ألف جندي من جنود الاشعاني أن يكتسحوا ، شريطة أن  
ينولى قيادتهم ضابط بريطاني ، جميع المناطق الممتدة بين رأس الرجاء  
الصالح وبين تمبيكتو ، دون عناء . وكذلك المنطقة الممتدة بين ماندينجو  
وبنين . اذا شاءوا احتلالها . (٢)

(١) طرار من العربات نطل استعماله الآن . - العرب -

(٢) تمبيكتو في مالي في جنوب الصحراء الكبرى ورأس الرجاء في أقصى الطرف  
الجنوبي من القارة . أما ماندينجو فتقع على الساحل العربى في السنغال ، بينما تقع

واذا ما خرج الجيش الى الميدان . لم يمد في استطاعته أن يعود  
ان العاصمة الا بعد الحصار على اذن بذلك من الملك في مجلس  
مستشاريه . وكانت العابة من هذا النظام ، في منتهى الزكاه وحسن  
التبصر . فلا يمكن لجماعات كبره من الجنود الذين نفودهم ضباطهم  
أن يدخلوا الى مدينه رئيسيه فيها سلطاتها المدينه دون أن تتخذ  
الاحتياطات اللازمة لما يمكن أن ينجم عن دخولهم وكان القائد اذا ماعد  
من حملته ظافرا منتصرا ، يطلب السماح له عاده بدخول المدينه . أما  
إذا كانت مهمته غير طافره ، فإن الاذن لا يمنح له دائما على الفور  
ويحفل عاده بالانصرارات احتمالات علنيه ستغرق يومين أو ثلاثة أيام،  
كما يخصص يوم آخر للحداد العام على خسائر الحرب من القتلى  
والجرحى . وتدخل وحدات الجيش بعد أربعين يوما من صدور الاذن  
لها الى العاصمة في شكل عرض عسكري ، وتطلق كل فرقة عند مرورها  
بالمملك الذي يعرضها طلعه واحده بحيه له .

وكانت اللحظات التي يظهر فيها الملك علنا . من الاوقات التي  
يبدو فيها الجلال على أكمله ، والأبهة في أعظم حالانها . وكان الطبول  
المتكلمه هي التي تعلن دائما ظهور الملك الى الناس ، والطبول المتكلمه  
ظاهرة غريبة من ظواهر افريقيا ، فهي ليست وسيلة من وسائل  
الاشارة فحسب ، بل وطريقة أيضا من طرق الكلام ، فهي تحاول الخروج  
بصوت ، وهي تحاول التعبير بالالفاظ لا بالاصوات . ولقد قيل ان أبناء  
احتلال الخرطوم (١) وصلت في اليوم نفسه الى الافارقة في سيرايلون  
عن طريق الطبول . والمفروض انها انتقلت عن طريق تناقل الطبول  
المتكلمة أبناء سقوطها .

وكانت هذه الطبول تروى قصص السلالات الملكية ، وقصص  
الطولات الشعبية كما تضمنتها الأمثال السائرة ، والمدايح وروايات  
الاطراء ، كما كانت تبعت بالرسائل الى المواد التي تصنع الطبول منها  
كالاشجار وأذان الفيلة التي تصنع منها الطبلات ، وأخشاب الاوتاد  
والنباتات المتسلقة التي تستعمل في ربط الجلد . فالطبول في رسائلها  
هذه تعتذر الى هذه المواد . وهي تتقدم أيضا بالابتهالات الى اله التظليل  
ولعل هذه هي أول ما تناقلته الطبول من رسائل . وهناك أيضا صلوات

---

نبيين الى غرب السودان . ويفصد المراسل الأمريكى بقوله الماطن المسيحة الممتدة من  
الشمال الى الجنوب . ومن الغرب الى الشرق ، وأعنف أنه كان مغاليا في قوله هذا كل  
المعالة لوجود قتال افريقيه قوية الشكيمه أيضا غير الاشانتى .

— المغرب —

(١) اشارة الى احلال كشر للخرطوم في عام ١٨٩٨ بعد انتهاء ثورة المهدي .

— المغرب —

وابتهالات ننفلها الطبول الى « أونباى كوبون » ، كما تنقل رسائل الانذار والتهديد الى الاعداء والاغراب .

وكان استقبال الملك للسفراء فى الحفلات الرسمية للدولة . وكان الألوف من الناس ، ومعظمهم من المحاربين يهابلون خارج العاصمة ، ويحفون بهم ثم بقودونهم على أنغام الموسيقى النحاسية والوترية والصونية التى نعزفها الطبول والصاجات والأبواق والجونج جونج . وكانت طلقات الرصاص التى ناصح هذه الموسيقى تؤمن الايقاع اللازم لها ، بشكل منظم وضخم . ولم تكن ممة حاجة الى رقصات « الضفدع » أو غيرها من الرقصات الاخرى . وكان الفصد من كل هذا الضجيج ، التأبر على السفراء وحملهم على احترام الاشائنى .

وكان فاده الحرب يرندون فبعات تنبىق منها الى الامام فرون الوعول الموشاة بالذهب . وننسر منها الى الجانبين رياش السور الى تتدلى على الكتفين بينما تثبت القبعات تحت الدقون بربطات من الصدف المسمى بالكورى . وكانوا يرندون صديربات من القماش ، المزدانة بالحجب والرفى فى بيونها المصنوعة من الذهب والفضة . كما تربط الى الصديربات حقائب جلدية موشاة وملونة . وكانوا يحملون سيطا مصنوعة من أذئاب الحيوانات ، كما يحملون المدى أيضا . ويرندون سراويل فطنبة فضفاضة ، ترنفع عند خصورهم الى الصدور . وتثبت فى أعاليها ، الى الأنطقة بخيوط جلدية أو سلاسل . وكانوا يحملون البنادق ، أو الأقواس والأسهم المسمومة . ويحملون كذلك فى أبدبهم اليسرى رماحا صغيرة يقدفون بها وقد غطيت رءوسها بقطع من القماش الاحمر اللون . وزخرفت بتراريب من الحرير ولا ريب فى أن زى القائد الاشائنى العسكرى ، كان يكلف كثيرا .

ويسير السفراء ببطة يحف بهم مستفبلوهم ، عبر شوارع العاصمة . وهناك سارع رئيسى متفرع منه عدة شوارع جانبية . وعلى جوانب هذه الشوارع تقوم بيوت كوماسى . والبيوت مربعة الشكل غالبا ، وفى مقدمتها « دكان » مكشوفة تشبه المسارح الصغيرة . وهى على الغالب ذات طبقة واحدة . وبنى عادة من الصلصال الجاف والخشب ، فى واجهاتها الامامية وفى داخل الباحات . وكان تركيبها فى العادة من النوع المنحرف الزوايا . وكانت البيوت البسيطة تبنى عادة على شكل حرف الراء اليونانية . وكثيرا ما تكون هذه البيوت متتابعة على مختلف المستويات ، ومختلف الزوايا التى تتقاطع مع عرض البيت الذى تجتمع عنده الطبقات . وتجتمع ذبول هذه البيوت لتؤلف شكل الصليب المعقوف ، بينما يقوم التركيب كله فى اطار على شكل التصميم



ذى النويجات الاربعه ، ويسير هذا التصميم كله من قاعدة الممر الى ارتفاع يبلغ أربعة أقدام . وكانت الابواب مستقيمة كما كانت الاقواس فى العادة محمولة كنوائد الطنقه العلوية .

وتحيط الغرف بنفساء أو باحة داخلية . وهى فى الوقت نفسه الردهة والمطبخ والساحة التى يلعب فيها الصغار . وبوحى هذا الوصف بالحجم الكبير الذى كانت عليه بيوت الأكان التقليدية القديمة . انها أقرب ما تكون الى الصروح المرتفعة النموذجية .

وتصنع سفوف هذه البيوت من الآجر . أو من الصلصال أو من الحشائش ، أما الحمامات ، وتكون عادة فى الطبقات العليا ، فتجهز بأنابيب لتصريف المياه وفى وسع المرء أن يرى بعض هذه البيوت حتى يومنا هذا . وقد بنيت من الطوب أو من الآجر المشوى بالنار أو غير المشوى . وتكون العوارض والدعائم من الخشب . وتغطى السقوف الداخلية والجدران بالجص .

وتصنع أدوات الطهى من الفدور المخارية التى توضع على مواقد تتألف من ثلاثة قوالب محروطة من الصلصال مفصولة عن بعضها بخطوط منساوية الزوايا . وتتألف القود من العبدان الجافة . وتستعمل احبانا مناقل ملأى بالفحم . وتتألف هذه المناقل فى العادة من سطح علوى مدور يملأ بالفحم الخشبى يقوم فوق شبك من الحديد، تحته سطح آخر مغلق من جميع الجهات ، له منفذ واحد لدخول الهواء . وتصنع الملاق من الخشب ، أما الطعام فيوضع للأكل فى صحاف من الزخرف المشوى - وكثيرا ما استعملت الاصابع فى تناول الطعام . ويوضع الصحاف عادة على الارض أو على حصير ، بينما يجلس المرء على مقاعد صغيرة خفيفة .

وهذه المقاعد هى الطراز الرئيسى للأثاث . وكانت تجمع فى صناعنها بين النسل الفنى الأنيق ، وبين الفائدة العملية . وتتألف من متكى مقعر علوى بسند المقعد ، ونحته قاعدة من الخشب . ويتمثل فن الصناعة على الغالب فى الاجزاء المداخلة بين المقعد والقاعدة . وتكون هذه الاجزاء عادة منحوتة بنسكل رائع . وكانت الفروق بين الانسكال المختلفة من هذه المقاعد تشمل فى احجامها وفما تتميز به هذه المتسبكات من عمل فنى .

وكانت الزخارف الداخلية فى البيت تتألف فى الغالب من الحاحات النحاسية والفضة الفاخر . وكان الآكانيون يرددون أقمسة مصنوعة من لحاء الاشجار . وهم يرددون قماش « كنبتى » الرائع كما كان اليونانيون يرددون أوتحتهم . وهم يقدفون بأطرافها على أكشافهم

اليسرى ونمر بحب مراقبتهم اليمنى لتعود ثانية الى الاكتاف اليسرى .  
وكانت هناك طريقة أخرى بديله في ارتداء هذا الرى . وهو أن يستمروا  
فى لفه حول أعناقهم ليعود ثانية الى الكتف الايمن . أما الأعسرون منهم ،  
أى الذبن يستخدمون أيديهم اليسرى ، فيعكسون الصورة تماما -  
وينقلب الأيدى اليمنى الى أيدى يسرى . وهم يصبفون هذا النوع من  
القمائش بصباغات نباتية . وكانوا ينأثرون بما تعرض عليهم من أزياء .  
ويحاك فماس الكتبتى من خطوط طويلة وهو اما أن يكون من القطن  
او القطن الممزوج بالحرير او الحرير الصافى . وكانوا يحملون الخطوط  
بأبهى الالوان والخيوط .  
وتستعمل المصابيح العازية فى اضاءه البيوت . ولم يكن هناك  
أى نظام عام للاضاءة .

وكان الملك والسيوح هم أكثر الشخصيات تألفا وروثقا . وكان  
محفانهم نظم ستائر وأرائك ووسائد مصبوغة من قمائش ( التعتة )  
الفرمزي . ونحاط عادة بحجب وأستار مينة . وبزخرف فواعد  
المظلات وتوشى بالذهب فى صور حيوانات أو فباب مجردة . ويحمل  
الموظفون سوبا من الذهب وصولجانات ذهبية أيضا ويضع الملك  
والسيوخ عصابت على جباههم واصداغهم ، وترصع هذه العصابت  
بحتيتات من الذهب . وهم يضعون أيضا حول أعناقهم فلادات من  
الذهب تضم عدة سلاسل بقبلة متعنة الصنع والزخرف - تتدلى منها  
التقاوى والحجب فى أكياس صفيره متلئة مزخرفة من الذهب والفضة .  
ويرتدون أحيانا فلادات من خرز العفوق ، تتدلى الى صدورهم  
ووسطهم . ويلفون ركبهم ورسووغ اقدمهم بأساور من الذهب  
والخرز . وهم يرتدون صنادل من الجلد الاخضر والاحمر والابيض  
برباط على شكل حرف « الفاء » - ويمتد من أصبع القدم فوق الراحة  
الى الجانبين ويضع الملك على صدره قرصا من الذهب فى صحاف  
متعددة . وكانت أصابع يديه زردانان بخواتم ذهبية ثقيلة وكان يضع  
فى أصابعه أيضا زوجا من الصناجات الذهبية التى بشير بواسطتهما  
طالبها الصمب - وكانت تحيط به قطع موسيقية عدة مغلقة فى أوراق  
شفافة مصنوعة من الذهب .

وكان الملك دائما رجلا ذا شخصية قوية ، وهو كثير التكبر  
والعجرفة ولكن مع تهذيب وسلوك مصقولين . وكان حديث كبير القوم  
دائما معجزة من معجزات التريية وحسن السلوك . وعندما يسمح  
للرجل بمقابلة الملك ، يصبح عاجزا عن الاستئذان بانتهاء المقابلة  
والانسحاب ، ويصبح لزاما عليه أن ينتظر انتهاء المقابلة .  
وترتدى نساء الأكان فى الغالب بعض المجوهرات .

## الأدب :

لا ريب في أن قصيه الادب الاكائي التقليدى ، قصة مزدوجة .  
فهناك أولا - مشكلة ما يجب اعبارها من العناصر النى نؤلف الادب .  
فهذه قصة تناقش الآن ، بالنسبة الى الثقافات الافريقية القديمة .  
أما المسألة الثانية ، فمنيتقة من الأولى ، وهى تناول المحتوى الأدبى  
الممكن للثقافة على ضوء المفاهيم المقبولة والمقررة .

ومن الواجب أن يقال أولا وعلى الفور ، أن هناك نوعين من التعريف  
أو السرد يمكن أن يكونا مناسبين هنا كل المناسبة . وقد يقال عن  
تعريف أو سرد بأنهما من الطراز الوصفى ، وأنهما يحددان شروطا  
مسبقة وحدودا لطبيعته الادب نفسه . وبحل مل هذا السرد المسئلة  
حلا فذا ، إذا وضع فى سلسلة متعاقبة من الالفاظ ، سواء أسكلت هذه  
الالفاظ ، أدبا أم لم تسكله . وهذا الطراز فى السرد - هو الذى يلفاء المرء  
عادة فى المعاجم ، وفى كتب النقد التى يغلب عليها طابع الحماس . وهو  
نفسه الذى يستلزم عادة حقوق الوصع العادية ، كما يشترط الايضاح  
فى الكتابة ، والاحترام والتقدير لجمال السكل والاسلوب ، والتأثير  
العاطفى . ومن المفروض أن بنجم هذا التأثير عن التعاون الوثيق بين  
المادة والاسلوب ، ولا ريب فى أن جميع هذه الاشتراطات ، شروط  
تؤثر تأثيرا مباشرا على سكل الاسلوب والمظهر الذى يظهر فيه القطعة  
الادبية . والمعتقد أن هذا الاشتراط الأخير هو الذى أدى الى ظهور  
ذلك الطراز من السرد الاستسفاى ، الذى اصفاه بعض النقاد السكار  
كبيلىنسكى الناقد الروسى المعروف فى القرن التاسع ، على النقد الأدبى .  
والذى اعتبروا فيه هذا النقد ، ظاهرة متحركة من مظاهر الجمالية .  
وبمثل الانتاح الأدبى القوى الدافعة المختلفة ، وبينها الدافع الخلاق .  
المحدد وفد أنتج آثارا متنوعة لها جذورها فى العواطف المختلفة . ولقد  
تأثرت الشخصيات والاضاع ، وطرائق معالجتها ، بمجموعة ضخمة  
من الدوافع بعضها بسحق التندير وبعضها لا يستحقه . ولقد تحولت  
الرغبة فى النار كما فى « دون كيشوت » (١) . الى الرغبة فى التهذيب  
كما فى « الحرب والسلام » (٢) ولم يعد من الضرورى مطلقا أن يحمل المؤلف  
فى يده ، جارونسا - بطحن به هذه الشخصيات أو تلك الاوضاع . لكن  
وجود الحركة الدافعة فى وضع أى مؤلف أدبى ، بضبط ضبطا محكما

---

(١) دون كيشوت الفصل الرائعة الى وضعها الاديب الاسبانى الأشهر سيرفانتيس  
والذى سخر فيها سخرية مرة من قصص القروسية .

(٢) الحرب والسلام - القصة الحادثة التى وضعها اديب روسيا العظيم الكونت  
تولستوى فى عام ١٨٧٧ .

التأثيرات العاطفية والجمالية التى ينتظر أن يخلقها . وذلك لأن المؤلف نفسه يضبط أسلوبها وصورها .

ويمكن تصنيف الادب من ناحية تأثيراته فى مجموعتين : مجموعة الادب العملى - ومجموعة الادب المجرد . فالمقصود فى الادب العملى الذى يشمل كافة الانتاج الاستفرائى والتثقيفى والنقدى ، أن يؤبر على السلوك الانسانى ، ولا ريب فى أن التسعر الهجائى ، وقصص تبكيت الضمير من أمثال قصص ديكنز (Charles Dickens) (١) أو حتى من أمثال القصص الأكثر حداثة والنثى تتناول عيوب المجتمع ومساويه . هى نماذج رائعة من الادب العملى . أما الادب المجرد ، فلا يقصد من الناحية الاخرى مطلقا الى التأثير على السلوك الانسانى . ويعتمد الادب العملى فى تحقيق أهدافه ، اعتمادا كليا على علم المعانى . ولعل الاطلاع على الادب المجرد وحده فى الماضى ، هو الذى دعا رجلا مثل نيوتن Newton (٢) الى القول بنسء من الصلاة . بأن الشعر « سـخافة يارعة » . ومن الواضح كل الوضوح بأن هذا المنع بمتعة الادب عند الرجل ما كان لكامل حتى ولو كان يجد بعض اللذة فى السخافات والتفاهات .

ولعل الاصرار على القيمة الفردية فى التأليف ، هو اصلح انواع الادب للقصة . ومن الممكن تأمين الجهد التعاونى هنا شريطة أن يكون هذا الجهد متزامنا ان أمكن . كما حدث بالنسبة الى الارتباط الذى قام بين ديكنز وبين ويلكى كولنز (Wilkie Collins) (٣) لكن التعفيد الذى نتطوى عليه سبر وحوى القصة المتكاملة ، حتى ولو كانت قصة تعرض شطرا من حبة ، تتطلب تنفيذا فرديا . أما القصة التى تناسب انسياها واعيا فيمكن أن تبنى أو تعدل ، على أيدي فريق من الأدباء . ولكن حتى

---

(١) شارلز ديكر الفصصى الانكليزى المشهور . ولد فى بورتسماون . نفي شبابه فى ظروف غريبة . من أشهر قصصه « ديفيد كوبرفيلد » التى تحدث فيها عن حياته و « صور » و « أوراق » بكويك و « قصة المدينيتين » وكثيرات غيرها .

(٢) السير اسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) عالم انكليزى ورياضي معروف . ولد فى لينكولن شاير من أب يعمل فى الزراعة . هو صاحب نظرية الجاذبية المروفة باسمه التى بولدت من قصة سقوط الفاحة ، وهى القصة المشهورة .

(٣) وليام ويلكى كولنز (١٨٢٤ - ١٨٨٩) قصصى انكليزى - قصي حياته فى إيطاليا مع والديه . وهذه المرة أوحى اليه بقصة أنطوانيت التى صدرت عام ١٨٥٠ - بدأ حياته يعمل فى تجارة الشاى ثم درس القانون . كان صديقا لديكنز - من أشهر قصصه « الاممات المتحدة » لمة العماية ، السر الدفنى ، بعد العروب ، المجذليه الجديدة - وعشرات غيرها .

- العرب -

هذا الطراز من القصص يكون أفضل وأروع ، اذا كان مؤلفها واحدا . ومن الواضح انه بالنسبة الى بعض المجموعات الفردية من الشعر كالفصص الشعرية مثلا ، نسنطبع الأجيال المعاصرة بغير الأخذات ، دون المساس بترتيبها للحفاظ على وحدة القصة وروحها . وعلى محليّة أحداها ، ونخضع بعض الطراز الادبي بسهولة أكبر الى الانتاج اللامستقر والمعد من الطرز الاخرى .

ولهذا السبب وحده - يكون تعريف الادب الذي يصع توكيدا ماليا على الانتاج الفردي ، تعريفا ضيقا ومحدودا الى درجه كبيرة . وحتى لو لم نربط بين هذا التعريف وبين الادب المنقول بالتواتر منذ القدم ، ففي وسعنا ان نناقش وأن نقول ، بأن هذا التعريف الوصفي ، يضع الادب فعلا في رايه ضيقه ، ولا يستطيع ان يفهم مطلقا هذه الناحية المدهشة في تكرار الانتاج الادبي . والتي تشبه تماما ، منظر الطبيعة بعد انحسار الأمطار . ولا يفهم أيضا ما للتحليل من قيمة كبرى في الصورة المركبة ، عن طريق تأمين محورها ومنطورتها بالنسبة الى المشاكل والفضائل سيما وانها - أي الصورة - قد تعرض بعرضها كليا للاضطراب والتنويع من جراء انماض أساليب حديدية في الاسلوب والسكل . أو حتى في مادة الأدب نفسها . ولا ريب في أنها ستغدو عاجزة عن مجاراة خصائص الحركات الادبية ، ومفطرة الى كل مقومات انتاج ما يرمز الى العبقريّة .

ولفهم الاسهام المتزايد من عدد متتابع من الافراد في نفس القطعة الادبية الواحدة في الروايات الاكاديمية المتواترة عن طريق النقل الشعري ، يجب على المرء ان يتذكر دائما ما يتركه هذا التواتر في ذلك المجتمع من أثر ملحوظ وعندما يمر المرء بمثل هذه المواد يستطیع أن يرى عملية الإصلاح والتحسين في الادب المكتوب . وهي عملية نتج عنها في سكل مؤلف يدين بعناصره الطيبة أو مزاجه السيئة الى طلاب البحث العلمي . ولا ريب في ان مبدأ « صعوبة النقل الحرفي » يؤدي حتما الى ظهور طبقات غير صحيحة .

وتضمنت الروايات المنقولة عند الاكاديميين قطعا أدبية نملح مواضع مختلفة . وكان معظمها يتعلق بالحروب والهجرات ، والانسيال والسلالات الملكية وكذلك الروايات العشرية . وكانت الفوائد التي نلح من مثل هذه المواد مقدسة وقومية وفانونية . وعندما تكون الفوائد المتوخاة منها مقدسة . فانها تعالج أصل المجموعة البشرية ، وتحرى الاسلاف البارزين والمبجلين . والعصد من الافاده منها هنا . هو تحديد وحدة المجموعة وبضامنها . ويكون اسلوب غرض المادة فيها حماسيا

الى حد كبير ، وكثيرا ما يرجع فيها الى العاظم الاطراء والتبجيل المعجمة  
اما عندما يكون القصد من استعمالها قوميا ، فان الذكر يعود الى أسماء  
اولئك الاسلاف المبجلين خاصة بالنسبة الى فضائلهم . والتي تتضمن  
جدود تلك الجماعة . مع عرض فضائلهم على الناس ، لتوجيه سلوكهم .  
ونوجيه تقديرهم للاوضاع . ومن الطبيعى أن تعرض اسماء كبرائهم  
بصورة مسنركة على الاطفال ، بعيدا عن الاسلوب السكلى فى النسبة  
املا بأن تتجدد فضائلهم العظيمة فى هؤلاء الاطفال بالاضافة الى ما كان  
بطن من تأثيرات هامة ، لاسماء الاطفال المأخوذة من أيام ولادتهم الاسوعية  
فى حباتهم الشخصية . أما عندما ستخدم هذه الروايات الشفوية  
المنقولة ، فى مجالها القانونى فانها تكون على شكل مواد تاريخية ، لحل  
المشاكل والنزاعات المتعلقة بالحقوق والمصالح المبرره . وكان من المفروض  
فى رعوس الاسر المختلفة أن تكونوا واسعى الاطلاع على توارىخ أسرهم .

ولم اطرف حتى هذه اللحظة الى ذكر سىء عما يمكن أن يسمى  
بالادب الواصح ، على الرغم من أن العرض الذى أدرجته لطراز المواد  
المذكوره آنفا ، ينطبق الى حد ما مع المبتكرات الادبية . وكان فى وسع  
الرواة والفصاصين أن يعيدوا من الافكار الآفة الذكر . فى المعامرات  
العسكرية والمدنية على سواء . وحرصا على الا يصيح جردوى  
التأثير ، فقد استخدمت خصائص اللغة وبينها التهويل والتداعى والالقاء ،  
وكذلك الصور الاسلوبية الجديدة استخدما ضخما . ولقد ذكر دوبرو  
أن الاشانيين الفوا اغنية فى عام ١٨٠٧ ، ينوا فيها كعمل مجيد من  
أمجادهم ، كيف أرغم نهر من أنهر الدم ، الى الاسسياب من مباسا  
العاصمة المبكى عليها لمملكة آسين الى «برا» . وكان يحاط مثل هذا  
الطراز من التفاضل عادة بعدد ضخم من صور البطولة . ومن روائع  
الكلم . وكان من حق أى قاص أو معيد ، أن يبدل الصور التى تسلم  
اله فى أى عمل انشائى ، وان يحط روايته بتفاصيل وافية دخيلة .  
وان بضمن هذه التفاصيل الكثير من الاشارات النموذجية والمحللة .  
وكان القاص يعرض براعته فى التأثير الشفوى ، بالطريقة التى بزخرف  
فبها مادة القصة التى بقصها وهكذا فان السرد الذى يعرضه على ملا  
من الناس ومسمع بتأثر دائما بالحلق الادبى ، حتى ولو لم يكن خلفا  
أديبا خالصا . وكانت الأفكار والأحاسيس تلهب حماسة أثناء أى عرض  
عام للقصة المروية ، وبهذه الوسيلة كانوا يضمون الاسهام العاطفى فى  
كل ما يبريدونه ، ولا سيما بعد استخدام الألحان الموسيقية التى تصحب  
عرض القصة . وازغمت الحاجة الى ادخال المساعدات الموسيقية على  
حوادث القصة دون اخفات صوت العرض الكلامى ، القصاصين على  
البحث عن الرنين الموسيقى فى العبارات التى يستخدمونها . ومن هذا

يظهر أن الاستغلال كان كاملا للصورة والعيم المعنوية لتحقيق التأثيرات الجمالية. وعندما نجحت هذه المحاولات أصبحت رنة الكلمة ومشتقاتها، وقواها الاستفزازية عيه الى حد كبير بما يرافعها من مصاحبات موسفيه . وقد أضفت العملية كلها على الادب التقليدي المنعول صورته من المسرحية الجماعية . لكن هذه الناحية كانت مصطنعة ليس الا . ولم يكن المهم هو معرفه الجمهور المسبقة بما سيحدث - وما ينجم عن ذلك من امتعاض . بل المهم هو ما كان يتميز به العاص الفرد من فضيلة ومن نزاهة فيه . وعلى الرغم من أن الموصوعات المطروقة وهى حالة المجتمع وموقف المسيح فيه ، وعلاقة الفرد والأسرة بالمجتمع ، وعلاقة عالم الانسان بعالم الروح ، والعواطف والمواقف الجماعية من الفضائل والاصول والانتصارات العسكرية والمدنية ، يمكن أن نحدث في مختلف المجالات من لاهوتة واجتماعية ، فان طريقه معالحتها عن طريق كبار الفلاس قد أحال جزءا من السائح عند الأكابيين الى أدب .

وبرى المرء لراما أن يعترف بأن الادب ينفلت شفويا . وأن أشكاله سائر تأثرا كبيرا مما يدخل عصر الاسسحالة على « التسخيص » المصصلى والمقول ويؤدى الى انهيار الواقعية بعد تحولها الى اسطورية . ويضعف هيكل القصة ، وتركز وفائدها في حركات بارعة ، يكثر في قصص المكر والخداع . ويدور معظم أحداث هذه القصص حول حيوانات معينة ، مع أن قصص هذا الخداع سواء أكانت انسانية أم نصف مقدسة ، كاب يضم ايضا قصص اللصوص والافاقين المكتظه بها . ولقد انتشرت قصة عن الارنب في افريقيا الشرقية ونيجيريا . وأخرى عن السلحفاة في نيجيريا ما لتت أن انتقلت الى كوبا ، وقصة انانى العنكبوت في غانا ، وليبيريا وسيرالون وقد انتقلت الى جمايكا وغانا الهولندية . ولا رب في أن هذه القصة تشبه قصة « العمة فانسى » في كارولينا الجنوبية . أما بالنسبة الى قصص المكر الانسانى ، ونصف الالهى ، فهناك قصة هانكا نانا عند الزولو وقصة (بو) عند الداوميين و« اسو » واروملا عند البوروبا ، والامامى عند الاكا . وحتى لو تأثر هيكل القصة فان الحوار فيها على أى حال قد لا يتأثر . وهذا هو المجال الذى يتأثر فيه العناصر الادبية التقليدية لقصص العيساريين والمحتالين ، وتعرض الى أعظم تسدل . وقد بدل رواه القصة غير الموهوبين غابة جهودهم لنذكر الحوار ، أما الموهوبون فكاوا يذكرون جواهرها . وكاوا كالعناكب ينسجون حواراتهم مما لديهم من حصوة ذاتية فى الفن القصصى . أما تصور الأوضاع فيكون ناحية أخرى من نواحي الأدب اللفظى الذى عانى بصورة واضحة من الارتجاج والراوح ، وبمثل طول القصص الى الاختلاف مع طاقه روايتها .

وهكذا أدب حقيقته يعرض الأدب عبر المكتوب والمنقول . للتجديد  
والبديل وهو يعرض بسير دائما نحو الأفضل ، الى نمو لغات الاكاسيس  
كالفات أدبيه وما زالت هذه اللغات حتى يوما هذا ذات طابع أدبي .  
وليس دمة من سبب بدعو الى هذا . وكان الجنس السرى بنطور من  
الفهم الفنى « المتبايرى » للعالم الى الفهم الطبيعى . ولا ريب فى أن  
هذا هو الاتجاه الطبيعى السارىخى وليس العكس . كما قال تيلور  
(Tylor) (١) فى أفكاره وآرائه عن أصول فكره الروح والغبياى ، اد  
نقوم محلف الادلة على صحته وصدقه ولا ريب فى صحة ما يقال عن  
طالبس من أن بوبه قد تملت فى اصراره أمام اعرى العهد الذى سبق  
أرسطو ، بأن شرح الطبيعة وايضاها ، لا بطلان أكر من رؤسها .  
وأن لس دمة حاجة مطلقا للعودة الى ما وراء الطبيعة .

وبوصح المزايا الادبية « للغة » مدى حربه خالعى الادب ، اد أن  
الحاجة الى التناسق والوحده تكون فى أقوى اللغات الطبيعية غير  
المطورة . ولعل الطريفة التى سبع فى عرض المعلومات العلميه هى حير  
مثل على ذلك . والادب هو نتاج ما فى اللغة من براء ومن خبال رشقى .  
وقد يكون العكس صحيحا أيضا الى الحد الذى سخدم فيه الأدب  
كمظهر للغة . ولم يكن الارتباطات العائليه بعنى القصاص الاكائى عن  
المضى فى عمله . ولم تقم أسرنه على وجه الأكيد بانه محاولة ، لمساعدته  
فى وضع فصة او حتى فى وضع العناوين لها . ولا ريب فى أن ما عرف  
عند جمع الاوربيين فى مختلف عهودهم . بكبر المتسدين ، هو الذى  
شبهه نمام الشبه ، الوضع عند الاكان ، أو بقرب منه على الافل .

ويمكن تصنيف النراج الادبى الاكائى فى أربع مجموعات اقترحها  
جى آر نيكيما . فهناك أولا مجموعة الادب غير المكتوب بامام . وهو  
الذى ألف الاكائيون روايته فقط دون أنساده . وكانت تنلى القطعة  
المنعلقة بالرياسات والمسيخات القبلة فى الحفلات الرسمية ، وكان  
حاسدا دائما بالانارات الى الامجاد العسكرية والى الانتصارات الرائعة  
التي حصفها السيوخ المعنوس . وكان تتضمن أيضا انارات الى  
ما عندهم من عبقریات فى الشئون المدنية ، وطاقات هائلة ، وركز على  
الاسخاص أكثر من تركها على الافكار ، ولا نمس الاخرة الا عند  
معالجه العلاقات المتشابهة بين الناس . أما المجموعة الثانية فتضم

---

(١) السير ادوارد تيلور ( ١٨٣٢ - ١٩١٧ ) عالم اكبرى فى أصول الاسان . ولد  
فى لندن واربجل الى أمريكا فى عام ١٨٥٥ وزارة الكسيك حيب أصبح شديد الاهتمام  
بموسومه وأخذ يدون ملاحظاته . أصدر عدة كب أهمها « العافه الدائيه » « السارىخ  
المكر لاسول الاسان » و « أصول الاسان » .



القطع التى يجمع بين التلاوة وبين الانتقاد . ونصم هذه المجموعة المراسى . وأعانى الصادق فى احتفالاتهم . ويمكن القول بأن الاسارات والاياءات فيها ، تلتف حول بضعة موضوعات ، معظمها يتعلق بالجدود والاسلاف . وبعض الاسخاص المعيس وطوالع الأسره وحطوطها . ونصم المجموعة المألنة السعر الغنائى الذى سنستخدم فيه الأغنية طربعا للسعر . والقسم الأكبر من سعر الاكابين من السعر الغنائى . ونصم هذه المجموعة مواعظ العباداة ، وانا سبب الاحتمالات المختلفة والتلاوات السعرية الفردية . واذا ما اسسنا الأمان السائرة والحكم ، والأفوال المأبورة ، فان هذا السعر كان السبيل الوحيد الآخر المستخدم فى التعبير الاسلوبى الموزون . وفى الاهداف التعليمية الاخرى . اما المجموعة الرابعة والاخيرة فتصم الرسائل التى يعب بها عن طريق الطبول والابواق ، وهى رسائل ادبيه فى طبقاتها الموسيقية ، وطريقة لفظها ، ودقه تعبيرها .

ولم يكن هناك بين القطع الادبيه التى تضمها هذه المجموعات الاربع ما يبرر حصر علماء الاجناس البشيرية اهتمامهم بالامثال ، وجعلها النماذج الوحيدة للأدب الافريقى . فلقد كانت الامثال حفا ، أقوالا حكيمة ، تتمتع بالديوع والانتشار التقليديين ، ولكنها كانت فى الوقت نفسه صلبة ومفتقرة الى المرونة فى شكلها ولم تكن تخرج فى واقعها عن أنها بيانات يقصد منها التعبير عن الحقيقة ، مع الانطواء على بعض العبر المعنوية فى التطبيق . ولقد نبعت طرافتها ، واستساغها وقعها على الأذان ، من قصرها ومن طافانها على الإيحاء بمختلف التفسير والمعانى وكان نزمها وجودها موضع مفارقة كاملة ، مع ما فى اختراع القصص من حرية ولم يكن الاكانيون بحسبون الامثال جزءا من نرائهم الادبى . كما أنهم ايضا لم يضمّنوا هذا التراث أقوالهم السائرة . التى تختلف عن أمثالهم فى أنها أقل منها صلابة ونزمتا . وفى ان الانسار يستطيع التحور فى تلاونها ، وفى تغير صبغة افعالها ، واسخاص ضمائرها . وكانت هناك قصص شعربة جمّة أيضا تكون على شكل مقاطع شعربة لنائية ، يذكر فيها اسم القائل ، ثم يتلى قوله كقصة ما قالته العنكبوت للديابة ، أو كقول ذكر الماعز ، انه اذا صح ما يقال من أن النجاح مع الاناث يؤهل الذكر لنسب العرش ، فانه سيكون والحسالة هذه ملكا صالحا يجلس على محفة . وكانت هناك ايضا قصص أطولوجية معللة لجميع الظواهر بوضع مثلا ، كبف حصل الفبل على ذنبه . ولم يكن الاكانيون يعدون هذه القصص من نرائهم الادبى أيضا . ولكن كان هناك موقف غامض على أى حال ، بالنسبة الى الأساطير التى نروى الدروس الاخلاقية . وهى اقرب الى الابتكارات الفوغائية منها الى القطع الادبية .

وكانت هناك أساطير شعبية أخرى تجمع بين الشعر والقصة ولكنها تعتبر عند الاكانيين جزءاً من تراثهم الأدبي .

أما الأقوال الحكمية السائرة ، فلم تكن بحكم الضرورة قصيرة ومقتضبة بل كان بعضها في الواقع ، وأحياناً ، طويلاً ومسهياً . ويبدو في شكل قصص أكثر منه في شكل تلك المراكز التلفائية الحياة المتمثلة في الأمثال الحقيقية الاصلية ، وتنتشر هذه الأقوال الحكمية في أفريقيا انتشاراً واسعاً - وتتشابه الموضوعات التي تدور حولها سابها قويا ، من بلد الى آخر ومن مكان الى مكان ثان ، فعندما يقول « أبناء قبائل اليوروبا » مثلاً ، ان العالم وصل الى صائقه ، سقط فيها البيضة في قدر من الفخار ، فينكسر القدر ولا تنكسر البيضة ، فان أبناء الاكان يحسبون نفس الاحساس عندما يقولون ان « السعلاة سقطت من أعلى شجرة من أشجار جور الهند على الأرض ، وأخذت تسأل الأرض بحثها وهي تحرك رأسها عالياً سافلاً ، عما اذا كانت - أى الأرض - قد أصيبت بدوار من سقوطها عليها » . وفي وسع المرء أن يفترض أن الانكليز ، كانوا يعنون الشيء نفسه عندما يقولون . . « أن برج الكلب في السماء هو الذي اختفى أمام الضوء الخافت » ، وفي هذا المجال أيضاً نجد الروح العملية مكانها ، كما يتأكد عزل النظم الاجتماعية عن العواطف الشخصية وهكذا فان أبناء اليوروبا قد لاحظوا ، بأن الانسان لا يفدو مجنوناً بحيث يرتدى قبعته على عجزه . ولا ريب في أن الوهم السخيف الذي ينطوى عليه مثل هذا القول ، يعتبر مصدر امتاع واثارة للخيال .

وكانت قصص المحتالين والقصص الخفيفة من النوع الذي يبعث على التسلية ويؤدي الى السيف في الوقت نفسه . ولقد أدرجت قوائم من الحيل المحتملة في شكل قصص . كما شرحت الحركات المضادة للتغلب على هذه الحيل . وكانت هذه القصص تستعمل أحياناً للاصرار على تطبيق العدالة ومقاومة الطغيان مع الحفاظ على الرقة والدمانة . وهناك أسلوب بديل لتحقيق الغاية نفسها وهي وضع شروط صعبة ومستحيلة بالنسبة الى طلبات مستحيلة ايضاً . فمن اقااصص «الفاندا» مثلاً أن حاكماً طلب من شخص أن يصنع له انساناً ، فرد هذا الشخص طالبا توفير المواد الاولية اللازمة له لاتمام عملية الخلق . وقد اشترط أن يكون هذه المواد ألف حمل من الفحم المصنوع من الشعر البشري ، ومائة قدر كبير ملأى بالدموع . وتقول قصة أخرى عند أهل الكاميرون ، انه طلب الى سلحفاة . أن تحمل الماء في احدى السلال . فردت السلحفاة بثبات مصحوب بالدمانة والرقّة أنها تطلب حبلاً مصنوعاً من الدخان لجمال السلة . وهكذا أمكن عن هذا الطريق ضمان احترام السلطة مع الاحتفاظ للعدالة بكرامتها . ولا ريب في أن حسنة

هذا الابتكار تقوم في تجنبه الصراع الجسم المكشوف مع السلطات القائمة . بدلا من الرفض الخشن للطلب ، وما ينطوى عليه هذا الرفض من عصيان ، رد الشخص المطلوب منه على الطالب بإظهار التعاون . مع أن هذا التعاون يمثل في الحقيقة تحطيما لفكرة الطلب المكلف به . وقد اتبعت أناسي العنكبوت في قصص الاكانيين طريقة مماثلة للتعامل مع المحتالين المتميزين بقلّة الادب . فلقد عاش هناك طاغية لا يستطيع أن يحتل مناقضة أوامره ومخالفتها. ولذا راح يعدم جميع أولئك الذين استفزهم بطلباته الجنونية وقصصه الطويلة الى نوبات من الكفر . وراحت أناسي العنكبوت تزوره ذات يوم ، وصمدت لجميع استفزازاته ثم عادت الى بيتها لتختفى ، وتعلم أولادها الطريقة التي كلفتهم باباعها معه .

وقد صمد الطاغية للتجربة في بداية الامر ، ولكنه ما لبث أن انهار، وعارض كل شيء ، وتعرض لهجوم عنيف . وكان بين ما قيل له مثلا عندما طلب بعض الماء من وعاء أبرد ، بأن القسم الاعلى من الماء والذتهم الغائبة أناسي . وأن القسم الاوسط ، لعمرة لهم ، ستفضب أشد الغضب ، اذا ما مس مأوها ، وأن القسم الاسفل لهم ، ولكنهم لا يستطيعون الوصول اليه دون المساس بالقسمين الآخرين . وعندما سأل الطاغية عن المكان الذي توجد فيه العنكبوت ، رد عليه الأولاد بأنها حاولت أن تقطف ثمرة من الشجرة ، فأصيبت بجراح ، نزف منها الدم البادى على الارض ، ثم مضت بحثا عن العلاجات اللازمة .

وكان الفصد من بعض هذه القصص التأكيد على نفوق الذكاء على الجمود ، فمثلا كسبب السالحفة الافريقية سباقها مع الارنب ، لا عن طريق المضي في السير والجهد طيلة الليل ، بينما الارنب نائم ، وانما عن طريق ، تفريخ السالحف بين الاعشاب على طول طريق السباق . بحيث قفزت السالحفة الاخيرة الى الشريط الذي يرمز الى نهاية السباق في الوقت المناسب ، وليس ثمة من شك ايضا في أن هذه القصة تبرز وحدة العشيرة من ناحية وقيمة الجهد التعاوني من الناحية الاخرى .

ويتضح وجود سوء من النقد الادبي عند الاكانيين في حتمهم الفصاص على المزيد والمزيد من الكمال في المادة والصورة واللقاء . ولا ريب في أن اتباع المبدأ القائل بعدم وجود خلاف في الأذواق بحماس ، يعرض المرء فورا الى تهمة الابتذال والرخص . وقد لا يكون من حسن الفطن بأي حال من الاحوال أن يختلف المرء دائما مع الأذواق المقبولة جماعيا على انها أذواق مهذبة . ويستطيع المرء أن يفترض أن تقديم هذا المبدأ

كمبريدج ، لا يقل عن عرابه بولستوى عندما وضع ،نكسبير على قدم المساواة مع وولتر سكوت (١) . ولا سمرد سوررات الذوق الادبى دائما على الاصطباط والنظام كل المرد . ولعل النظام والمساكسة اللذين بدخلهما مجموعه الافكار النقدية على الادب ، هما اللذان حملا بعض الناس على تسمية النقد بالنشاط المزعج الذى بتحرى عن الاخطاء ليس الا .

وفد يكون من الممكن الى مدى محدود جدا ، أن يجمع المرء من اللغات نفسها شيئا من السنن والقواعد الادبية ، اذ أن كل لغة من اللغات ينطوى فى حد ذاتها على قواعد معينة للروعة وجمال التصوير . ففد يكون بعض الآراء التى يعبر عنها بطريقة معينة فى لغة من اللغات مثلا ، مثيرة للضحك والسخرية ، بينما تكون عربية على أكثر تقدير فى لغة أخرى - فتشبيه وجه زميل من الزملاء مثلا بالجيب الداخلى لعامل بناء فى الجحيم أو الى قطعة نقدية من نقود الجحيم الباهتة اللون، طريقة ناجحة فى اثار الضحك على شفاة الشبان . أما فى الانجليزية فان صفة الخيال الواسع والرائع تطلق على صاحب هذا القول ، دون أى اكتراب بما فى التعبير الساخر من موهبة حقيقية .

ومن الطبيعى انه قد لا يكون هذا هو المنطق الكامل ، للتقدير الادبى الذى نقترحه للغة نفسها ، اذ أن هناك الكثير من الامور المفهومة ايضا . كما أن هناك كثيرا من الآراء عن علاقة الفرد بالآخر ، وعن علاقة الفرد بالمجتمع ، وبالروح ايضا . ويجد المرء أن التشخيص وإن اندماج الفرد فى المجموع . لم يكونا ظاهرين فى ادب الاكانيين التقليدى . ويعتبر الانسان على تفسير هذه الظاهرة ، فى مفهوم المجتمع نفسه ، وفى مفهوم الفرد ايضا . ولما كانت النظرة الى المجتمع على انه يضم الافراد الذين فرضت عليهم واجبات ومسؤوليات مسبقة . فان الفرد الجسم ذا الابعاد الثلاثة وهى الطول والعرض والعمق . والذى تؤكد وجوده تماما كذرة واحدة بينة ، لم يكن له وجود فى المجتمع الاكائى . ولهذا فان الادب لم بصور هذا الفرد . ولم يكن العقد الاجتماعى زيفا بالنسبة الى المجتمع الاكائى ، بل كان سخفا ، اذ حتى قبل أن يولد الانسان . كانت عوامله الروحية نمت الى جماعات عرقية . ولهذا كانت النماذج

---

(١) شكسبير الشاعر الانكليزى الأشهر الذى لا يحتاج الى أى تعريف . والسير وولتر سكوت ( ١٧٧١ - ١٨٢٢ ) من أشهر شعراء انكلترا وقصاصيها ومؤرخيها . ولد فى أدنبره وأصيب بالمرح فى صباه وظل ملارما له طيلة حياته ، درس الحقوق وأصبح محاميا من أشهر مؤلفاته « سيدة البحيرة » و « ايفاهو » و « الدير » و « الراهب » وكثير غيرها . - المغرب -

الفردية المتخصصة في أدب الاكانيين أكثر طرافه وأهمية من التخصصات،  
الذاتية في المجموع . ولعل هذا التقلد المحتلف لتتخصص الطراز أو  
النموذج ، والذي ساد الأدب الأفريقي كله أدى إلى فصل القصصيين  
الأفريقيين في رسم الشخصيات الملونة الأبعاد ( الشخصيات الواقعية )  
في اللغتين الانجليزية والفرنسية فشلا درعا . ولقد كانت الشخصيات  
التي خلقوها سطحية وشفافة ولا ريب في أن موضوع طريقتهم في  
المصور الأدبي ، يقوم في هذه الحقيقة تماما .

ولا ننفذ كل شيء بالطريق الجماعي في المجتمعات التي يقوم على  
أساس الجماعة . وإذا كان الهدف في كثير من الأمور إلى نقد ،  
بسنوحي خبر المجموع كله . ولم يكن الناس جميعا إذا ما استنبها أصحاب  
الرؤوس القديمة — يعملون عملا جديا في جعل النقد الأدبي ، فلقد ترك  
أمر النقد بصورة عامة إلى منتجي الأدب أنفسهم . وقد أخذ النقد  
شكل شيب المفاهيم الأدبية ، وإيضاحها للمتفرجين على حرفة الأدب ،  
وجعلها بالتالي هي المتفوقة والمسيطر . ولذا انحصر اهتمامها بشكل  
خاص في التعابير الأسلوبية التي لم بنا نكرارها قط عن مرتبة الإعجاب .  
وكذلك في الطرائق ووسائل البناء الأدبي والإنتاج . وقد أبرز المنتجون  
الموهوبون مواهبهم الأدبية من هذه العناصر ، ثم انطلقت هذه المواهب  
أول ما انطلقت لتمارس طاقاتها في حقل النقد . وذلك في نطاق منظم من  
الانعكاسات الواعية دائما لروائع أدبية ناضجة ، يقوم على التقويم  
والمقارنة ، وكذلك على المقاييس المتبدلة . إذ أن المقارنات في الأدب تترك  
دائما أنرا من المقاييس المتبدلة . وهكذا اختلط عن هذا الطريق ، في  
الأدب الأكاني عنصرا التقليد والإبداع ، أي المدرستان الكلاسيكية  
والرومانتيكية . ووضع خالفوا الأدب ، على ضوء الروائع الموجودة ،  
قانونا للمسنويات الأدبية ، ومقاسا للأساليب بالنسبة إلى مؤلفاتهم  
وغدا كل واحد منهم في إنتاجه ، منسعا للقانون وإنسانا يمثل الغرابية  
التي تكاد يصل حدود الخيال .

ولكن إذا كنا نستطيع في دراسنا للأدب غير المكتوب إيجاد أساس  
لتعليم النقد التقليدي . فإن من واجبا في الوقت نفسه أن ندرك أننا  
في عرضنا لها لا نستطيع أن نتجاهل نتائج اتصالنا بالأدب الأوربي ،  
وبمواقف التقويم النقدية الموانية له . وإذا كنا حتى في عرضنا له ملزمين  
على أن نلاحظ اتصالا لنا بأوربا ، فإن من الواضح أننا عندما نكتب بعض  
أدبنا الحديث في الانكليزية أو الفرنسية . يجب أن نأخذ بعين الاعتبار  
أننا نكتب إلى حد ما إلى القراء الأوربيين أيضا . وهنا يصبح مشكلة  
طريقة الكتابة ، ذات صلة إلى حد ما بما نكتبه . فالقصصيون الأفريقيون  
الذين يكتبون في الانكليزية أو الفرنسية ، يصرحون بأن هدفهم هو أن

يكتبوا الى فرائهم الافريقيين العالمى النقافة ، وما لم يكن هناك شيء ،  
دو طابع أفريقى محص ، لا يسمى وحيه من طابع الادبين الانكليزى ،  
والعرسى ، ويحتاجه كل افريقى حتى ولو كان على التقافه ، فان المرء  
لا يستطيع أن يفهم ، لماذا يجب أن يتسر القصصيون الافريقيون أنفسهم .  
يأن رسالتهم الادبية هى أن يحشدوا الى فرائهم من الافارقة ويحسن  
أدينا «أشيبى» بأهمية هذه الرسالة ، وادا ما اسستينا كامارا لابي مثلا  
فان القصصيين الافريقيين لم يبدلوا جهدا للعمل بوحي هذا الاحساس ،  
فهم جميعا ، بما فى ضمنهم عاموس بويولا بلهجتة التسادة التى لا تفهم ،  
حاولوا على النقيض من ذلك ، أن يفلوا بتىء من التسف أن يكونوا  
فى الصور التى أرادها لهم الغرباء من النقاد الاوربيين ، وحتروا أنفسهم  
حترا فى هذه الصور ، دون أن يسترشدوا بوحي أو حتى بإيمان ، وكانت  
نتيجة هذا أن بدأ سحر بوتولو يضعف شيئا شيئا ، بينما باتت مهمه  
سبيران ايكويس أن ينجح فى العمل الاذاعى فى نيجيريا . وانتقل  
المشعل الى ايدي المبتدئين من امثال أشيبى ، الذى يواصل السير ،  
طريق النجاح باستمرار .

وهناك على وجه العموم طريمان يستطيع القصاصون الافريقيون  
بوساطتهما تأمين الغذاء الفكرى للجماهير الافريقية . فهم بسطيعون  
أن يدخلوا فى لغتهم لهجانهم الخاصة . وبستطيع المرء عن هذا الطريق  
أن يفكر دائما ببعض الالتواءات اللفظية وبعض المصطلحات المحلية  
الخاصة بلهجتة المحلية . والطريقة العملية التى بدو فيها هذه المشكلة ،  
تمثل فى معالجة موضوع البدائيه الافريقية فى أدب يكتب غالبا فى  
اللغتين الانكليزية والفرنسية . وهناك قول جميل مأثور يقول ان عامه  
الناس فى كل مكان لا يتفرون مطلقا . وعلى الرغم من صدق هذا القول  
الى حد ما ، إلا أنه قد يحجب ايضا ، ما قد يعرضه من انعكاسات  
صغيرة يمكن أن تظهرها فى الحقيقة . فالموضوعات الشعبية الافريقية  
تختلف من عده بواح مهمه عن اتباهاها عند الانكليز والفرنسيين . ولعل  
أقرب شبه لها فى أوربا ، هى الموضوعات المتعلقة بفلاحى ارلنده ، وفلاحى  
السلاف فى عهود ما قبل التوره . وما القول بأن الاوضاع الاحتمالية  
والجغرافية ، هى التى تحدد الى درجة كبيرة طبيعة الشعب وسخصيته  
الا تكرار لشيء شائع معروف فى علم الاجتماع . وتعزى الصرامة الى  
أصبحت مضرب الامثال عند الاسكوتلنديين الى الحقيقة الواقعة وهى أن  
«كاليدونيا» بلد ذو طبيعة جغرافية قاسية ، وموحتس كل الوحشة  
من ناحية والى تزمت النظام المشيخى الكنسى الذى يتبعه الاسكوتلنديون  
من الناحية الاخرى . وقد يكون الانكماش المتوارث . وعدم الاندماج  
مع الاخرين بالطبع سببا آخر من هذه الاسباب . وعلى هذا الاساس ،

وعلى سوء الأوضاع الاجتماعية وعلم الاجتماع وحدهما - هذا اذا  
سئنا نغافل النسأة الغيبة - يمكن توقع خلاف فى العبرية بين فلاحى  
افريقيا وبين اهالى الارباب فى انجلترا وفرنسا . وما اللغة الانكليزية  
الا حراء من التعبير عن عبقرية الشعب الانحلىزى، وما كراهيته للقواعد  
العامة الا انعكاسا جملا لما تتميز به الروح الانجليزية من ميل الى  
الاختبار والتجربة . على أى حال لا يستطيع المرء أن يفكر فى وجود  
لهجة ريفية فى اللغة الانكليزية ، دون أن يفكر بلهجة الربيعى الانجليزى .  
وفى الامكان حمل الربيعين الافارقة فى الفصة الافريقية التى تؤلف  
بالانجليزية على التحدث مثل أهل الريف فى انجلترا ، وستكون  
المصطلحات فى مثل هذه الحالة وروح النكتة الساحرة ، والسفن  
الاخلاقية الدينية هى عين مصطلحات الربيعين الانجليزى وروحهم  
الساخرة ، وسننهم الاخلاقية ، وما يصح قوله بالنسبة الى الانجليز ،  
يصح قوله بالنسبة الى الفرنسيين أيضا . ومن الواضح أن فى الامكان  
وصف رجال الاسكيمو باللغة الصينية دون تجاوز الواقعية أو الخروج  
عليها . وليست الواقعية الوصفية ، على أى حال ، هى عين المطابقة  
الخلقية . وبينما نكون الاولى أى الواقعية صالحة لكابى المقالات تكون  
الآخري أى المطابقة الخلقية الفاة التى يسعى اليها القصصى .

ومن المسلم به - أن من واجب الفصصيين الافارقة الجدد أن  
يعملوا لافريقيا ما عمله هاردى (Hardy) (١) ولورنس (Lawrence) (٢).  
لبريطانيا . وهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك عن طريق ابرار الصورة  
الافريقية المحلية ولهجاتها ، وراء كتاباتهم الانجليزية والفرنسية ، أى  
بالكتابة عن التقاليد الافريقية والظهور بمظهر من يترجم هذه الكتابة الى  
اللغتين الانجليزية والفرنسية - وستعتمد جدة كتاباتهم فى اللغات  
الاوروبية اعتمادا كليا على تلك الطرائق من الاصول الافتراضية التى  
لا يمكن أن تعينس الا فى الترجمات الافتراضية . وستعكس صورهم المحلية  
مواقف معنوية واصطلاحات ، وتصنعا أسلوبا وشخصيات وأوضاعا

---

(١) توماس هاردى ( ١٨٤٠ - ١٩٢٨ ) ، قصصى وشاعر انجليزى ، ولد فى دورست  
شاير من أسرة مواضعة - درس دراسة خاصة ، وتعلم اللاتينية والفرنسية من أشهر  
قصصه «عينار ررقاوان» وقصة - «كوريهيل وعودة المواطن وانان فى قلعة والمحوبة  
المشوقة و مجموعة من السيدات » وغيرها كثير .

(٢) دافيد هورب لورنس ( ١٨٨٥ - ١٩٣٠ ) قصصى انجليزى ، ولد فى بوتسجهم  
من والد يعمل فى المناجم ، درس فى كلية المدينة ، أصبح استاذا من أشهر قصصه  
« الطاووس الابيض و أبناء وعشاق و اجثار المحبة و الشفق فى ايطاليا و اومام اللوامى  
و عشيق اللىدى شاترلى و قوس فرح و نساء عاشقات » .

مختلفه . ويجب أن يكون الوضع الذى بصورة القصصى هو عين الوضع الذى يلمسه وبحس به . وعندما تختلف لفتان فى طاقاهما على وصف الاتباء وصفا عاما ، كالاختلاف القائم مثلا بين اللغات الافريقية، وبين بعض اللغات الاوربية . فان من الواضح ان على العصة التى جعلت موضوعها عن الافارقة التقليديين أن تظهر سببا من الحدق فى بناء الصورة التى نعرضها والسير فيها ، ولا ريب فى أن مثل هذه الصور هى التى تجعل من الادب الاوروبى الحديث افرىفا حتى وان كتب فى لغات أوربية وهو ما لا يقع لمجرد أن الافريفيين هم الذين كتبوه .

ولا ريب فى أن طرار النكتة الساخرة ، الذى يظهر فى النباح الادبى الافريفى القديم ، يؤلف عنصرا آخر ، له جذوره التابنة فى الريف، ويلقى غذاءه فى نبات الخيال والاسياء الغريبة .

ويتمثل السئى النانى الذى يستطيع القصصيون الافريقيون تقديمه الى جماهيرهم الافريقية فى استقلال اوضاع مجتمعاتهم . وفى ضممين قصصهم العناصر التليديه العديمة والعناصر المختاره من ثقافتى الغرب والسرف الاوسط ، وما يتميز به حاضرا من ميوعة وانسباب ، وما يواجهه بقافنا من بعد، وما يتعرض له أنظمتنا القديمة من ابهار وتفسح ، بالاضافة الى تصورات العفليات والعفائد والعادات ، والدكاء والثبات ، والصوفيه التليدية ، والدمانة الارستقراطية والكرم الحاتمي . وفى وسع كل هذه الموضوعات أن تؤمن المادة اللازمة لعدد ضخم من القصص والروايات والمسرحيات ولو أظهر فصاصو افريفييا وكتابها المسرحيون احساسا كافيا بما يمتد أمامهم من آفاق واسعة ، فان شخصه الرجل الضائع بين عالمين، وهى الشخصية المرعجة كل الارعاج، ستتضاءل فى حجمها ولن تظل كابوسا لهم الى ما لا نهاية ، فالرجل الضائع بين عالمين أى الرجل الذى لا يتعرض بطريقة جذرية أو بابتة الى وسط غريب عليه ، مختلف كل الاختلاف عن الوسط الذى ينتمى اليه . مع استمرار وسطه التقليدى فى الاحاطة به ، هو حقا انسان تائه مشرد ، فاستحواده على الثقافة الجديدة ليس من السموول الكافى بحيث يصبح جزءا من وعنه ومن ضميره ، وهى لهذا تظل فى صراع دائم . ومستمر مع « الاجواء » التى ولد فيها . والتى لم تستأصل قط استئصالا صحيحا من الكون الذى يعيش فيه . فهو لا يعدو أن يكون والحالة هذه لغزا نغافيا غامضا ، لا ثقافة يتكافأ وبها الضدان . لان نغافنه هتة - تكون مصحوبة دائما ، والى حد بارز ، بالمساوى والرب والتكوك . وقد نغلب هذه الرب ، بل هذا التونر الذى يبلغ حدود الصعاب ، الى فواحج مرعبة . حقا ان الرجل الضائع بين علمين .



والذى يحاول ان يحطو كخطو العراب الذى نسى متينته . رجل نانه  
مشرّد .

أما بالنسبة الى الادب الاكائى نفسه . فسيظل فى حالة نمو  
واردهار مضطربين مسعبا النفع من كل علم حديث . وتمارس العدره  
على الكابه تأثرا عمعا على الادب الحديث عند الاكايين . واذا لم يكن  
لها من فضل سوى توسيع الافاق فى الادب ، فان هذا الفصل وحده  
اكثر من الكفابه . ولا رب فى ان هذه الطاهره تؤلف ميرة صحمه بالنسبه  
الى ما فى الادب التغلبى القديم من لدغ حاذق . فلفد مكب سعه  
الافاق العاصيه هذه ، الادباء من منابعه بحوبهم بصوره معضله . وهذا  
سهل على الشخصى « السلاى الابداد » ، مهمته وعمله . وأضفت هذه  
السعه نفسها على السعر الاكائى مريه نظريه تختلف كل الاختلاف عن  
مزاياه السعبيه السابقه . وذلك عن طريق ظهوره فى شكل مطبوع .  
وبات فى وسع الانسان أن يراه الآن فراءه صامته، تتمتع بها كل التمتع.  
واذن الكابه ايضا الى ظهور المزيد من الانعكاسات الشخصيه فى الشعر.  
وذلك لان عامل « الدرب » قد أصاب مستمعى الشعر ايضا . فأصبحوا  
فرادى اكثر منهم جماعات محمعه . وبينما كان الشعر الفداى  
بضفون تعبراتهم الشخصيه على الحقائق المشتقه من النظرة العالميه  
للمجموعه . وكذلك على العواطف والسنن الاخلاقه المجموعيه ، فان  
- الشاعر الاكائى ، بات قادرا اليوم ، ويريد قدره يوما بعد آخر .  
على التعبير عن رأيه هو . وعن فهمه الشخصى للعالم . وكذلك عن  
عواطفه الخاصه به واحلافه . ومع ذلك فهناك بعض الشعراء المحدثين  
من أمثال نكسا ، الذين يعربون عن الاحاسيس المجموعيه فى قصيدهم .  
وهى أحاسيس بسمد وحما والهامها من التقاليد الاكائيه الحيه .  
وأرى هنا أن أفنيس ترجمه حرة لمقطوعتين من شعر بكتا الاكائى ، وأولى  
هابن المقطوعتين من قصيده بعنوان « الخطوات الاولى » . . . قال  
الشاعر :

ورأيت طائرا صفرا يحلق فى الهواء . .  
وقد امتلا معاره بالعسلابج التى بحملها .  
انه يتجه الى هناك بعدا ، فوق البحر ، لسل الى با آماو  
ما بحمله ، وللسبحم روحه فى مياهها .

\*\*\*

ولكن هل وصل الطائر الصغير ، دون أن يراه نوح ؟  
أو لم أر الربح نحمل صحرة نتأرجح فى يديها .

لهدد بها الطائر الصغير الاسبه نكرة من المطاط •  
وهو فى طريقه فوق الأمواج • يصفى بخناقيه تلك الريح الشرسة  
النسى بعذبه •• ويعول أمامه •  
أو لم يصب الصحرة ، الطائر الصغير •  
أو لم يمت ؟  
آه لقد انهك ببات العطر اللزح العتس الذى بهاء •  
ونغلبت بقات الوحل ، على السلة النى حاكها بمنفاره •  
بالله ، لقد تحولت مرعة الاله فوسو الى أجمة من الاسواك ••  
أما القطعة البايبة النى أردت اقبياسها هنا ، فمن قصيده له عنوابها  
« العمر » •• بقول الشاعر ••••

أو لم يحدث مؤخرا •• وكنت أفنعد العرفصاء على فمة رابية •  
ان رأيت العمر ، يقف هناك فوق العربة •••  
ينسر خيوطه الذهبية على سفوفها معلنا عن وجوده •  
يا له من سائج جواب ، تأمر مع الليل •••  
وراحب العراشات بدله على طريقه • بينما يصفى له بأجنحتها ••  
وبعضها بهلل له وبهتف • بينما البعض الآخر تكس له الطريق ••  
ويجعل من نفسه متبعلا يقود حطاه ••••  
سم تشاير أمامه وحلقه ، والى سماله ويمبته •••  
وكلها ألسنه يرم ونزغرد •

\*\*\*

يا طفلات أمنا الأرض •• يا أطفال زوجه « الحميس »  
برمى ، واسدى فى الصوء المتفتح •••  
فالكبار منكس يتحدثون • والصغار بصغين بكل آذانهم •  
أما أنت أبها السائج •• أبها الطائر الجواب ، أبها القمر •••  
فأنا منع على هضبنى ، لم أعد أراك •

\*\*\*

برى من اخطف الصياء الابيص من بين بدى •  
برى من الذى يرشدنى الى المكان الذى مضى اليه العمر ؟  
نرى أين أضع قدمى حتى لا أفقد هذه النعمة ؟

أُس أدرع مفعدى حىى لأرى أى ببدل “  
وهساك فى الدنيا الثانية ، دنيا الشدة والمنحة هل يتجدد الأصعران.  
الليل والنهار ؟

\*\*\*

فف ٠٠٠ بل عد ٠٠ وانقل الى جميع أبناء العيلة .  
ان العمر لم يمت ، لقد مضى ، ولكن ها هو يعود الآن .  
فليعد الكبار الى أحاديثهم . وليرجع الاطفال الى لعبهم .  
وليجلس العراف ، مقتعدا على الراية ٠٠٠  
ليسرح ببصره فى الفضاء البعيد ٠٠ لقد عادب الاميرة ٠٠٠  
نحطو وهى نائمة فى طرفها الألى ٠٠  
لقد بعدت عن القرية ٠٠  
وخيم الظلام ٠٠ عابسا أنسد ما يكون العبوس ٠٠

\*\*\*

ان الحب الذى نبديه لى يغلبى على أمرى ٠٠٠  
وهذا هو ما أنهم به ٠٠٠ وعندما أقتعد العرفصاء على الراسة ..  
ولا أراك أمامى . فسأعرف أن الى جانى ٠٠٠  
نفعى حبك معى ، على الراية .  
وعندما أقتعد العرفصاء على الراية ، فلا أرى وجهك أمامى ٠٠٠٠  
أعرف أنك لم ننسى ٠٠٠٠

\*\*\*

أولا بعكس هابان المعطوعتان الشعريتان ، مراج الاكابين الحزين ؟  
لاريب فى أن البسمه التى تبدو على شفاه الاكابين دائما ، هى فى حد  
داتها دليل واضح على مايجنم على صدورهم من سحابات الحزن . فالضحك  
حزن كما أن الملهاة مأساه وكثيرا ما يكون مصدر ضحك الاكابين ، فى  
فهمهم لكل ما هو غريب ، وشاذ . أما السىء الليل الغرابة ، فأصعب  
من أن يبر صحكهم ، وكثيرا ما يؤدى الى استنارة ملهم . واحتداد  
مراجهم . ويعرض مزاج الاكابين الحزين نفسه فى نعاير وجوهم ، التى  
بعكس طرازا وراثيا من الأسى والحزن . ولا ريب فى أن هذا الارث  
الحزين ، يجد ما يغذيه فى نظرتهم الغيبية الى الأمور . وفى المبادئ التى  
تقوم عليها أسس تنظيمهم الاجتماعى ، والاعتقاد القائل بأننا نمت الى  
مجتمع ، نمت اليه أيضا أرواح غير منظورة ، للأسلاف والجدود ، تواصل.

تدعيمها حولنا دائما ، وكذلك الاعتقاد القائل باننا نحن والأرواح هذه  
نحوق فترا واحدا ، لا يمكن أن يؤدي الى حساله من الاسعاس النفسى  
والاسرافى الفكرى ولا ربب فى أن اعراف الاكائى فى روحانية الانسان .  
قد ولد عند كل فرد نفسية حربية منفصه . وئى وسع بطريات الروح  
بالطبع ، أن نخذ أسكالا مخلقة . ومنها السكل الانسانى الذى يعرض  
المراء فيه ، أن يكسيف فى الوصع الانسانى قيمة معبوه أصيله ، قد  
نتحول الى نظرية روحه عن الانسان . ولبس من المدهس والحالة هذه  
أن نجد فى الحديثة الوفوره ، السى بسمبر بها كيون من دعاه الاسابه  
لحا ، لا سسطيع العبى بجاهلها ، من الحزن والأسى .

وليس نمة من سك فى أن هذه النظره الحزنه عند الاكائين ، قد  
نجسدت فى أفكارهم التى سطوى على موقف الاحلال الكلى للعضاا الروحية  
وعلى الجديه كل الجدية فى معالجة سير الاحداث الدبويه .

واذا عجز المراء عن اعطاء صوره وصفية آسرة عن الادب . فان فى  
قدره أن يعطى صوره نفسيره له . وهى بسطيع المراء أن يصع أمامه  
مجموعة بابة من الساج الأدبى ، سرع فى دراسها . ولعل المزية الفكرى  
فى هذه الطريقة أنها متفنه الافى دائما ، وأنها على اسعداد لسقبل  
امكانات الفن الجديدة السى سسطيع خالق الأدب الرئيسى أن يعرضها .  
ومهما كان الفاليد فوبة مهابه الجاب فان من واجبها أن نفسح الطربى  
أمام المواهب الفردية . واذا سئنا التلخيص ونبسط الامور ، فلنا ان  
الأدب مجموعة تجارب من بها رجال وساء كدرو الاحساس تحولت الى شىء  
واقع ، عن طريق الحيال فى استخدام اللعبة ، وبانت فادرة على اسناره  
انعكاسات فاهمة للفكر والعاطفه ، عند الجسماسهر . وعن هذا الطربى  
وحده ، يسحول الأدب الى فن من الفنون .

### السنن الأخلاقية والغيبات :

فى الامكان سرد معظم البطريات الفلسفه فى بصع جمل لبس الا .  
وبنألف معظم الكتابات الفلسفية . على حد رأى زميلنا جى ، اى ، ويريدو ،  
من نوقع اعتراضات سيرها أنصاف الاذكاء ، وردود المفكرين عليها .  
ويتألف معظمها أيضا من ايضاحات للبيانات التى تتضمنها النظريات ، ومن  
الحجج السى سستخد لدمها . ولا بعنى افهار الاكائين الى الكفاه فى  
الماسى ، انهم كانوا يفتقرون الى الافكار الفلسفية . فلقد تقدم جريوبى  
وبالانديه بأسئلة الى بعض عفلاء الافريبيين وحكمائهم . واسه حصلوا  
منهم على بيانات وآراء ، لارب فى فلسفتها . ولقد كتب الاب اليكسبسى  
كاحامى ، اطروحة دكتوراه عن مفهوم الحاة بين أهل . . «رواندا أوراندى»

ورسم الأب بلاسيد تيمبلز - صورة نظرة هبائل « البالوبا » فى الكونجو الى العالم ، والسنتن الاخلاقية المشتقة من هذه النظرة . وصرف الدكتور دانكو ، فى غانا الكثير من الجهد فى دراسة مفهوم « الله » عند الاكانيين . وعلى الرغم من كثرة عدد هذه المؤلفات والبحوث ، الا أنها كانت متناثرة ومنفرقة فى تاريخ صدورهما . ولم يظهر فقط بوصوح على أنها تؤلف جهودا واصحة فى حفل جلى من حقول الدراسات الافريقية الفلسفية .

وهناك بالطبع ناحيتان رئيسيتان فى هذا الحقل ، وهما الناحية العامة والناحية الخاصة . وفى وسع العاملين فى هذا الحقل أن يجدوا فى طول أفريقيا وعرضها نماذج مما يمكن أن يدعى فلسفة عامة ، تتابع عادة الأسس النظرية للمجتمع التقليدى . وثمة أيضا فلسفة خاصة على أى حال وهى زبدة أفكار أفراد لا بصور الفكر المجموعى . وليس ثمة شك فى أن الكثير فى مؤلفات كاجامى ، ودراسات جريوبى ، وهى من هذا الطراز الاخير . وقد يقال ان جريوبى وجد فى بحوثه فى غير هدى فيلسوفا « افريقيا » فردا ، بدلا من أن يجد مستودعا من الفلسفة العامة .

ومن الواجبى الوقت نفسه التمييز بين السؤال عما اذا كانت هناك فلسفة افريقية والسؤال عما اذا كان هناك فلاسفة من الافريقين . وعلى الرغم من أن الرد بالنفى على السؤال الاخير ، يعنى ردا «سلبيا» بالنسبة الى الاول أيضا فان الرد بالايجاب على السؤال الاخير يترك المجال مفتوحا بالنسبة الى الرد على السؤال الاول . والتساؤل عن وجود فلسفة افريقية ، لا يعتبر سؤالا ذا طابع تفردى . فليس ثمة من داع يدعو لوجود فلسفة افريقية أن تكون هذه الفلسفة مختلفة عن غيرها من الفلسفات . ويكفى أن تظهر هناك فلسفة فى افريقيا والا تكون هذه الفلسفة مشتقة من خارج القارة .

وتجد بعض القضايا الفلسفية التى تثار فى أى مكان فى العالم ، ردودا لها فى الفكر الافريقى . وفى وسع الانسان أن يضرب مثلا بنظرية المعرفة . وتهتم نظرية المعرفة على وجه العموم ، بأوضاع المعرفة عامة ، وببذل محاولة لتحديد حدود الفهم الانسانى وطرائقه الى المعرفة على اختلاف صورها ، وأشكالها ، وبايجاد طراز من هذه المعرفة يؤلف فى حقيقته نمطا يتوقف على ما فى الطريقة المؤدبة اليها من نفع وفائدة . ولكن نظرية المعرفة أيضا تهتم ببندود خاصة من بندود المعرفة . ولا سيما تلك التى تعتبر تطبيق مفاهيمها فى حد ذاته دليلا على فهمها حقا . وتعتبر طريقة « الافعال المتواترة » التى اكتشفها الاستاذ رايلى ضمن هذا الطراز ، كما تقع ضمنه أيضا اصطلاحات كثيرة ، تبرز فى علم الأخلاق كاصطلاحات: « فرض الكفاية » و « المبرر » و « المتعمد » و « المقصود » و « القصد »

والاصرار « وماشائها . فمفهوم الدافع وحده مسلا يطور على مفهوم « الانسان العاقل » ولا يعتمد ما اذا كان للاسان دافع ، أولا « اعتمادا كليا » على مدى اعترافانه هو ، أو على بمره الاسيطان . فهو لا يبدو كملاحظ متميز على غيره ، لدوافعه هو . ويعتمد الدوافع التي يمتاز بها أو يهتم بها على المظاهر العامة لسلوكه ، وعلى الفكرة العامة عن الانسان المعقول الذي يكون في وضع يسببه وضعه . ولكن الصورة العامة للانسان المعقول تتأثر تأثرا سديدا بتنظيم المجتمع . وبالأسس النظرية التي يقوم عليها . ولعل هذا هو السبب الذي يجعل الرجل المعقول في كل مكان مماثلا للرجل المتمسك بالسنن الأخلاقية . ولكن اذا كانت صورة الانسان المعقول . وسلوكه يعتمدان على طراز المجتمع الذي يوجد فيه . فان من الواضح أن حلول المناكلك الأخلاقية التي لا يخرج عن كونها شبه نظرية لابد وأن تعكس الخلافات التي تقوم بين طرز المجتمعات وأنماطها . ولنصل من هذا المثال الى نهايته . نفصول انه حتى ولو توحدت قوائم الدوافع وظهرت متشابهة ، فان عزوها الى أصولها لا بد وأن بتأثر بالنظرية التي تسود المجتمع في الوقت الراهن . ولا بد للمواقف الفلسفية المتعلقة بها أن تظهر فروقا مماثلة ومواربة . ولهذا فان عودة الفلاسفة الى ما نقول أو نفعل لا يمكن أن تكون دليلا على قصر النظر . وهنا يكون دور المذهب النسبي في التأثير على الفلسفة .

وقد رسم عدد من الناس حدود الفهم والمعرفة الانسانيين بطرق مختلفة ، ولا ريب في أن الخلاف بين المذهب الفعلي والمذهب التجريبي . يعكس هذا الفرق ، وقد لا يظهر مثل هذا الفرق دائما في الألفاظ . ولكنه يظهر بصورة أكثر تكرارا ، في التعريفات المعسادة وفي البيانات والايضاحات . ففي الاعراف العقلية مثلا ، يجب أن يكون المرء قادرا لايضاح شيء ، بشيء آخر ، أن يقيم الاسندال الذي يربط بين الشئيين . والنوانر النابت المجرد ، لا يعتبر كافيا . فهو بالاضافة الى عجزه عن تقديم ايضاح لغيره ، يحتاج الى ايضاح لنفسه . ومن هنا فان بعض الروانات التي تعتبر في العرف التجريبي شيئا بحمل طابع الايضاح . قد لا تكون في العرف العقلي ، صحيحة أو خاطئة وانما مجرد شيء لا يمكن أن يحمل طابع الابصاح أبدا . ويوضح هذا الخلاف على فكرة الايضاح شيئا من النعبل لبعض المفاهيم العامة ولتصنيف التجارب ، ونصل من هنا الى موضوع الغيبيات . فالتصنيف الاساسي للتجربة « من النظرة الاولى » بعرض قبل كل شيء عددا من الامكانات . ودراسة النماذج الفلسفية في حد ذاتها ، منطفلة على احتمال النظرة الأولى ، اذ أن ما يعرضه النموذج الفلسفي ليس الا محثا وجوديا من ابحاث نظرية المعرفة والا الفئات العامة للوجود وطريقة تأليفها ، وهي الفئات التي تؤلف الهيكل المفهومي.

للدراك الباطن عن العالم • ولم يعد قضية التسعّب في الغرب ، الى موضوع وروح ، ، مسأله ملحة ، فامكاية فيام « الكيف » على أساس « الكم » ، تؤدى الى ظهور عدد من الكواييس المسيطره ، كفسير الروح بالمسارب والميول ، ونفسير العقل بالطافات والعدرات ، واقامة الهوية الفردية على أساس حصائص الجسم والعلاقات بين الأجسام • وكل هذه دفائى فلسفية تفرع بنسدة على الدوى العلى الفلسفى عند الاكانيين ، وكل هذه العصابا فلسفية ، كما أن الانعكاسات اللغظية عينها لا يقل عنها انصالا بالفلسفة •

ولقد سبق لنا أن قلنا ان الأكانيين ميزوا بين الروح والمادة ، ولكنهم لم يعتبروا العنئين من الأمور المتساوية ، وسبق لنا أيضا أن رأينا أن الأكانيين ميزوا عددا من العوامل الروحية فى الانسان • وأدركوا أنه على الرغم من أن الجسم يمكن أن يميز عن طريق الحصائص البدنية ، فان الفرد لا ينظر الى هويته الشخصية على هذا النحو • ولقد نسب الأكانيون الهوية الشخصية الى « الاوكرا » السى سبق لنا الحديث عنها • أما الهوية الفبلية أو العنصرية فقد نسبت الى « المونجيا » وقد اعتبر الساسوم مسئولا عن شخصية الانسان ، واعتمدت هوية الشخصية ، على رفض التلبس عن طريق سانسوم غريب • ومن هذا يظهر أن التفكير الدكانى ، كان يرى وجهة نظر لا تناسخية للشخصية • وكانت العيوب الخلقية فى نظرهم أيضا أخطاء روحية تبلغ أحبانا حدود الآثام وكان من المعتقد أن فى الامكان انتزاعها وزوالها ، عن طريق ما يمكن أن يسمى بالجراحة الروحية •

ولما كانت الأخلاق تعتمد على العوائد الغيبية ، فان سنن الاكانيين الاخلاقية كانت من الطراز « العملائى » • ولما كانت العقوبات الخلقية متعلقة بالروح • فان فى الامكان عن طريق شىء من الافتاء ، اظهارها حنى ولو كانت وحشية وهمجية ، بمظهر ملطف ، ولا ريب فى أنه نفس اللون الغيبى ، الذى يوضح سورة الغضب التى يحس بها الاكائى تجاه الانحرافات الخلقية • فمن الناحية النفليدية ، لم يكن الانحراف الخلقى مجرد عار يلبسه صاحبه ، وانما كان خطيئة كبيرة دائما ، اذ أن الانحراف الخلقى يعتبر عندهم وسيلة لنسب السعادة الروحية وخلفها وتوضح الطبيعة العقلانية والاطلاقية للشرائع الخلقية. عندهم أيضا ترددهم فى تقبل وجود درجات من التفاوت بالنسبة للخطيئة الواحدة • فلقد كانوا يرون فى تصنيف الخطايا أمرا شكليا لا يعدو حدود التعريف ، ولا يمكن أن يرضى بأى تفاوت أو درجات وعلى هذا الاساس لم يكن العقاب عندهم بعكس أية فروق فى درجة خطورة الخطيئة عن طريق التفاوت فى صرامة العقوبة • أما النظرة التجريبية الى الجريمة والعقاب فتؤدى الى شىء من الانسنة فى العقوبة •

ويتعزز الفرق بين الروح والمادة ، وهو أهم ما يميز غيبيات الاكانيين  
والتمييز عندهم بين الميزة والطبع . فبينما قد يقوم الطبع على أساس  
« الحكم » فإن أى مجال لم يبق ظاهرا عند الاكانيين لتحديد شكل « الكيف »  
وحده .

ومع ذلك لم تكن الفلسفة عند الاكانيين كلامية مطلقا ويمكن القول  
عنها على طريقة سبينوزا (١) بأنها تمثل الفكرة التى يمثل المجتمع  
بجسديها . وكما تفصل المجتمع التقليدى عند الأكان ليمثل فى القرية ،  
فكذلك تفصلت فلسفتهم التقليدية العامة ، لتتخصص فى الحرية أيضا .  
ولا ريب فى أن هذه الفلسفة هى التى حددت ديانة الاكانيين وأخلاقهم  
وأوجت أيضا بقانونهم وشرائعهم فأرواح الناس عندهم اعفاء فى جمهورية  
روحية تنفصح أمدا من الزمن فى أجساد من لحم ودم . وكان القصد من  
الطقوس التى يتحتتم على الانسان أداؤها كطقس غسل الروح مثلا أن  
تكون علامات خارجية ظاهرية لحالات روحية . وذلك لكى يتمكن المجتمع  
بكامله من أن يستجلى أوضاعه ككيان روحى .

وفى الامكان اعتبار القانون الأكانى كشيء مكمل للسند الأخلاقية  
وكان العقاب الذى يلى الخطيئة الأخلاقية بطيئا فى نزوله ولكنه عندما يقع  
يبدو بمظهر التعبير عن غضب الاله « نيامى » الذى يقال عنه أنه يكره  
الشرا أو كمظهر للنكفير ، تنزله الروح المعنوية بنفسها . ولما كان فى امكان  
هذا الطراز من العقاب أن يكون بطيئا فى وقوعه فإنه لم يكن ينظر اليه  
دائما ، على أنه ذو علاقة بارتكاب الانم نفسه . ومن هنا يكون الاغراء  
أمام الاشرار لبذل كثير من النشاط ولتحديد هذا النشاط ابتكرت  
مجموعات من القوانين البشرية التى نصت على عقوبات منظورة مخافة ان  
يحاول الاشرار الافادة من بطل العقوبة الالهية لأن « نيامى » يحتمل  
طويلا الآلام التى ينزلها به الناس ، ولأن المرء لا ينزل العقاب بنفسه  
كتكفير عن خطيئته الا بعد أمد طويل من التردد . وهكذا كان من الطبيعى  
أن يكون القانون ابعاء مؤقتا مجرداً .

وكانت القواعد الاجتماعية شكلية على أى حال . وكانت تحدد  
بالاضافة الى ذلك العلاقات المتشابهة مع الناس ، وهى ترمى دون أن  
تكون متزمنة فى شكلها الى تأكيد الأوضاع القائمة وبقاؤها .

---

(١) باروخ سبينوزا (Spinoza ١٦٣٢ - ١٦٧٧) فيلسوف هولندى ولد فى  
امستردام من أصل يهودى برتمالى . حملته أراؤه الدينية على الظهور بمظهر المخالف  
للإهود . فتتبر لفسفته عقلانية فى أنها تقوم على المحاوره وعلى الافتراضات . وتقوم على  
أساس اليهودية وازدواجية ديكرات والوحدانية وأفكار هوبيس . وقد بلغت قيمتها فى  
الفيزياء ، فقد أكد أن علم الطبيعة وحده هو الذى يكشف جواهر الامور .



وهكذا كان تعامل النخافة الغربية من جانب واحد مع هذه الثقافة التي نحدث عنها قبل قليل . ولم تنتقل الى الثقافة الغربية من ثقافة الاكانيين الا بعض العناصر القليلة جدا . أما من الناحية الأخرى فقد سارت التأثيرات الثقافية الغربية الى الاكانيين عبر دروب استعماريه وتجارية وتبشيرية . ولما كانت قوى الثقافة الموحدة والرابطة ، تهدد المشاريع الاستعمارية ، فلقد غدت مصلحة الاستعمار نفسها تقضى باضعاف هذه الثقافة ولا يمكن تفسير الحملات الأولى التي شنها الاستعمار على عرش الاشانتى الذهبى الا عن طريق هذا التحليل . فطالما أن العرش قائم ، وفى حيازة الاشانتى فان أبناء هذه القبائل كانوا ملزمين على ما يظن بالدفاع عن بلادهم ضد كل عدوان . وعندما ظهر « راترى » فى الميدان ، تمكن من اقناع وزارة المستعمرات بسرعة من أن أية حركة مباشرة ضد العرش الذهبى ستثير مقاومة عنيدة هائلة ، وعندما تمت تسوية مشكلة الاشانتى اقامت نساؤهن عرشا من العضة قدمته هدية الى الأميرة مارى . وأنقل هنا فقرة من الخطاب الذى وجهته ملكة الاشانتى الوالدة الى كوجزبرج ، الحاكم البريطانى العام فى البلاد . . . قالت الملكة . .

« اننا نبتهل الى الاله العظيم نيانكوبون ، الذى يركن اليه الناس فلا يحيب آمالهم ، والذى يتعبده الناس يوم السبت ، والذى يعمل الاشانتى كما نعمل الأميرة مارى فى خدمته ، أن تمنح ابنة الملك وزوجها الحياة المديدة والغيش الرغد ، وأن يحملها عندما تجلس على هذا العرش الفضى الذى صنعتته نساء الاشانتى للكتهن البيضاء الوالدة ، على أن تطوف فى مخيلتها » .

وكان المبشرون أيضا مجرمين بما اقترفوه من أعمال الهدم والتخريب ، فقد خيل اليهم أن الاكانيين وغيرهم من الأفارقة يعبدون تحفهم الفنية فجمعوا منها ما استطاعوا جمعه ، باذلين كل جهد فى سبيل الحصول عليها وأوقدوا فيها النيران ولعل من معجزات القدر أن بعضها نجا من المصير الحتمى فى أن يكون طعاما لالسنة الذهب .

وكانت المدارس الرسمية بالطبع أداة رئيسية من أدوات الاستغراب وكان من السهل عليها وبصورة تثير السخرية أن تحقق غايتها لسبب واحد ، وهو أن أفريقيا لم تكن تعرف على الغالب هذه المدرسة . وعلى الرغم من أنها تبعا لذلك قد افتقرت افتقارا كليا الى الأوضاع التى تنمو منها نموا طبيعيا الا أنه لم يكن هناك الكثير من الأوضاع الراهنة مما لا يتفق مع وجود المدرسة الرسمية . ولم تستطع مزايا الشهرة التى نرافق طلاب التعليم الغربى فى المسرح الأقربقى أن تغوى الا عددا قليلا من الناس الذين تحولوا عن طريق هذا التعليم الى المزيد من الافصاح عن قوميتهم وحمل

ممثلو البلاد الأوروبية بعافتهم معهم الى مستعمراتهم وراح أولئك الأفراد من رعاياهم الدين ابتلعتهم الدوامة الثقافية والادارية الجديدة . يمحنون لهم عن مكان تحت الشمس البعافية المتلاثلة الجديده . وقد بدأت عملية التوجيه الجديدة في المدارس حيث سرع الأطفال ، يتعلمون أساطير وقصصا شعبية من أساطير الآخرين وقصصهم لا من أساطير بلادهم وقصصها . ولم يكن في الامكان الافتراض دائما بأن مقاييس السلوك المسنح والمثل الممكنة التي ننضمها هذه القصص هي مقاييس محلية وعلى هذا الأساس ، وبهذه الطريقة كان الأطفال يلفون السجيج ليعيسوا بالإضافة الى حياتهم المطهرية الخارجية ، حياة داخلية ، نعتبر منعصلة عن علاقاتهم وعن شعبيهم وليفقدوا احساسهم بذلك البنيان الذي بعوا منه . وقد سجعوا عوضا عن ذلك، على استقلال الطافات المدهسة عند الأوروبيين ومسينهم وإبكارهم وفضولهم الصفيق مع ما فيه من نفع تجاه الطبيعة لمعرفة أسرارها ، وما تركه هذا الفضول من تأثير على الافريعيين وذلك كله في محاولة منهم لبسبوا الى أنفسهم وبطريقة الوكالة ، سيئا من السهرة التي جمعها الرجل الأبيض . وقد قبلت هذه الميول في شمال نيجيريا مثلا ، حيث أخذ الناس يظفون على الرجال الافريعيين الذين يؤدون اليوم المهام التي كان الأوروبيون يؤدونها بالأمس اسم الرجال البيض أيضا .

وتم عن طريق توجيه المدارس الرسمية اضاءة فرصة ضخمة في اغناء الثقافات الافريقية اذ لم يكن هناك أى سعى منظم وذى أهداف لافتراض والتكييف ، مدفوع باحساس من الحاجات والطاقات ، وهي عملية كان لابد وأن تعنى التلاحم بين عناصر الثقافات الغربية والثقافات الافريقية في شكل مقبول ومفهوم .

وأدخلت عن طريق النشاط التجارى أذواق جديدة وعمليات جديدة من النشاط الاقتصادي ، وقد رافقت هذه التطورات أنظمة غريبة جديدة من التسريع وإدارة الحكم ولم تحاول كل هذه التطورات بالطبع احداث تبدل جذري في الوضع كله ، اذ بينما ظل التشريع في أضيق نطاق ممكن انعنست أنظمة الحكم بطريقة عنيفة ونورية .

وعلى الرغم من اشارتنا العابرة السابقة الى النزعة التجريبية عند البعثات التبشيرية ، فإن التعبير الفني هو على الأقل الجانب الذي ظل أقل تأثرا في الحياة التقليدية القديمة وقد استمرت الموسيقى الرافضة والأدب في فؤبهما وعلى الرغم من أن الفن السياحي قد حل محل النحت التقليدي القديم فإن ما في الأخير من موهبة هازل واضحها كل الوضوح .

وكان سنيوخ القبائل وزءوس الأسر هم مصدر الرعاية التي أضفب على الفنين الذس عملوا في صناعة البلاستيك التقليدية واشترك معهم

فيها- أيضا الكهنة ورجال الدين • ويقوم الاختلاف بين الفئتين الديني والعلماني في فوائدهما أكثر منه في محنهما • وقد يقال ان الفن الديني قد اتخذ مواضيعه من شخصيات الآلهة والاسلاف من ذكور واثاث وكان لابد للأقنعة التي تستخدم في أعراض سحرية ، ان تحتل مكانة وسطا بين الدين والعلمانية ، أما الفن العلماني فكان على الغالب من الطراز الذي يستخدم في الزخرف والاعلام وكان يستخدم لزخرفة بيت أو شخص ، وأحيانا لإبراز رتبة أو تمتل عبيرة •

وقد سبق لي أن ذكرت نسيئا عن الزخارف في فن العمارة وفي الأثاث وسبق لي أن ذكرت أيضا الفن الذي كان يصاحب صياغة الذهب والفضة والملابس التي يرتديها التسيوح والتي تقدم مثلا بارزا من هذه الزخارف ولم تكن تماثيل الاسلاف الا من نوع الرينة في ذلك الوقت ، ولم تكن تستخدم لأغراض السحر الا في المواسم والاعياد التي ننادي بها أرواح الاسلاف • ولم يكن الفصد من هذه التماثيل أن تستخدم كماوى لأرواح الاسلاف ، لتسحرها في الأغراض الدنيوية • فهي على أى حال تبدو مثل الاسلاف الذين تمنلهم ولم يكن وجودهم يتعدى حدود المحور الذي يظهرون فيه عندما نستحضر ارواحهم •

وكانت المواضيع الفنية التي تهمننا تميل الى أن تكون مرتبطة بالحياة وبأصول الانسان وكانت تضم الآلهة ، والعوى المولدة والامهات والاطفال والاسلاف والجدود وكانت نمة اقنعة تستخدم في طقوس الخصوبة التناسلية ، كما كانت هناك رسوم رمزية تمثل العشائر في شكل نباتات أو حيوانات •

وكانت القضايا التي تؤدي الى اختيار المواضيع للانتساج الفني قضايا نظرية ليس الا • وذلك لان الحفاظ على الانظمة ادى الى تخطيط بعض العلاجات الاوتوماتيكية التي تستخدم في الامراض العملية • ولما كان المجتمع يسمى من ناحية توجيهه الروحي شيئا مقدسا الى حد ما فان القضايا النظرية كانت تميل الى التأثير على طبعة الآلهة وغيرها من الأرواح وعلاقات الانسان بها والتصميمات الرمزية للعشائر المترابطة ترابطا روحيا وتأمين محل هندسي تستقر فيه أرواح الحدود الهائمة ، وإيجاد الطبيعة اللازمة للانسان في مولده وفي أعماله الزراعية والتحرى عن الأمراض والعلل •

ولما كان الاكاسون لا يعرفون الكتابة ، فانهم عبروا عن أفكارهم الدينية الفلسفية عن طريق الفن ، أى عن طريق الفن الافرقى التقليدي، الامتسهاى في الحدود الزمانية والسرمدى في وجوده عن طريق ما فيه عن عناصر بدائية صامته تميزه عن غيره من الفنون • ولعل هذا هو

السبب الرئيسى فى أنه ، أى هذا الفن لم يكن فى معناه التمثيلى يصور الحياة الواقعية . وكان لابد للاشكال من أن تشوه . وكان هناك فى الفن اغراف فى الناحية الفلسفية الأخلاقية . أدى الى تصويره الفسوى المسيطرة على الكون . وكان من الضرورى لتصوير أية قوة ، ألا تعامل على أنها شيء مندمج فى الكون ، وبالتالي على أنها شيء يمكن التغلب عليه ، وهو ما يعنيه تصوير هذه القوة فى تمثال يرمز الى شيء حى . وعندما كانت أهداف العمل الفنى تتطلب من هذا الشيء أن يكون شبيها بشيء حى ، فإن هذا الشيء ، يكتسب الحياة المطلوبة طبعاً ، وكانت التماثيل الخشبية لفتيات الاشانتى التى تجسد المثل الأعلى عند الاشانتين لجمال المرأة ، والتى كانت الامهات الخوامل يستحثن على التودد اليها ، ليحىء اطفالهن على نحو ما هى عليه من جمال . اصملا فنية تصور الحياة الى حد ما . وتبدو التماثيل التى تصور حياة الشيوخ فى نيجريا ، وكان القصد منها ان تكون ضمن المحفوظات وتؤدي الصور المأجورة فى أى بلد آخر ، وبنفس الطريق نفس الفاية ، أى أن تكون صالحة للحفظ . وعندما يقوم بعض النقاد من أمثال جومبريش فيقولون ان الفنانين الافريقين كانوا عاجزين عن التصوير الواقعى ، فانهم بذلك ، يعبرون عن عدم تفهمهم للفن الافريقى . اما اذا كانوا ينشدون التجسيد الذى يصور الحياة ، فان عليهم أن يتجهوا الى الفن العلمانى ، أى الفن الذى كان يتوخى تحقيق أغراض الزينة ، والزخرف ، أو أغراض الحفظ ، لا الى الفن المعنوى ، الذى يستمد الهامه من مشاهدة قوة من قوى الكون .

وتفتقر النماذج التى تصور اما ترضع طفلها الى تعبيرات الامومة عن الرقة والحنو واللهفة العاطفية ، التى تظهر عادة فى وجوه الامهات . ففي هذه النماذج ترفع الام وجهها الى السماء ، بدلا من أن تتطلع به الى الأسفل أى الى طفلها . وهى تبدو منتصبة القامة ، حسنة التعابير ، تعكس الجدية ، التى تسيطر على ملامحها ، الفكرة التى تبرز فى مجموعة من القوى ، سبق لنا أن حاولنا تصويرها . ولم يكن الاكانيون شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الشعوب الافريقية يرضون بأى مبرر للتخلي عن طفل من الاطفال الا اذا كان هذا التخلي تلبية لالتزام دينى . ولم يكن حب الأم لطفلها ، منحة أو تكrema منها ، كما لم يكن قضية تتعلق بالارتباطات الشخصية المطلقة ، وانما كان شرطا من شروط الواجبات التى لا يمكن الاغفاء عنها أو تجنبها ، ويوحى التباعد اللطبعى بين الغدد الشديدة فى مثل هذه النقوش بوجود قوة بدائية ، أو نظام لا فردى ولا خاص ومفروض .

ولم يكن الفن الافريقى التقليدى فنا ادبيا أو وصفا يستخدم

الوسائل التقليدية المعروفة في ايجاد التأثيرات ، وكانها لغة رمزية ، ولكنه كان فنا مباشرا وسحريا يحاول تحقيق شيء من يطابق التأتاة ، وتسمية الاشياء بأصوانها . كما يحاول ايضا بعض المساعير التي تخلفها المرثيات واستثارتها . انه يتسبب طارارا من تصوير الافكار عن طريق الخنسب وألياف النخيل والحجر والالوان . وهو يترك نفس الاثر في اللغات الافريقية ايضا . فعند قبائل الزولو ، مثلا ، يعتبر الليل بما فيه من أعماق الظلام ، شيئا يصم الآذان ولا تغشى له العين . وهكذا يكون التعبير عن الليل والظلام صوتيا ، يجسد الاصوات المعنية التي يفترض أن الليل هو الذي يلفظها . ومن هنا يكون اسم الليل موحيا بنفس المساعير والمعاني ، التي يوحى الليل بها . وهناك تعبير عند الاكان يدعى «موسوم مونسوم» . وهو يستنفذ عند سامعة ذلك الاحساس بالهدوء الرصين ، وذلك الفيض غير الحذر ، الذي يخيم به الليل والظلام في أجواء الادغال والغابات علينا . وكان الفن التشكيلي في النحت ، مستخدما نتيجة موقف قائم ومعين عندهم . فهو يتعلق قبل كل شيء بالشر وبالعقاب السماوي . ولا ريب في أنه تجسد على الاقل ، في صورته لاحتق فيها ولا مهارة أبدا . ويقوم التحقيق الفريد من نوعه في الفن الافريقي على غالب الفرض ، في السيطرة على التشكيلية في الفن وعلى مايرافقها من احساس مترابطة معها في مختلف المجتمعات . وهكذا نرى في الآثار الفنية الصالحة شيئا يشبه الحياة . لا الحياة نفسها ، وشيئا يشبه الفظاعة لا الفظاعة نفسها ، وبعض التشويه الناقص ومجموعة من الخصائص التي لاتخدش العين ، وان كانت تترك أثرا ثقيلًا او حالة تضم قوى الظلام ، وتضم طاقات مكبوتة ضخمة من المجهول ومن الغيب ، وكلها تمثل صورة مخنفة من كلية الوجود المبطة ( المتكلم من البطن ) التي يتميز بها الشعبان ذو الاجراس والجلجل وتعكس شعورا من اليأس النائم مغناطيسيا ، ومن الركود والجمود والصمت والهجر المسحور كما تعكس هالة من الوجود الكلى للروح البدائية وهكذا كان الفن الافريقي ، باستثناء العلماني منه أشبه ما يكون بالفن الذي عكس مفاهيم التوراة .

ويسير هذا الفن بالطبع اليوم في طريق الزوال والموت . فلقد كان رجال قبيلة الايبو في نيجيريا ينقشون أقنعة فنية تعكس الوقار والجلال بغطون بها وجوه موتاهم من شيوخ القبيلة ، ولكنهم سرعان ما استعاضوا عنها بالأقنعة الغريبة التي يرتديها الناس في أعياد الكرنفال أو المسخرة ، وفي مكنة الباحث تعدد أسباب كثيرة توضح هذه الظاهرة ، ولعل أول هذه الأسباب وأهمها هو ماطراً على المجتمعات الافريقية من انحلال وتفسخ ولقد أدى ضاع الاستقلال والتبعية لاوروبا الى حدوث تبدل ضخم في

وضع الفن في المجتمع الاقربى ، وذلك لان هذا الفن فقد ما كان يلقاه من رعاية . يضاف الى هذا أن الطبيعة الشعرية التي خلعت الفن وأنحنه قد تعرضت للهدم والانهيار من جراء التوازن الذي أوجده تلك المواقف الى فرضها تقدم العلم وانتشار التسمية ، وراح يضيع في المواقف الهامة التي تتخذ ، والتي نوحى بها الطريقة التي أضحت تسمى بالطريقة العلمية في معالجة الامور ، ذلك الاحساس بالنهاية التمولية الذي كان بطبع عددا من القضايا ، والذي كان يعبر عنه الانسان بمجرد صرخة من صرخات التعجب والاستغراب . وأضحى الفن الذي كان تعبيرا عن هذا الاحساس التمولي ، مثله مثل ذلك الاحساس في موقف غير كريم .

وعرب الناس في الاجواء الاوروبية الحديثة عن تمتعهم بالفن نتيجة أسباب تفنيه عدة منها التصميم . ومزج الالوان وغرهما من الظواهر ، ومنها أيضا تلك التعبيرات الارادية كأن نطلق مثلا على مجموعة من الالوان اسم « خرائب القلعة » ولارب في أن جميع هذه الاسباب تمثل بصورة متساوية ، مايقوم به المجمع من اضعاف للفن يصل الى حد الاهتراء ، يحول بينه وبين الاستمرار - كعامل تماسك والتحام . والتمثيل والتصوير في الفن ، أمران تقنبا لاشان للروح والالهام فيهما فحتى الحساسية التي نستطيع روائع الفن التأبى اظهارها في الانسان تمت الى النمسل الفني . ولقد انتهى في أوروبا ملامح « حوبا » (١) ، الفن التوراثي ، الذي يصور وقائع التوراة .

### الانظمة والنظريات :

ظهرت لنا من معالجتنا لحضارة الاكانيين بالطريقة المثالبة عدة ملامح ، وأول هذه الملامح أن هذه الحضارة كانت تعمل طبقا لعقيدة جوهرية عن الانسان وهى تنص على أن للانسان جوهرًا ثابتًا لاينقص ولايتغير ولا يتبدل . ولو كانت هناك وحدة في الثقافات الافريقية . لكان ما قلناه نقطة يستطيع المرء أن يجد فيها شئًا من أوجه الشبه . وقد وجد هذا الشبه فعلا . وقد تكون العناصر التي لاتنقص والتي يجزأ لها الانسان مختلفة ولا يحمل نفس الاسماء كما لانحيط بها عقيدة مترتبة لا قبل التبدل وفي كل نقطة من نقاطها . لكن من المهم على أى حال بالنسبة الى الوحدة ، أن يكون طراز النحتة واحدا ، وأن تكون العقيدة المترتبة

(١) فرانسيسكو خوريه دى هوما (Fransico José de Goya ١٧٤٦ - ١٨٢٨ )

رسام أسامى . ولد في آراخون . علمه أحد الرهاس الرسم منذ نعومة أظفاره ثم درس على الرسام المشهور خوريزه مارينير ، اشترك في المعارك الى دارب من الرسامين ثم ارتحل الى ايطاليا . تخصص رسومه لوحات كسبية ودينية .

التي تحيط بجميع العناصر ، عقيدة تتصل بأصول هذه العناصر وبالادوار الدينامية المتحركة التي تؤديها في جميع المظاهر البارزة .

وتكون السنن الاخلاقية النابعة من المفهوم الجوهري للامور واحدة الى حد كبير ، وذلك بالنسبة الى طرار المبررات والحجج التي تسمح بها هذه الامور ، وكذلك بالنسبة الى بيان القواعد التي تميل نحو الجماعة وقد تقع هنا بالطبع بعض الفروق ولكن في الامكان ايضاح هذه التفاصيل عن طريق الفروق في الاوضاع المحلية . فمثلا في منطقة تخلو من الخنازير قد تكون الاشارة الى خلو هذه المنطقة من قواعد تذكر الخنازير ، نوعا من الدليل المقبول المنفع على ملاحظة الانسان لا على حكمته وسعة فكره . وهناك عدة نقاط هامة تتفق عليها الثقافات الاقريقية ، بالنسبة الى القواعد التي تحدد عضوية الاسره ، والقواعد التي تحدد المسؤوليات ، وابضاها ، وطبيعة المجتمع ، وتفسير الطريقه التي نظم فيها والقول بأن بعض المجتمعات في افريقيا شبه ملكية اسبديا وأن بعضها الآخر قبلي هو خروج على جاده الصواب الى حد بعيد . ولو حدث أن فقد مجتمع ملكي أو شبه ملكي الارض التي يقوم عليها ، والنظام الذي يقوم عليه ، دون أن يفقد عقائده ، فان هذا المجتمع لابد وأن يتبدل . ورغبة في وضع بعض العقائد موضع التنفيذ مع اختلاف معطياتها ، ينظر المرء أحيانا الى ابتكار انظمه محتلفة وتنظيم الامور بنظما مغايرا . ويعتبر المبالفة في أهمية الفروق بين النظم عقبة تنشأ عن مفهوم الاسلوب المتعلق تعلقا مباشرا بكل ماهو واضح وجلي ، وبين المفهوم القائل بتفسير جميع المجتمعات على ضوء اجلال ما فيها من جمود ومن قصور ذاتي في أنظمتها الاساسية والجوهرية ، وهي الانظمة التي تفسر المظاهر البارزة للمجتمع نفسه . ويكون تأثير ذلك في معالجة الانظمة على اعتبار أنها تلقائية السيطرة ، ولا تخضع للمبادئ نورية داخلية . ولا ريب في أن هذا الموقف خاطيء تجاه الانظمة نفسها . ويغدو الاسلوب نفسه مفتعرا الى الاحساس بتلك القوى الصامتة التي نسهل أو نعقد التبدلات في الانظمة أو مدى تقبلها ورفضها أو نطاق شرعيتها أولا شرعيها . ولو قدر للانسان أن يدرس موضوع الكنيسة الانجليكانية مثلا ، فانه لا يكتفى بالطبع بدراسة سلوك اعضائها في أيام الاحاد عندما يمضون الى الكنائس . وقد يكون من الصحيح القول بأن الناس يمضون الى الحرب دفاعا عن الحق في الجثو والركوع ، ولكن محاربوا من أحله حقا . لم يكن الظاهرة الصورية الطبيعية في الركوع ، التي يصطدم بها نظر الانسان ، وانما ما ترمز اليه هذه الظاهرة من دين وعقيدة وعلى الانسان اذا رغب في تفهم الكنيسة الانجليكانية ، أن يلاحظ العقائد المتزمتة وأن يقدرها . وقد تساعد الطقوس المرء بالطبع على الاعراب . عن ايمانه العميق بطريقة مرضية ،

ولكن الطقوس هي ثمرة التسليم بوقائع الحياه . اذ أنها تمثل التجاود بين الحقائق الاجتماعية والعقل الدينى . أما الافتراض بأن تلك الطقوس هي جوهر الدين فهو افتراض لا يقل ذكاء وفراهة عن العقول بأن بوقية سجل الزواج ، هو الواقع الكامل لانظمة الزواج .

ويحتاج المرء لفهم المجتمع كقوة دافعة محركة الى دراسه النظر؛ التى تقوم وراء الانظمة نفسها . وقد يكون اصباح مافى الأنظمة من قدر فعالة مؤثرة ، عملا آليا ميكانيكيا ، لكن تبرير الخيار بين الأنظمة وما يفو بينها من ترابط وتواكل ، لا يمكن أن يكون عملا آليا بأى حال من الاحوا

ومن هذا نصل الى النتيجة الواضحة ، وهى أن الحديث عن وحد الثقافات الافريقية لا يمكن أن يعتبر بحال من الاحوال ، شيئا غريبا ، ا شاذا وفد لا يرغب المرء فى القول ، بأن هناك مركب معينا وصغيرا ه العناصر المهمة التى تشترك فيها الثقافات الافريقية ، والتى لم يسبب للمرء أن رآها فى أى مكان آخر فى تاريخ الجنس البشرى . لكن مثل ها القول مخالف لكل عقل وكل منطق وعلى أى حال فهناك على مستو: الامور الجوهرية ، بعض الحلول البديلة التى تواجه الجنس البشرى فثقافة الانسان اما أن تكون جوهرية أو لا . أما شجرة نسبه فقد يكو من ناحية الام أو من ناحية الاب أو من كليهما معا . وهناك حدود منطقى تعدد المزايا وللطاقة الخلاقة . واذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة الواقع وهى أن العالم لا بد وأن يكون قد شهد عددا من القبائل فى وقت واحد فاننا لاندشش حقا ، اذا رأينا شعبا من الشعوب قد نظم نفسه فى وقد ما وفى مكان خارج افريقيا ، بطريقة لا تختلف فى جوهرها عن طرائف الافريقيين . ويكفى لتحقيق الوحدة بين الثقافات الافريقية أن نجد بعض المركبات الثقافية موجودة فى عدد كاف من المناطق فى افريقـ السوداء . فالوحدة لا تتطلب التفرد مطلقا .

وقد أدى التشابه فى عملية السيطره الاوروبية على افريقيا ال اعكاسات متشابهة فى الثقافات الافريقية المتماثلة ، مولدا ثقافات دينى يمكن عقد المقارنات بينها . وقد أدى فى نفس الوقت ابضا الى مشاكل متشابهة كل التشابه تواجه البلاد الافريقية المستقلة . ولا ريب فى أ مشكلة مايفعله المرء بالاستقلال السياسى هى مشكلة أصلية حقا . وا كان فى الامكان الاتفاق على سياسة نابعة من تراث افريقيا على صعب الجامعة الافريقية ، فان الحلول التى تؤكد ها مثل هذه السياسة نصب فى متناول اليد ، ويمكن تسخيرها فى المنافع الاقتصادية ، وفى ضما التأثير اللازم والوحدة الطبيعية ويضفى تنوع السياسات اليوم على هـ النواحي شكل الجراح المتعددة اما الاتفاق على سياسة متوحدة . فيؤد: الى تضמיד هذه الجراح والى اكساب افريقيا صورة قارية موحدة .



## الاستقلال ضام واستعيد

ضمان الاستقلال - طريقة الفوز بامبراطورية - فوائد الاستعمار -  
شروط الاستعمار - صور استعباد الافريقيين - أسلوب اتسير جون  
فيلدينج - بعض الافريقيين البارزين - ثمن الثورة في افريقيا - تطوير  
افريقيا لاوروبا - ظهور بنيان طبقي جديد - الوحي السياسى للاقتصاد  
- المسيحية والفردية في افريقيا المناداة بالاستقلال - سلوك روسيا  
الديموقراطية الليبرالية - تخطيط الانظمة - الاحزاب السياسية -  
الصدوع والوحدة - الحزب الواحد - الجماعات الضاغطة - مشكلة  
المستوطنين - التطرف ومكافحة الاستعمار - القومية والعنصرية -  
مواقف سوفياتية .

أضاعت البلاد الافريقية استقلالها باغتصاب الدول الأوروبية له  
من طريق المعاهدات والعدوان والخداع والاهمال الساذج وكانت هذه  
المعاهدات وأساليب العدوان والخداع تتم بوحى اقتصادى وكان الحكام  
المستعمرون فى كثير من الحالات من التجار ، وأبدت وزارة المستعمرات  
بعض التردد فى حمل المسئولية الادارية فى ساحل الذهب مثلا ولم تكن  
الحروب تعنى عند الدول الأوروبية مجرد الفتح ، وانما كانت تعنى على  
الغالب ضرورة افترضتها حماية التجارة وهكذا لم تكن الحملات التى  
شنها البريطانيون على الاشانتى مثلا بدافع الرغبة فى التوسع الاقليمى  
بل بدافع مايلقونه من أهمية على السلام فى توسيع نشاطهم التجارى .  
ويقدم احتلال كينيا وفقدائها استقلالها .. مثلا صادقا يصور  
الطريقة التى خسرت فيها بعض الدول الافريقية استقلالها بأساليب هى  
على النقيض تماما من أساليب التعامل الصادق المستقيم فلقد تخلى  
سلطان زنجبار عن ادارة المناطق التى كان يحكمها على البر الافريقى للسير  
دبليو ماكنون ولغيره من أثرياء التجار ورجال الاعمال الانجليز الذين  
الفوا شركة أسموها شركة افريقيا الشرقية الامبراطورية وقد صدر  
مرسوم ملكى بتأليف هذه الشركة فى عام ١٨٨٨ .

وعقدت الشركة النشطة بين عامى ١٨٨٧ و ١٨٩١ عددا من  
المعاهدات والاتفاقات مع شيوخ القبائل فى داخل البلاد ... الذين لم  
يكن من حقهم بموجب قوانين بلادهم أن يتنازلوا عن حقوق شعوبهم فى

الارض للغير والذين لم يتنازلوا عن هذه الحقوق حتى فى المعاهدات التى عقدها طبقا للقانون الانجليزى اذا ان نية التنازل هذه لم تكن واضحة او حتى مستره فى تلك المعاهدات فلم يكن هؤلاء الشيوخ سواء فى شرق افريقيا او فى غربها هم الملاك للارض بصورة شخصيه بموجب فوائين بلادهم واعرافها . . . ومن هنا لم يكن من حقهم ابدا ان يمنحوا حقوق ملكيتها للغير ومع ذلك فقد تخلوا عن سيادتهم على بلادهم وعلى شعوبهم وعندما تخلت الشركة الافريقية الشرقية الامبراطورية عن امتيازاتها فى عام ١٨٩٥ أصبحت كينيا محمية بريطانية ولم تعفد الحكومة البريطانية اتفاقات او معاهدات جديدة مع شعب كينيا عن طريق شيوخه القبليين . . . ومن هنا كان لابد وبموجب أى قانون ان يعود السيادة على البلاد والشعب الى الشيوخ بعد ان تنازلت الشركة عنها . . . ومع كل هذا لم يدر فى خاطر الدولة المستعمرة فورا ان كينيا ارض صالحة لاقامة المستوطنين . . . وعندما تم بناء الخط الحديدى الى أوغندا انضح على الفور ان الاراضى التى تحيط بهذا الخط خصبة وغنية ، وأن الجو هناك معتدل وصالح ، وأن المنطقة اهل لاقامة المستوطنين الاوروبيين فيها . . . وفجأة استهوت المستعمرين فكرة مستعمرة بيضاء على غرار المستعمرات الاغريقية القديمة وراح السير نشارلز ايليوت نكتب فى عام ١٩٠٥ ، ان من السخف والنفاق كل النفاق عدم الاعتراف بأن مصالح البيض هى التى يجب أن تسود وبأن الهدف الاساسى للسياسة والتشريع البريطانيين فى المنطقة ليس اقامة مستعمرة بيضاء . . . وبدأت بريطانيا منذ عام ١٩٠٢ تتعدى حدود صلاحيتها القانونية تمام التعدى ونمنح مساحات من اراضى البلاد للسراكن الأوروبية والأفراد الأوروبيين ولم يحل عام ١٩٢١ حتى كانت الهيئات العضائية نفسها قد اقتنعت بالرأى الفائل والذى لا يعرف المرء على وجه التحقيق ابة قوة سحرية خلقتها وولدتها بأنه لم يعد هناك وجود لاية حقوق افريقية . . . وأصدرت المحكمة العليا فى كينيا قرارا حددت فيه اوضاع الافريقين بأنهم باتوا مزارعين « بالزراعة » فى اراضى الحاج الذى يملك حق التصرف فيهم . . . ومن هنا قد لا يدهش المرء اذا مارأى أن بعض السياسة البريطانيين الذين يلقبون أنفسهم بالمخلصين للامبراطورية قد الموا اشد الالم لما اعتقدوه مدفوعين بحماسهم السخيف من أن استقلال كينيا يعنى التنازل عن الاراضى البريطانية للمواطنين الافريقين ، ورأى هؤلاء أن منح الاستقلال بات يعنى بالنسبة اليهم ضربا من ضروب الكرم الاحمق والطائش وانه يعنى عملا من أعمال الخيانة ولم نفت رخص هذا الادعاء البريطانى ملاحظة اللورد بوكماستر . . . رئيس مجلس اللوردات السابق الذى راح فى مجلس اللوردات يقول . . . « لا ريب فى أن الطريقة التى حصل بها الحاج على حقوق الملكية على هذه الاراضى كلها وأكدها ترجع الى سلسلة من الحرافات القانونية التى يصعب

على المرء دائما متابعتها وفهمها » ( المناشآت الرلمانية - وقائع مجلس اللوردات المجلد ٦١ - رقم ٤٤ - ص ٤٠٢ ) .

ولنضرب مثالا لهذه المعاهدات بعصاة رانج قبله ايوى المسكين الذى وقع معاهدة وضع بموجبها نفسه وسعبه فى حماية الملكة فكتوريا ولسبب ما (١) قرر البريطانيون أن ينقلوا القطاع الذى يقيم فيه التسيح المذكور وقيبلته الى حكم . وسمى ليوبولد ملك بلجيكا ، عن طريق المصانعة والمكر وبفضل الاهتمام الذى ساد الجميع ، أن يجعل من الكونجو اقطاعيته الخاصة به . .

أما بالنسبة الى البريغاليين « المساكين » فان ارادة الله التى تحددها للناس المنسورات البابوية قد أثقلت مناكبهم بامبراطورية شرقية ضخمة مالبتت هرطقتهم أن حرمتهم من قسم كبير منها لنبقى لهم أنجولا وموزمبيق وبعض البقايا التافهة الصغيرة (٢) .

وايا كانت الطريقة التى تم فيها ضياع الاستقلال فان هذا الضياع شمل القارة الافريقية كلها . . ومن الواجب أن نعترف بأن هذا الضياع قد جاء الى افريقيا بأشياء اذا شئنا الحديث عنها اطلاقا ، قلنا انها كانت ذات نفع للقارة وكان الغاء الرق أحد هذه الامور التى جاء بها ضياع الاستقلال وكانت معارضة الافريقيين لهذا الالغاء كبيرة وضخمة (٣)

(١) ليس السبب بخالف أبدا أن ألمانيا بعد أن أتمت وحدتها في عام ١٨٧٠ و عهد بسمارك شرعت في دخول ميدان الساقس الاستعماري في كل مكان وفي افريقيا بصورة خاصة وكانت الصفقات تعقد بين الدول الاستعمارية وبيع فيها الشعوب المستعمرة في اسواق النخاسة الاستعمارية ولعل من أبرز هذه الاتفاقات معاهدة الغريراس ( الجريكاس ) في اسانيا عام ١٩٠٤ بين ألمانيا والدول الاستعمارية القديمة وهى المعاهدة الى تم فيها اقتسام الاسلاب والعنائم والمصالح . - العرب -

(٢) لا ريب في أن المؤلف هنا ، يقصد السحرية من البرتغال ، ولكننى أرى أن السحرية في هذا المحال ليست بالأمر الذى يسيغه الذوق السليم ، اد لا يصح اطلاقا أن نسمى البرتغاليين « بالمساكين » ، وهم الذين يرتكون من القطن أشدها وحشية في مستعمراتهم الافريقية لوقف الثورات السحرية المسمرة في أنجولا وميرها ، وقد أثبت الاستعمار البرتغالى بهذه الوحشية أن مستواه واحد ، مهما كانت الدول القائمة عليه صغرة ، حتى أن صغار الدول المستعمرة تكون أشد وحشية من كمارها لفظى النقص الذى تحس به من ضآلتها في ميدان الموازن الدولى .

(٣) أعتقد أن المؤلف أخطأ هنا في الصورة التى رسمها . فلئن كان العرب وبريطانيا بصورة خاصة قد حاربا تجارة الرقيق بالنسبة الى الافراد ، فقد استباحا هذه التجارة بالنسبة الى الشعوب ، فما الاستعمار الا تجارة رقيق ، بل لعله أشنع صور هذه التجارة إذ أن حريات الشعوب هى التى ماع في سوق النخاسة بدلا من حريات الافراد ، وهى التى تخضع للعبودية والنحكم والجور ، كما أن تبادل المستعمرات بين الدول الاستعمارية وهو ماوقع بالفعل في مختلف عصور الاستعمار ، ولعل مثل « الايوبى » الذى ضربه المؤلف نذل قليل خير دليل عليه ، ليس الا من قليل عمليات البيع والشراء في سوق النخاسة على صعيد الشعوب بدلا من الافراد . - العرب -

وهناك قصة عن زعيم فى دلتا نهر النيجر وجد نفسه مضطرا لبيع العاج من أنياب الفيلة بدلا من الرقيق قيل أنه رد على سؤال وجهه أحدهم اليه عما اذا كان راضيا عن التطور الجديد فى حياته بقول فيه ذكاء ولكن ليس فيه أية مشاعر انسانية بأن من الأسهل عليه أن يصيد الانسان من أن يصيد الفيل وأدى الفاء تجاره الرقيق وهى الحركة التى يسجل لبريطانيا موقف مشرف فيها لتوليها زمام المبادرة الى توقف تهجير السكان من افريقيا عن هذا السبيل . . . ولم تستعد افريقيا حتى هذه اللحظة سلامة عافيتها على صعيد التهجير تمام الاستعادة اذ أن التجارة المشروعة قد توسعت بدلا من التجارة الممنوعة .

وادخل الاستعمار نظام المدارس الرسمية فى المناطق غير الاسلامية اما فى المناطق الاسلامية حيث كانت المدارس قائمة من قبل فقد عمل على توسيعها ونشرها وتقويتها ، وادخل الاستعمار أيضا الخدمات الصحية العلمية وحطم العمود الفقرى بحمى البرداء (الملاريا) وغيرها من الامراض المستوطنة وشقت الطرق ليستعاض بها عن الممرات فى الاحراج ولتربط العدد الذى لا يحصى من القرى المنتشرة على الارض الافريقية . وهكذا استتب الأمن والسلام . . ولا ريب فى أن كل هذه الامور مكاسب بارزة مستمدة من اليأس الناتج عن ضياع الاستقلال . . ولا ريب فى أنها تمثل تحسنا أصيلا فى الاوضاع الافريقية .

ولكن هذه المآثر أو الحسنات لم تتحقق بطريقة بسيطة . . فلقد حمل الاستعمار الى افريقيا شروره وشقاءه . . وكانت تجارة الرقيق فى الشكل الشرير الذى اتخذته من انتاج أوروبا وخلقها فيقال أن الونرو غونزالير الأوروبى وهو يرتفالى الاصل كان أول من بين لابناء جلدته فى عام ١٤٣٤ ان فى امكانهم أن يجعلوا من الافارقة سلعة يتاجرون بها . . ولقد اختطف فى عام ١٤٤٠ اثنى عشر افريقيا وضم اليهم امرأة من بنات جنسهم على الشاطئ أملا فى أن يراها بنو قومها فيسارعوا الى محاولة انقاذها . . وفى اليوم التالى ظهر مائة وخمسون افريقيا ، ولم يشعر البرتغاليون فى ذلك اليوم بالرغبة فى المجازفة وتعرضوا الى وابل من الحجارة وسرعان ما حذا الاسبان بدورهم حذو البرتغاليين ليلحق بهم الهولنديون والفرنسيون والانجليز .

'وشرع الافريقيون يهجرون الساحل خوفا من الاوروبيين وعندما بات من الصعب الامساك بهم واقتناصهم كان البرتغاليون من جديد أول من قام من الاوروبيين ببناء القلاع والحصون وراحوا يظهرهم كل ضروب الليبرالية والصداقة وحملوا الهدايا والرسائل وأدلة الود وحسن السلوك معهم من ملكهم وشيدوا فى عام ١٤٨١ قلعتهم المشهورة سنان



للحملة في سبيل العاء الرى . وراح اولهما يطوف أرجاء أمريكا السماله  
بتسن حملاته التعمواء على أبناء طائفته لاحفاظهم بأرفاء في خدمتهم  
يلزمون بالعمل لهم بينما أقام الثانى مدرسة مجانية في مدينة فلادلفيا  
لتعليم أولاد الزوج .

وأعلنت جماعة الأصدقاء ( الكويكرز ) الدينية فى عام ١٧٥٤ فى  
منشيور رسمى وزعنه أن « العتس فى دعة ورحاء على كد الآخرين الذين  
قدفب بهم الحيلة والعنف بحت رحمتك ، أمر لاسفق لا مع المسحبة ولا  
مع العدالة العامة » وليس بمة من سك فى أن هذا الميثاق كان مضافا الى  
حد أنه لابد فد أعطى الانطباع بأن جماعة الاصدقاء بحلطون بين فزعهم  
من الدعة والرخاء وبين التثر المتمثل فى الرف والمخلف كل الاختلاف .  
وراح الكنبون من أفراد هذه الجماعة بما عرف عنهم من سفسائية .  
يحطون القبود الى تفبد عبيدهم . ونقال انهم كانوا يؤمنون ايماننا  
صادقا بأن الملكية الشريفة حتى ولو كانت تافهة خير من الملكية الكبيرة  
المنحقة بوسائل لاعدل فيها . وقد تسلاحوا بهذه القاعدة الفلسفية  
وراحوا يركنون الى عهد من العاقبة المتدينة الورعة . اما أولئك الذين لم  
ينحمسوا كل الحماس لهذه القاعدة فقد تعرضوا للنهيد بالطرد من  
الجمعة . لكن الكثيرين من العبيد الذين تحرروا حاروا فيما بفعول  
بحربنهم الحديثة الاكسباب فى أرض غريبة . وراحوا يعودون الى سادتهم  
السابقين ليعملوا خدما مأجورين عندهم . وتبين أن الطاقة الاناجية  
عند العبيد المحررين قد ازدادت نشفة أوضاعهم الجديدة ولم تتقاعس  
الاصدقاء عن استخلاص قاعدة جديدة تربط بين الفضيلة وبين الازدهار  
الاقتصادى ..

وكان هذا المل الذى ضربه الاصدقاء فدوه سرعان ماسار على  
منوالها انباع الكنيسة الكابولبية والكنيسة المتبخية (١) والكنيسة  
الانجيلية وراحوا يحرون عبيدهم فى أعداد كبيرة وضحة .. لكن هذه  
الحركة لم تبدأ دون صعوبات نواجهها فلقد ندارس مجمع كنسى  
للمسيحيين فى بنسلفانيا موضوع الخلاص من لعنة السماء التى تحيق  
بالمرددين فى تحرب عبيدهم ولكن الاقتراح الخاص بهذا التحرير فشل  
عند الاقتراع بأغلبية دموقراطية لازيد على صوت واحد ولم يكن الحافز

---

(١) الكنيسة المتبخية شعة بروتستانية مرم على الجمع بين الحكم الزمانى  
العلمائى والحكم الدينى الاكثريكى ممثلا فى شخص شيوخ الكنيسة وترتكز السلطة فى  
سلسلة متعاقبة من المحامع والمجالس ويعتبر كلفن المصلح السويسرى مؤسس هذه  
الكنيسة .

على المعارضه افقارا الى الرحمة أو قسوه فى العؤاد وانما كان هذا  
الْحاقز ما بحس به المسالون من كراهة للوعد والهدد واللجؤ الى  
القوة فى جمس القضايا حتى فضاها النملك ..

ولم يكن الاصدفاء فى برطانيا أقل نساطا فى هذا الموضوع من  
اخوانهم فى أمريكا وكانوا فى هذا الوف بالذات من أصلب المناضلين ضد  
الرق شكبة وعودا .. وبدو أن الكبرين منهم على أى حال قد تأروا  
بالانطباع الفائل بعدم وجود رفيق فى برطانيا نفسها ... وانخذت  
جهودهم فى هذا السبيل طابع العراض يمدونها الى البرلمان طالبين  
تدخله فيما أسموه بالتجارة الافريقية المجحفة ونولدت لدى البعض منهم  
الفرضية الفائلة بأن هذه العراض غير مجدية ، ذلك لان جهود الورع  
والاخلاق والعدالة غير المدعومة اضعف من أن تصمد أمام المصلحه  
والعنف والظلم ، وقد اعرف توماس كلاركسون (١) الذى قدم أطروحه  
فازت بجائزه من جامعة كمبريدج وهو خجل أسند الخجل بأن القوى  
الاحيره كانت هى المسطره سطره قوة على السلطات التسريعه لبلاد  
تقوم أساس الحكم فيها على الحره ..

ومن الطبيعى أن جرانفيل شارب (٢) كان قد ابدى اهتماما بالغاً  
بالماء الرق قبل هذا التاريخ أى منذ عام ١٧٦٦ وفى احدى القضايا التى  
رفعت عليه نتيجة نشاطه فى هذا السبيل أعلن فاضى القضاء هولت أن  
كل من يصنع قدمه على أرض انجليزية يصبح رجلاً طيباً حراً .. وكان  
المحامان نابوت - وهاردويك وهما من أسند الناس مكراً وحيله قد  
اقترحا فى عام ١٧٢٠ أن العمل الواقعى الممثل فى مجيء عبد الى برطانيا  
لايضمي عليه الحق الرسمى فى الحرية وان فى الامكان ابعاده الى المزارع  
التي جاء منها وعندما أصبح هاردويك فى عام ١٧٤٩ .. صاحب سلطان  
بضمن له ايقاد رأيه هذا أى عندما أتى قاضياً اصدر قراراً بأن فى الامكان  
استعادة العبد الآبق بالقوة وأخذ موظفو حكومة جلالته بمساعدون السادة  
على استعادة عبيدهم الآبقين ويزعم لايتم أن مدير البرق والبريد فى  
مدينة برستول استخدم فى إعادة عمد هارب اختفى فى برستول الى  
صاحبه ..

---

(١) توماس كلاركسون Thomas Clarkson ١٧٦٠ - ١٨٤٦ ) أشد ماضى  
الرق فى انجلترا ، عمل نشاطه فى الخطب الى كل بلعيا والمشرورات التى يطعها  
ويوزعها ، وحقق هدفه فى عام ١٨٠٧ عندما صدر قانون بحريم الرقيق والعائه فى  
برطانيا .

(٢) جرانفيل شارب Granville Sharp ١٧٣٥ - ١٨١٣ ) عالم برطانى انسانى

اشهر امره فى حملة مكافحه الرقيق والدعوة الى القائه .

- المعرب -

وفشلت خدعة شربة اخرى لحرمان السادة من عبيدهم .. فلقد آمن المسيحيون ، ولهم كل الحق في هذا الايمان ، بأن أى عبد يعبد نصرانيا وبناول الخبز المقدس . يجب أن يفد حرا على الفور . اذ أن عمادته قد جعلت منه واحدا من ( عيسال الله ) وعضوا في ( أسرة المسيح ) ووارثا موعودا للكلوت السماء . لكن المحامين سرعان ما اكتشفوا الطريقة التي يردون بها على هذا القول . وراحوا يقولون بشيء كثير من الاناه والصبر أن « العمادة » تمنح الحرية فعلا ، ولكنها حرية الروح ليس الا . . . اذ ننقل الروح الاريقية من الظلام البدائي الذي يغرق فيه الجسد الى ملكوت الصفاء الالهي ومجده « فالعمادة » في رأيهم عملية روحية مجردة . ولا يمكن ان تؤثر بأى حال من الاحوال على الاوضاع المادية للعبيد .

وكثيرا ما كان العبيد الآبقون ، وقد أصابتهم الحيرة من مستقبلهم الغامض ، والياس في سقائهم الراهن ، يفرقون في حمات عميقة من الشفاء والفقر . ويظهرون أمام محكمة « أولد بيلي » البريطانية متهمين بسرقات تافهة . وكانوا يعاملون أحيانا بشيء من الرفق والرحمة . ولكنهم كانوا ينعرضون أحيانا كيرة الى أقسى مافي القانون من عقوبات .

وعندما وجهت في عام ١٧٨٠ تهمة الى أحد العبيد بأنه من مثري الفن والاضطرابات ، راح السير جون فيلدينج ، وقد أعماه الغضب ، بعد أن كان في البداية قد احتج احتجاجا وادعا على شحن العبيد الى بريطانيا ، يعلن أن من الاجحاف بعد أن أنفق الكثير على تسليمهم شئون العمل كخدم في المنازل ، ان ينقلوا الى انجلترا كخدم لاقيمة ولاحق لهم في أى أجر واشتدت به الحماسة ثم قال :

ولكنهم لا يكادون يضعون أقدامهم على أرض هذه البلاد حتى بصوروا أنفسهم على قدم المساواة بغيرهم من الخدم فيسكروهم رحيق الحرية وتسندهم عنادهم وتقوى مشاكستهم ويشرعون اما بوحى من الآخرين أو بوحى من أنفسهم يطالبون بأجور نقررها لهم آراؤهم هم فما سنحقوقه ولما كان هناك عدد كبير من السود من رجال ونساء قد أباروا المنن وخلفوا المتاعب والمخاطر للأسر التي جاءت بهم من هناك بقصد حمل هذه الاسر على طردهم من خدمتهم فان هؤلاء المفصولين يتسرعون في تأليف الجمعيات ويضعون نصب أعينهم دائما افساد عقول جميع الخدم السود لحملهم على التذمر وذلك عن طريق تعميدهم أولا . . ثم زواجهم ثانيا بعد افهامهم بأن العمادة والزواج يحررانهم من الرق . . وان لم يصدر بذلك أى قرار قضائي لكن أقوالهم هذه تحقق غايتها في حشد السود الى جانبهم مما بشر الكثير من المتاعب . . وينذر بالمزيد من



الأخطار إذا ما حاول أسيادهم استعادة ملكيتهم لهم بعد ان فسدت عقولهم  
ويصبح من الافضل لهؤلاء الاساد أن يتحلوا عنهم نهائيا اذ أن هناك  
اسبابا عدة تدعو الى الاعتماد بأن هؤلاء السود الدس اعدوا الى المزارع  
كانوا القله فيما وقع من اضطرابات أحره في حرر الهند العربيه ولارب  
في أن من عدم الاسانيه نقل السود الى بلاد حره ..

هذا ما قاله السير جون ولا رب في أنه سم عن أسلرب رائغ .

وراج الأب المحترم جيمس رامري يجارى عبنا اكساف بعض البود  
في فواين المستعمرات ليسطيع الاعتماد عليها في المطالبة بضعف سعاد  
العبيد ولقد أصدر كتيباً دعاه « بحب في معاملة العبيد الافريقيين في  
مستعمرات السكر البريطانية والتبشير بينهم » وقد طبع هذا الكتاب  
على نفقة بعض الأصدقاء في الهند العربيه الذين جازفوا بضياع ممتلكاتهم  
الخاصه وبالتعرض لسوء نوايا عدد ضخم من الأفراد في اجللوا نفسها  
وازعاجهم ، وصدر ردان على هذا الكتاب في غضون ثمانية أشهر حمل  
أحدهم اسماً « ملاحظات سطحية على كتاب المستر رامري » ونضمن  
انها ماب صريحة للفس بالمبالغة والكذب والتضليل وقد رد أصدقاء رامري  
بأن كتاب الملاحظات هذا جهد اساني مسكور ولكنه حال من الصلحه  
والصدق ولا يعدو أن يكون هجوماً مسموماً على رامري ملينا بالهجوم  
المزعج على رجل من رجال الله .

أما الرد الثاني وقد حمل اسم « بربر الرفيق » فقد أكد أن الناس  
لا يخطفون أبداً على سواحل أفريقيا العربيه وان معاملته العبيد في منتهى  
الرفه واللين ، وأنهم يعيشون في أوصاع نفق في راحتها وسعادتها كل  
ما يمكن للعمل أن يتصوره ويعفر للمرء أن بنصور أن ادراك مؤلف هذا  
الكتاب وحياله كانا من النوع العبي كل الغباء وعلى الرغم من كل هذا فقد  
افرح سن فابون يقضى باعتبار خطف الناس في أفريقيا لبيعهم عبيداً  
عملاً اجرامياً وكذلك قتل أى عبد عن سابق عمد واصرار اساء بعله من  
مكان الى آخر وقد ألقى بحارة احدى البواخر في عام ١٧٨١ بنحو من  
(١٣٢) أفريقيا كانوا في طريقهم الى المزارع الامريكية في البحر للاحياء  
على أصحاب الباخرة ، وافرح المؤلف أيضاً بخصيص الاراضى للعبيد  
عند وصولهم الى المستعمرات بالنسبة الى اعدادهم وألا يعملوا في أيام  
الآحاد أو الاعياد ، وأن يمنع تشغيلهم في الليل أو ساعات اضافيه  
وأن تمنح للمجيددين بعض الهبات كبذلة اضافيه في السنة وان يعنى  
بالعزلة وذوى العاهات من العبيد .

ألا يرى المرء في هذا دلائل على وجود ثورة اشتراكية ؟ بالطبع  
كان دعاة الغاء الرق واقعيين الى الحد الذى يحملهم على ابتكار بعض الحجج

الاقتصادية وقد اعتبروا أن من أكثر الأمور برورا ووصوحا ٠٠٠ هو أن متابعة هذه التجارة اللعينة والسير فيها يؤدبان الى اهمال مصدر صنم من مصادر النماء في أفريقيا فلو اتخذت الاجراءات المناسبة الصالحة لارداد دخل هذه البلاد - أى انجلترا - زياده كبيرة ولضخمت فونها البحرية ولبان مستعمراتها فى وضع أكثر ازدهارا وعدا مراعوها أعظم براء ، ولتحولت هذه التجارة التى نعتبر الآن باعنا على سفك الدماء والدمار الى أخرى يمكن للمرء أن يسير فيها بسرف وأن يجنى منها أكبر الارباح ٠٠

ويبدو أن دعاة الالغاء قد فاروا أخيرا فى معركتهم بفصل ما تقدموا به من مبررات اقتصادية لدعواهم الانسانية فعندما اكتفت بريطانيا بالعبيد الذين نعلوا عبر الأطلسى من أفريقيا للقيام بأعمال الزراعة والخدمة فى مستعمراتهم راحت ترفع شعار الدعوة لخطر هذه التجارة ومنعها ، لكنها عندما تأكدت من أن الاعمال التى يعوم بها العبيد عبر الأطلسى نفعها الى المزيد من اليد العاملة راحت توقف هذا السعار وتعديل عنه ، وبالطبع ليس بمة من علة لابد منها بين الأمرين ولكن السوء المؤكد الباب هو أن هناك جمعية لا يمكن أن تكون قد فانت على أحد من المسئولين الانجليز وهى أن الافريعيين الذين نعلوا عبر المحيط لا يمكن أن يعودوا الى بلادهم فى أعداد كبيرة نهىد سوق العمل فى مستعمراتهم وكان الجميع لا يزالون واقعين تحت نأير فكرة آدم سميث(١) الفائلة بأن عمل السخرة لا ينتج . ولا ريب فى أن مما يسرف بريطانيا أنها رفعت شعار الالغاء وطبقته رغم كل معارضة ورغم كل مقاومة (٢) ٠٠٠

وفى جنوب أفريقيا أقام المستوطنون الهولنديون مستعمراتهم على

---

(١) آدم سميث ( ١٧٢٣ - ١٧٩٠ ) عالم الاقتصاد السياسى المشهور من اصل اسكتلندى درس فى جامعة جلاسكو واكسفورد ثم من أساتذا للفلسفة فى أولاهما ٠٠ أشهر كتبه « بروة الامم » وقد أصدره فى عام ١٧٧٦ ويعبر أساس الاقتصاد السياسى الحديث اد كان أول كتاب وصفت فيه قواعد الاقتصاد على أسس علمية وأهم ماصدر فى التاريخ من كتب .

- المغرب -

(٢) على الرغم من الساقص الذى أورده المؤلف عن موقف بريطانيا من الماء الرق فلما نراه ها يطرحها على موقفها فى الفائه مع أن هذا الموقف كما سبق أن أسلفنا بالنسبة الى الافراد شرط بمليه القيم الحضارية والشرائع الدينية مما لا يستحق معه منخله أى اطراء أما بالنسبة الى اسعداد الشعوب فلقد ظلت بريطانيا ومازالت بمثل القوة الاستعمارية الاولى فى العالم على الرغم من ادماها أخيرا امام التطورات الحتمية وامام ارادة الشعوب مما دفعها الى التخلص من بعض مستعمراتها ٠٠

- المغرب -

أغراض ما أنزلوه من دمار بقبائل الهونتوت الأفريقية طلبا للسلبية والمنعة  
وكان اندرسبارمان أسناد علم الطبيعة في جامعة اسنكهولم وعضو  
أكاديمية العلوم الملكية في السويد أحد الذين أعربوا عن فرعهم من هذا  
الوضع بعد زيارة قام بها للبلاد في عام ١٧٨٥ .

واكتسبت المافسات في هذا الموضوع في هولنده طابعا أكاديميا  
لأن عدد الأفريقيين الذين نقلوا الى البلاد كان ضئيلا واكفى الهولنديون  
بالمناجرة بالرفيق عبر الاطلسي واثبت المافسات سركر حول المزابا العقلية  
والخلفية للاسنان الأفريقي أكبر من مركزها على أوصاعه الاجتماعية ومع  
ذلك فقد ظهر هناك طالب أفريقي في جامعة ليدن يدعى جاكوبوس ايليزا  
كاريتين من أهل ساحل الذهب ، كتب في عام ١٧٣٨ بحفا ناس فيه  
موضوع الرفيق فعال ان الرق لا يتناقض مع المسيحية وان في الامكان  
أن يكون أداة لها وراح بعد ذلك بمقدم بالسكر الجريل الى أوروبا على  
اجارها بالرفيق ، التي لولاها لما كان يدرس في جامعة ليدن ، ولما كان  
يظهر نفوه في اللابينية واللاهوت ، وقد عاد هذا الرجل الى ساحل  
الذهب في عام ١٧٤٢ وأصبح ركبا من أركان الحكم في قلعة سسان  
جورج ديلمين ، التي كانت آنذاك في أيدي الهولنديين وبعد في عام  
١٧٤٥ برسالة الى كبراء سركره الهند الهولندية الغربية في هولنده يرجوهم  
فيها بأن يسمحوا له بالزواج من امرأة أفريقية يرى فيها النواضع والجمال  
مخافة أن ينهزم أمام غواية الشيطان وأعرب عن استعداده لارسالها الى  
هولنده ليتولوا فحصها ولتنال قسطا آخر من التعليم المسيحي .

وصدرت في فرنسا مطبوعات عدة تعرض جانبى القضية بالطريقة  
الصحيحة بينها بحث عن الغاء الرقيق يحمل توقيع رجل يدعى رينول  
وقد ترجم الى الانجليزية في عام ١٧٩٢ . واستمعت الجمعية الوطنية  
الفرنسية الى عدد من الخطب تأييدا للأفريقيين وللأشخاص من ذوى الدم  
المختلط . . . . . القاه هنرى جريجوار أسقف أبرشيته بلوا وبينها خطاب  
مؤثر كل التأثير ألقاه في عام ١٧٨٩ وقد كتب المذكور عدة دراسات مقارنة  
عن الرق في العصور القديمة والحديثة ، وأصدر في عام ١٨٠٨ كتابا عن  
الطاقات الفكرية والمعنوبة عند الزنوج ، وعن آثارهم في الأدب والعلم وقد  
ذبل الكتاب بتواريخ حياة خمسة عشر شخصا من البارزين منهم . .

ولا ريب في أن هذا الكتاب أثار عاصفة قوية من الاعتراض وانهاالت  
الردود على المؤلف ونشر أف . آر . توساك بصورة خاصة صيغة غاضبة  
من المستوطنين ضد جريجوار وراح يدافع وينفى الاتهامات التي أسماها  
خبثة ومغرضة والتي وجهوها اليه ، وأتبع هذا الرجل بحنه هذا بكتيب  
أصدره في عام ١٨٢٦ تحدث فيه عن نبالة الدم وأصالة العنصر . . وحمل  
فيه حملة شعواء على الفلاسفة المؤيدين للزنوج . . .

لكن العاء الروى كان بمنابة بورة فى طبيعته ولا ريب فى أن هذه الطبيعة لا يمكن أن تغل من فضينه وقد كسب جى • اسى • فان يورى فى كتابه « الزوج والرفيقى الزجى » الذى أصدره فى بيونورك فى عام ١٨٦١ يقول :

يخلق المزارع الجوبى معطفه مدفوعا باحساسه بالسوق الذى يجعله خجلا من الرجوع الى الأساطير أو قبول الغرض منها ، ويعمل على العمل مع عبده فى نفس الحقل وفى نفس المهام ولا يحظر ببسالة مطلعا •• ان هذا الرجل سيئاسه على نفسه أو على مكانه المماز •• ولقد قال أحد عملاء الساسة والعسكريين من أهل الجوب داب يوم • لا يحظر ببسالة مطلعا احتمال قيام الزوج بورة علينا غاما كما لا يخطر ببسالة أبدا قيام أبقارنا وجيادنا بمنل هذه البورة ويحكم المزارع عبده بصوره طبيعىة كما أن الزوج يطيعونه بدافع الغريرة ويكون العلاقة بينه وبينهم علاقة طبيعىة ومنسجمة وحمية ولما كانت مصالحهم واحدة ولا تتجزأ فليس ثمة من سبب أو دافع يدفع السيد الى اساءة استعمال سلطانه أو يدفع العبد الى البورة على سيده •• « ويبدو أن الجوب قد عسى اليوم مافاله بالأمس • فقد فدف عهد الرفيقى بعدد من وجوه الافريقين فى أوروبا وأمريكا • وقد عاشت بعض السجلات التى حلفها هؤلاء • وفى وسع المرء أن يذكر بالنسبة الى أوروبا رجالا من أمال أبوبا كوجوانو ، وأغناطيوس ساسو وجوستافوس فاسسا وأنطون ويلهلم عاموس وسبى لى أن ذكرت اسم كابيتين • ولد أبوبا كوجوانو فى أجوماكو فى عانا ، وقد خطفه النحاسون الاوربيون ، وهو طفل مع عشرين آخريين من العلمان والعنيات بعد أن هددوهم بالسيوف والرماح • وقد روى فى سيرة حياته التى كتبها بالانجليزية ونرجمت الى الفرنسية ، كيف سجن هو ورفاقه ، وكيف اقتصر ما كان يسمعه على رنين الغبـسود ، وصرب السياط وصياح الرفاق من السجناء • وتحدث عن رحيله وعن المصرع الى السماء • وعن الدموع التى اسنجم فيها هو ورفاقه ، وقال ان هذا المنظر « كان كافيا لاستثارة أفئدة أعتى العلوب وأغلظها ، من الوحوس بله البشر ، وأرجو أن تصدفنى أبها الصدفى ان قلت ان المصر الذى نحقق على اللا أخلافية والكبرياء جدير بالابطال أكثر من النصر الذى نتحقق فى ميدان الطموح وميادين الوغى والقتال » •

ولقد سينفوا الى غرناطة ، حيث الهبت جلودهم بالسياط • وذلك لأنهم بدلا من العمل أمام الآحاد ، كانوا يفتلون أوفاتهم عن سعه وعمسه فى الكنائس • وبالطبع لم يسبق لأحد ، ان امتدح آراء الافريقين فى أمام الآحاد • وكان هناك حاكم فى أفريقيا الغربية مثلا ، أخذ بعلم الافريقين الاناجيل فدعاهم ذات يوم الى الاجتماع به ، وأخذ يوجسه اليهم أسئلة

ليخبر معلوماهم عن الله ، وقد رد أحدهم ، بأنهم يحبون الله حبا جما ، لأنه خلق لهم سينين ، أولهما يوم الأحد الذي لا يعملون فيه ، وبانيهما النوم ، وهو العمرة التي لا يعمل فيها الأسان ، وفي عرناطة ، عندما رأى السادة أن عبيدهم الإفريقيين يجلسون كسالى يمصون فصب السكر . راحوا يعالجون المسألة من جدورها فافعلوا أسنانهم ، ويمكن اللورد هوأ أخيرا من تحقيق الحرية لكوجوانو ونفله معه الى انجلترا . وانفعل في عام ١٧٨٨ الى خدمه كوزواى الرسام الأول آنذاك للأمير ويلز . واسفر كوجوانو في لندن وبسى بامراة انجليزية وقد أطراه صديق له يدعى « بياولى » أطراه سديدا . وحدث عما يميز به من ورع ومن دمانه خلق ونواضع وسمم ومواهب عظيمة .

أما اغناطيوس سانسو ، فقد ولد على طهر باخره من بواخر النحاسة . كان نفل والديه في طريفهما الى حياة الرف والعبودية . وقد سمي باسم اغناطيوس في مدينه فرطاجنه . وكان جون لوك قد أبحر الى ساحل أفريقيا الغربى في عام ١٥٥٤ وحمل معه في طريق عودته الى بلاده سحنة وصعها سانسو بأنها من الأرقاء السود ، بعضهم من الفارعى العوام الأقوياء البنية ، وقد ذكر هذا النحاس أن الإفريقيين كانوا ينهبون الى حد كبير طعام الانجليز وطريقنهم في الحياة وان كانوا يتسعون بسى من الأذى من برودة طقس انجلترا ورطوبه . ولم تستطع والدة اغناطيوس احتمال هذا النبدل فى المساخ فانفعلت من هذا العالم بهدوء محلقة ولدها . ويقال ان والده قد اسحر بعد أن أصيب بلونة فى عقله ، فقد من جرائها انزانه ، وكان اغناطيوس الآن قد بلغ سنن الثانية من عمره ، فنفله النحاسون الى انجلترا حيث ابتاعه اخوات نلاب يعسن فى جرينويتش ، كن فى مقنبل العمر . وتميز بعد أن دب نحو السباب بالحكمة ، وروعة الحلأ ، حتى انهن أطلقن عليه اسم سانسو ، وحدث أن مر به ذات يوم دوف موساج ، وكان الدوق يمنطى صهوة جواده ، فرأى هذا الصبى الأسود وقد اغرورفت عيناه بالدموع ، فتوقف اليه بحدنه ، ويسأله ، وأعجب به . ثم أفرضه بعض الكنب . وأخذ الدوق بعد ذلك يوجهه فى تعليمه . وتوفى الدوق ، وبوفاه انفعل سانشو الى حياة من المتاعب النى خاض فيها الى أخصص قدميه حتى أحسست الدوقة بالاشفاق عليه ، فنقلته الى خدمتها كساق فى قصرها . وعندما ماتت هى بدورها ، أوصت له بسبعين اجنيها نقدا وبجعل سنوى قهره ثلاثون جنيها . وعاد يواجه الشقاء والمتاعب الثانية الى أن استقر به المطاف أخيرا فى خدمة أسرة ذات مكانة محترمة . وأخذ سلوكه تتحسن بعد أن تردى فى فترة الشفاء التى مر بها ، وتزوج من سيده ولدت فى جزر الهند الغربية . واسنكان أخبرا الى الحياة ، وأخذ ببنى أسرته بكثير من النفر والاعتماد الرائع على نفسه ،

ولما يمض طويل وقت حتى كانت هناك أسره كبيرة تحمل اسمه .

وحقق لنفسه احترام الآخرين ، بفضائله ، ورصانة حياته البنيية ،  
وان كانت بعض المرات قد أخذت بحر في نفسه منذ عام ١٧٧٣ . وكانت  
دوفة كنت صديقه له ، وقد نلعت منه عدة رسائل ، ملأها بالنصائح  
والمواعظ . وكان مولعا الى حد كبير بالافتباس من سمر الننية . وقد  
سار آراءه في نجارة الرقيق وفي استعباد القارة الافريقية وترجم كتابه  
هذا الى الفرنسية . وقد توفي في عام ١٧٨٠ وصدرت بعد وفاته طبعه  
تضمنت جميع رسائله .

وولد جوستاس فاسا تحت اسم أولاندو ايكويانو من أب يعمل  
نابعا للملك بنين في نيجيريا . واختطفه النخاسون مع شقيقه وباعوهما  
الى تجار الرقيق النصارى الذين حملوهما الى مرجينيا . وهناك ابتاعه  
ضابط هو الرئيس آم . اشى . باسكال ، الذى حمله معه الى انجلترا ،  
حيث أسماه فاسا ثم أسكنه في «جيرنس» . وقد اشترك فاسا في الحملة  
على لويزبرج في عام ١٧٥٨ تحت قيادة أمير البحر بوشافين . وكان يبحر  
على نفس الباطرة التى أفلت العربق وولف الذى شهد ساشا بدمانة خلفه  
وكرهه معاملته وتحول ساشا الى المسيحية في عام ١٧٥٩ .

وبلغ أسقف لندن في عام ١٧٧٩ الرسالة التالية :

« سيدي »

أقمت نحواً من سبع سنوات على ساحل أفريقيا كنت في غضون  
معظمها الضابط المسئول . واني بما أعرفه عن البلاد وأهلها ، ميال الى  
الاعتقاد بأن الحطة المرفقة ستلقى نجاحاً عظيماً ، اذا رعينها نيافتك  
وأقررتها . واني لأستميحك العذر ياسيدي ، لأقول ان حطاً مشابهاً  
لها قد لميت نجاحاً منقطع النظر ، عندما وجدت التشجيع من الحكومات  
الأخرى واني لأعرف الآن ، شخصية محترمة كل الاحترام ، في قلعة ساحل  
الكاب ، صاحبها قسيس من السود . ويدعى هذا القس جوستافوس  
فاسا ، وهو رجل في منتهى الثق العظيمة .

لى الشرف ياسيدي أن أكون خادم بيافتكم المطيع

ماثيو ما كنمارا

لكن نيافة الأسقف ، لم يلب، ما طلبه كاتب هذه الرسالة وهو أن  
يرسم فاسا قساً انجليياً . وبدلاً من أن يسام كاهناً عين في وظيفة مدنية  
كمفوض للمخازن والتموين، لفقراء السود في سيراليون . وبني في نفس  
العام أى عام ١٧٨٧ ، بكريمة جيمس وآن كالين من أهالى بلدة ايلي . وقد

أدرج اسمه في لائحة السرف في مجله الساده «Gentleman's Magazine» أغسطس عام ١٧٩٢ وفي «مجلة الأدب وسير الحياة» في مايو ١٧٩٢ .

وولد ابطون ويلهلم عاموس على مقربة من أكسيم حوالى عام ١٧٠٠ وكان والده فد اعنقنا النصرانية على مذهب الكنيسة الاصلاحية الهولندية وأوفد هو الى هولندا عن طريق جوهان فان دير سنار المبسر في ساحل الذهب . ليسنزيد العلم بالمبساىء المسيحية بعيدا عن تأثير مواطنيه الونيين وليعود بعد استكمال الدراسة الى بلاده ليكون مبشرا وواعظا . وعندما وصل عاموس الى هولندا . برددت شركة الهند الغربية الهولندية المسئولة عن التجارة وأعمال التيسير فى غانا ، فى تحمل نفقات دراسته وعجز أصدقاؤه عن العنور على أى شخص يتولى ايواؤه فورا ، وحدث فى تلك الآونة ان أصدر ابطون أولريك ، دوى برنزيك ، بعد ان رأى ما فى المذهب السائد فى أوجزبرج من اهتراء ، كنيها صممه خمسين سببا يدعو المرء الى التحول الى الكنيسة . وافتتح عاموس بهذه الأسباب . وبحول الى الكنيسة ، وراح يعيش فى داره الدوى فى « وولفيمبول » الى أن التحق بجامعة هال ، وراح يدافع فى رسالة سرها عن رده الى الكنيسة ، وجاءت رسالته وطنية ان لم نفل عنصرية فى موضوعها . وقال مسندا الى بعض حجج التاريخ والقانون ان ملوك أفريقيا كانوا فى الماضى البعيد أنبعا للامبراطورية الرومانية وان كل واحد منهم ، كان يحمل براءة ملكية من الأباطرة من أمثال جوستينيان ، وكان يجد لزاما عليه أن يحصل عليها من رومة نفسها ، ومضى يقول ان الافريقيين قد ورتوا عن طريق هذه العلفة بالرومان بعض القوانين ، التى تؤكد ان شراء المسيحيين الأوروبيين لهم واستعبادهم ، أمران غير مشروعين . وكان عاموس يحاول النضيين من سمة الفروق القائمة بين الحضارتين الافريقية والمسيحية وهى الفروق الى كان المسيحيون يستخدمونها كمبرر لتجارة الرقيق (١) . وانتقل بعد ذلك الى مدينة ويتنبرج ، حيث أصبح أستاذ الفلسفة فى جامعته . فى الوقت الذى كان فيه الفيلسوف . الألماني « كانت » لا يزال صبيا ، يعيش فى تلك المدينة . ودافع فى عام ١٧٣٤ ، عن مؤلف قال فيه : ان الاحساس ليس من الأعمال العقلية مطلقا . وقد أنارت بعض النتائج التى وصل اليها فى حينه موجة من الاستغراب والدهشة . وكان يرى أن العقل اذا كان يستوعب بعض الأفكار المتعلقة بالادراك الحسى فان استيعابه لها ، ليس

---

(١) لا بدع ان لحأ الاستعمار الاوروبى الى استخدام هذه العروف مررا لتجارة الرقيق فقد عودنا الاستعمار أيضا ، أن يلجأ الى استخدام مايرعنه من تأخر بعض البلاد فى القارتين الافريقيه والاسيوية مبررا لاستعمارها ، مدمعا الرغبة فى انهاءها ، بينما هو فى الحقيقة لا يهدف الا الى استغلال خيراتها ، وابتزاز ثرواتها .

بنأجم الا عن طريق «الحال» ، وذلك لسبب الطريقة التي تتوالد فيها الأفكار عند دعاء الفلسفة التجريبية . ولما كانت هناك استحالة في هذا ، فقد توصل الى الاسننناج العائل بأن العقل يحلو والحالة هذه من أمثال هذه الفكر . وكان يرى أن أية فلسفة نجعل من العقل شيئاً ذاتي الساط ، وجامدا في آن واحد ، هي فلسفة بلعائية التناقض ، كما أن حالة وجود الأفكار الحسية في العقل البصري ، مشكلة دائمة الحيرة بالنسبة الى الفلاسفة التجريبيين . وكان عاموس فيلسوفا عقلانيا من أنبأع ليبينتز ، الذي يعرف اليه ، وهو صبي في دارة دوق برنزيك ، وقد أطرى الجميع ما حققه في دنيا الفلسفة . وقد وصفه رئيس دائرة الفلسفة في الجامعة وأساتذتها بأنه رجل من أنبل الرجال وأكثرهم شهرة ، جاء من أفريقيا فكان ملا بارزا للأمانة العلمية والذكاء والمباورة والمصافة التي بذ بها كلها جميع أقرانه . وقد أصدر في عام ١٧٣٨ كتابه « العمل العظيم Magnum Opus » الذي ضمنه آراءه في المنطق ونظرية المعرفة والغيبيات .

وكان الجميع يحبونه ويجلونهم ، وكان في طليعة الموكب العلمي الذي خرج لاسفبال فريدريك ملك بروسيا عند ريارنه لجامعة هال في عام ١٧٣٣ . وقد أعجب الامبراطور بالموكب أسد الاعجاب حتى أنه قدم الى المشركين فيه وبينهم عاموس ، جرارا من خمر الراين . ولكن الفيلسوف الاهريقي ما لبث أن تحدى الحظر الذي فرضه فريدريك على الفيلسوف « وولف » وآرائه ، وراح يحاضر في جامعة هال ، عن أفكار وولف (١) السياسية . وانتقل في عام ١٧٣٩ الى فيينا حيث أخذ يدرس في جامعتها وهكذا نرى أن عاموس قد درس في جامعات وبننبرج وهال وفيينا . وانخذ له عبارة من ابيكتيتوس (٢) ، جعلها شعارا له في فلسفته ، وهي أن المرء الذي يعود نفسه على العسر رجل حكيم ، وفيه شيء من صفات العداسة ولقد ذكر عاموس أنه دون هذه العبارة على صفحات عقله ، ليظل ذاكرة لها على الدوام . وقد تعلم العبرانية والاغريقية واللاتينية والهولندية والفرنسية والالمانية ولو أجهد نفسه قلبا لتعلم الانجليزية ، لكما نعرف عنه اليوم أكثر مما عرفنا حتى الآن ولقد برز ما حققه من نجاح ضخم في

(١) فيلسوف ومفكر سياسي الماني عاش في دوقيه برنزيك في المانيا في مطلع القرن الثامن عشر ، وقد بنيت مكتبة عامه باسمه في المدينة على غرار الباشيون الروماني .

(٢) ابيكتيتوس (Epictetus) . فيلسوف اغريقي من اهل مقاطعة مريجيا . عاش ردحا طويلا كمد في روما ثم في ايبروس . ومن نظرياته أن على المرء أن يجد السعادة في نفسه .



ألمانيا ، فى سمينه مستشارا فى محكمة برلين • وقد عاد الى غانا بعد عام ١٧٤٣ ، حيث توفى متأثرا من الضيق والسامة •

ولعل الشيء المهم ، هو أن هؤلاء الناس قد أبيع لهم أن يحطوا بقسط من التعليم ، فى تلك الايام • أما اليوم فقد خففت الحواجز المفروضة على تعليم الافريقيين فى أوروبا بالنسبة الى ما كانت عليه فى الماضى • فلقد أصدر رئيس بلدية لندن وأعضاء مجلسها البلدى فى عام ١٧٣١ مالا ، قانونا يحظر تدريس الحرف للزواج فى الجامعة • ولم يكن نصيب من نتاج له بعض فرص التعليم منهم الاعجاب والتقدير دائما • وقد كتب بوزويل (١) عما أحس به فرانسييس باربر ، خادم الدكتور جونسون من تحرق على الحرية يقول ٠٠٠٠ « وقد اكتشف فى خادمه سعورا أكبره كل الاكبار ، هو الحماس الذى لا حدود له للحرية » • ولكن بوزويل هذا حزن أشد الحزن للمحاولات التى يقوم بها البعض « لالغاء مثل هذا الفرع الضرورى والهام من فروع جنى الأرباح التجارية » •

وكان بعض الافريقيين يحسدون بسىء من القناعة والرضى لبقاتهم عبيدا فى بريطانيا فى وقت كان يباع فيه الاسكونلندون عبيدا أيضا • ويعرض لنا الفران النامن عسر والناسع عسر حالات لا عد لها ولا حصر من بيع الأزواج فى لندن لزواجهم بيعا علنيا • ولقد نشرت صحيفة التايمز اللندنية فى عددها الصادر بتاريخ التاسع عسر من يوليو عام ١٧٩٧ الرسالة التالية :

« لم نذكر بسبب خطأ غير منعمد فى النبأ الذى نسرناه عن سوق سميث فيلد ، معدل الأسعار التى بيعت بها الزوجات فى الأسبوع الماضى ٠٠٠ ويعتبر بعض البارزين من الكتاب ، ارتفاع أسعار الجنس اللطيف ، دليلا واضحا على انتشار الحضارة ٠٠٠

« وهكذا فإن من حق سميث فيلد ، أن يدعى نحسنا ملموسا وواصحا ، اذ أن أسعار الزوجات فيه قد ارتفعت من نصف جنيه للزوجة الواحدة الى ثلاثة جنيهات ونصف جنيهه • »

ولعل أقرب شبه لاستعباد الافريقيين من قبل الأوروبيين هو ما لقيه

---

(١) جيمس بوزويل James Boswell ١٧٤٠ - ١٧٩٥ ) مؤلف اسكونلندى وكاتب سيرة الكاتب المشهور صمويل جونسون • ولد فى ادنبرة ودرس فى حاسمتها وفى حلاسكو درس القانون حيث تعلم على آدم سميث • له عدة كتب دفاعا عن الشعب الاسكونلندى •

اليهود من اضطهاد على الصعيد العالمي (١) ولكن نجارة الرقيق هي السن  
الدى دفعنه أفريقيا للبرورة الفكرية التى عنها انصالتها بأوروبا لها .

وما زالت أفريقيا تدفع هذا النمن فى القرن العشرين وان كان فى  
شكل مخفف . وكان من رأى اللورد بيرنهام ، فى مطلع هذا القرن تقريبا  
أنه ما كان فى الامكان أن نسير صناعات أوروبا فدما الى الامام دون  
الذهب النانج فى جنوب أفريقيا . وكان فى وسعه أن يقول ان أفريقيا  
هى العامل الوحيد الذى احتل أهمية مبعطة النظر بالنسبة الى أوروبا .  
وفد أمنت تجارة الرقبى أرخص يد عاملة فى الوجود لأوروبا ، وكان  
الأوروبيون يحصلون على الذهب اما من المناجم أو من التجارة الشاذة  
غير المتكافئة فى أفريقيا ، وضمنت هذه القارة لأوروبا الرساميل الضخمة  
التي مكنب النورة الصناعية من الظهور . ولقد ظلمت أوروبا نعتمد حنى  
فى هذا القرن اعتمادا مباشرا على المواد المعدنية التى تحصل عليها من  
أفريقيا ، وبينها الذهب والمنجنيز والأورانيوم والبوكسيت والصمغ  
والزيت والحديد وهناك كميات لا عد لها ولا حصر من الماس .

وفد كان لمناجم النحاس فى كاتانجا القول الفصل الى حد كبير  
فى تقرير مصير الحرب الكونية الأولى . فلقده شجنت مئآت الأطنان من  
هذا المعدن من الكونجو الى بريطانيا وغيرها من البلاد لتستخدم فى صناعة  
العناد وفى انتاج مختلف أنواع الأسلحة . ويقال أن الألمان كانوا فى  
نفس الوقت يتحرقون على أسند من جمر اللظى للحصول على هذا المعدن  
فأخذوا يصهرون ما لدى الشعب الألماني من أوعية نحاسية لهذا الهدف .  
وقد ساعد اكتشاف معدن المنجنيز فى ساحل الذهب ابان الحرب ، أيضا

---

(١) حانب المؤلف فى هذا الشبه ، الحقيقة كل المجاعة ، اذ لواجهه للساهة مطلقا  
س الاثريين الذين استعدهم الاسعمار واليهود . فهناك بالنسبة الى الاثريين اولا  
قصيه ارض ووطن يستعبده الاسعمار ليسفل موارده ويستنفقها لمصلحته . يسميا  
ليست هناك مثل هذه الاوضاع بالنسبة الى اليهود المشرين فى كل ارض فى العالم  
يستثرفون هم خيراها . وهناك بالنسبة الى الاثريين قضية اعداء سافر يقوم به الدول  
الاوروبية الاسعمارية العادمة من وراء البحار بعبء الغزو والاحتلال والاسجار بحريا  
الاسان وكرامته . أما بالنسبة الى اليهود فليست هناك من هذه الطواهر أى شيء .  
واما هناك حملات من اليهود بشعر بالتفوق العبرى على غيرها لانها « شعب الله  
المحار » فتتصرف تصرفات تثير المشاعر العبرية عند الآخرين ، وهناك بالنسبة الى  
الاثريين رقيق يستخدم فى اعمال السخرة وتسر طاقاته الانتاجية محانا لخدمة المستعمرين  
والرأسماليين الاحباب أما بالنسبة الى اليهود ، فهم رغم أنهم أقلية فى كل بلد من البلاد  
يسخرون طاقات الشعوب الى يعيتون معها فى الانتاج لضجيم أموالهم ، وريادة ارباحهم  
بوصفهم الطنفه الرأسمالية الحاكمة . ومن هنا يبين أن هذا التشبيه خاطيء كل الخطأ  
ولعله نجم عن تأثر بالدعايات الصهيونية الى تحاول خداع الشعوب الافريقية .

— المغرب —

على زياده كمابة الطائرات البريطانية زياده كبيره . وقد ضمننت هذه البلاد أيضا تمويها مستمرا لبريطانيا من غاز الكلورين عن طريق هذا الاكتشاف النفيس .

وحصلت أوروبا من الفارة الافريقية أيضا على مواد كثيرة وبينها المطاط والألياف والقهوة والسكر والزيت والفواكه والفطن .

والعمال الافريقيون هم وحدهم الذين يشتغلون في مناجم افريقيا ومزارعها كلها سواء أكانت ملكا للافريقيين أو لغيرهم . ويكون هؤلاء العمال أحرارا أحيانا ويكونون مسخرين أحيانا أخرى .

ويقال ان عمل السخرة مضر بالاقتصاد المحلي ، اذ أنه بفعل من الطافة الانسانية ويعزى السبب في ذلك الى أن العمال يفقدون اهتمامهم بالعمل . وهو اهتمام من المحتمل أن يكون قائما ، وهكذا نضبع نسبة من الطافة في تسويق العمال وابطائهم ، وكذلك في الحاجة الى المزيد من التشديد في الاشراف والمراقبة وهكذا لايفقدو الطيق واعيا ولا مستمرا . وينبع احساس بالبلل عن العمل . وهو احساس خطر اذا اسنمر دواى كايح أو زاجر . وكبرا ماسمع العمال في مناطق كثيرة في افريقيا ، حنى بعد نوال الاستقلال يحاولون تبرير التسويق والابطاء . أو بوصون بهما عن طريق القول بأن الانسان لاينعد اعمال الرجل الابض بحماس واعمال .

ولكن عمل السخرة ، لا يكون مؤذيا للاقتصاد المحلي في نظام اسنراكي ، بالفدر الذى يكون مؤذيا فيه فى النظام الرأسمالى ، اد أن العرصنة مباحة امامه فى النظام الاول ليكون مصبوغا بصبغة « المنايلة » بنما لايمكن الحب عليه فى النظام الثانى الا بأقوال سفسطائية نورية . عن كرامة العمل عند الآخرين . وليس نمة من شاقس فى حق أمة فى خدمات مواطنيها . ولكن من الضرورى أن توجه هذه الخدمات بوجيها مباسرا نحو المصلحة العامة ، وأن بفعل ذلك جميع القادرين على الاسهام فى أداء هذه الخدمات . ولعل خير سبيل لأداء ذلك ، هو فوضى الضرائب ، بالاضافة الى الغرامات التى تفرض على صعيد ضسيق محصور .

وقد فرضت جميع الدول التى استعمرت مناطق فى القارة الافريقية على هذه القارة اعمال السخرة ، فقد اجبر الرجال فى الكمرون الفرنسى على سق سكة حديد ميدلاند ، والعمل سبعة أشهر فى السنة بلا مقابل وقد اعترفت السلطات أن نسبة الوفيات بين العمال بسبب العمل المذكور بلغت نمانين فى الالف ، كما اعترفت أيضا بأنه لم يكن هناك أكثر من طبيب واحد لنحو ستة آلاف شخص .

وأصدر قاض للصالح في كينيا ، حكمه بالسجن على عدد من الافريقيين لانهم رفضوا الانصياع لامر بالعمل الازامى في السكة الحديدية . لكن محكمة كينيا العليا ، نقضت هذا الحكم على أى حال في عام ١٩٢٥ .

وكانت السلطات في مستعمرات البرتغال وبلجيكا ، في افريقيا بتر عمل السخرة ابتزازا ، وبنفس الطريقة لد السكك الحديدية .

ورفض البريطانيون السماح بأعمال السخرة للمشاريع الخاصة في افريقيا وان كان بعض اصحاب المشاريع قد قدموا بطلب الى حاكم روديسيا الجنوبية في عام ١٩٢٥ ، يرجون فيه السماح لهم بابتزاز عمال السخرة . وكان اللورد كرومر ، قد اسنكر هذا الاجراء ، واعبروه ، مرادفا للرق . ومارالب السخرة منبعة في جنوب افريقيا ، وموزمبيق وأنجولا وافريقيا الاسبانية ، مصحوبة بقصص اسطورة من الوحشية والقسوة .

وصحح أن نظام الاندابات الذي أفره عصبة الأمم لأفريقيا ، قد سمح بأعمال السخرة ، الا أنه حصرها في الخدمات العامة . وحددها بشروط قوبة صالحة . ولكن الفرنسيين بعقولهم الاسنقراطية الاستدلالية النشطة ، فرضوا جباية فعلية بالعمل ، على أهل البلاد التي بحكمونها . مبررين ذلك بأنها عوض عن الضرائب النفدية ، وهو تبرير سخف باطل ، في منطقة كانت فيها الاجور معدومة تقريبا ، وكانت هناك أربع وسائل أساسية لغرض الاقتناع عندما يكون الافريقيون في موقف المتعنت المتزمت ، فهم يحرمون من أراضيهم ، وهم يتعرضون لقوانين عتيقة تفرض عليهم . ولضرائب مباشرة تبز منهم ، كما تستنار فيهم وفي ضمائرهم النواحي الجماعية .

وقد أدت هذه الاساليب من الاقتناع على الصعيد الضيق المحدود ، الى قليل من الاحتكاك ، اذ أنها كانت تمس مع نواح أخرى ، الفسوى الدافعة في المجتمع الافريقي بالنسبة الى الجماعية مالا . وأدى ضياع الاستقلال في مل هذه الحالات العرضية الى اكتساب نواح وفائية . وبالنسبة الى الثقافات الافريقية بدل المخلفات الضخمة منها التي عاشت العهود الاستعمارية ، على أن الدول الأوروبية القارية ، لم تحاول بطريقة منظمة ، القضاء على الروح الافريقية ومحوها (١) . ولعل النسبة

(١) اعتقد أن المؤلف قد أخطأ كل الخطأ في رايه هذا . ولقد حاولت فرنسا مثالا فريسة الحرائر تماما وجعلها فرنسية من طريق القضاء كل القضاء على عرويتها ولا يمكن ان يعال انها لم تكن حدية في محاولتها المظلمة هذه ، وان فشلت كل العشل . وما يعال عن فرنسا في الحرائر ، يصح قوله بالنسبة الى الاستعمار الايطالى الشخ في ليبيا .

الصغيرة من الافريقيين المستعمرين ، الذين كانوا ذوى نفوذ ادارى فعال فى بلادهم ، يقيمون الدليل على صحة هذا الرأى الذى فلنا به. (١) ولو لمكن هؤلاء من أن يصبحوا فاده لسعوبهم .أيضا فى مبادئ السافة والأخلاق فان أمر الاسعمار ، يكون والحالة هذه كاملا .

ومع ذلك فقد نمكن الاسعمار من لى ما لدى الشعوب الافريقية من حماسة وحمية ، عن طريق ازدياد مساعيهم الهادفة الى عايات معينة والهامها . وقد حى لديهم الاحساس بانهم لايزيدون عن ديول وملحقات وابهم مجرد منطفلين على أعمال الآخرين . ولا أقصد بهذا أن أقول على أى حال بأن ، الاسعمار ، قد حطم ما لدى الشعوب من قدرة على المبادئ والابتكار . والنصميم الذى نم فيه الحصول على الاستغلال وما صحبه من نلفائية التفكير ، يشيران الى أن القدرة على الابتكار عند الافريقيين لم نزل ولم نمح مطلقا . والصحيح أن الشعوب الافريقية بانفصامها عن الثقافات العربية ، وجعلها منعزلة عن نفاهاها بعد المرور بها من الكرام ، استطاعت الحفاظ على نفسها فى ووقعنها ، والاحتفاظ داخل هذه القوقعة بقدرتها على الابتكار والمبادرة . ولا ريب فى أن حكم الاسعمار اللامباشر عن طريق السيوح القبليين كان من أكبر الأخطاء التى ارتكبها الاسعمار ضد نفسه ومن وجهة نظره . إذ أن هذا الحكم هو الذى حافظ على الثقافات الافريقية فى قوقعتها ، وشجع على التباعد بينها وبين الثقافات الأوروبية ، التى نقف الثقافات الافريقية موقف العداء منها ، بحكم تطلعها الى الاستقلال سعيا وراء الحصول عليه فى الهند الغربية مثلا . حيث قطعت عمليات اقتباس الحضارات الأوروبية مراحل واسعة لا يجد أبناء الشعب من ثقافتهم الخاصة الكثير ليمسكوا به ويصمدوا أمام الثقافات الغربية ، سواء اليوم أو بعد الحصول على الاستقلال . فلقد تحولت جزر الهند الغربية الى مناطق غربية فعلا . وفاتت فرص الاصلاح ، ولعل خير سبيل لها ، هو أن تغذ السير فى عملية « التغريب » بعد أن غدت المجال الوحيد المفتوح أمامها .

ولو تطلع المرء الى واحدة من النواحي الشمولية للمجتمعات . وهى الناحية الغالبة عليها كلها ، وأعنى بها ، البنيان الطبقي ، لوجد أن الدور الذى تلعبه الفروق الطبقيّة فى الهند الغربية يوازى موازاة أساسية الدور

---

(١) يمثل هؤلاء المستعربون الذين أشار اليهم المؤلف الفئات الانتهازية فى كل أرض وطئها الاسعمار بأقدامه . وهى الى حاولت بعد أن تعالت عن الشعب الذى تنتمى اليه تنلذ ثغافات الدولة المستعمرة تدعيما لمركزها الانتهازى ، فاصبحت عملية لها ومن الطبيعى والحالة هذه أن تعتمد كل احترام لها عند الشعوب المتطلعة الى الاستقلال .

الذي تلعبه في العرب • فالبنيان الطبقي فيها أقوى لا عمودي كما هي الحالة في أفريقيا • ويجد المرء في الهند الغربية أوروبيين وأمريكيين يملكون المزارع ، كما يجد أشخاصا من المولدين من أصل أفريقي وأوروبي مختلط أو من أصل هندي وأوروبي ، وكذلك أشخاصا من أصل أفريقي أو هندي ويعوم تصنيف المجتمع هناك على أساس هذا التريب • ويكون التصنيف على أساس الأصول موازيا للتصنيف على أساس الثروات • ومن الطبيعي أن يكون ادخال العمليات الانتخابية ومايرافعه من سياسات قد أدى الى تفوية مراكز الطبقات الحفيضة ، وبدأت فواعد التصنيف الطبقي القديمة ، تنهار شيئا فشيئا ، لتتألم مع الفسواعد الجديدة هنا وهناك ، ويبدو أن الميل متجه في الهند الغربية الى أن نفترق الطبقة الوسطى جنبا الى جنب مع فئات العمه من الطبقات العمالية ، ويؤدي هذا الميل الى الربط بين الطبقة والسلطان أما في أفريقيا التقليدية القديمة ، فلم تكن الطبقة مرتبطة بالطبع بالسلطان وكانت الاختصاصات هي التي تقرر املاء مراكز السلطان • وهي تشغل عن طريق الانتخاب أحيانا بطرق تتخطى الحساسيات الطبقيّة ، وكان البروز في الحكمة وبعض الفنون ، شرطا أساسيا في الغالب ، للوصول الى بعض المناصب التي تتطلب اختصاصا تاما كما هو الميل المتزايد لدى المجتمعات الحديثة •

وقد دخلت عناصر جديدة من النوع الطبقي ، إبان عهود ضياع الاستقلال لتأخذ مكانها جنبا الى جنب مع البنيانات الطبقيّة التقليدية. وقد ارتبطت الطبقة منها بالسلطان الاداري • ولكن هذه الصلة ما لبثت ان منيت بالضعف الشديد من جراء نشوء الاحزاب الشعبية الجماهيرية والحركات العامة ولا ريب في أن البلاد الافريقية الجديدة تملك عن طريق اختفاء الطبقات الوراثية بالفعل والتي لا تتميز بالمهارات الخاصة والاختصاص وان نعمت بالسلطان ردحا من الزمن ، كل الدلائل التي تشير الى أنها خطت خطوات صادقة في طريق القومية الصحيحة • والطبقات هنا متعاونة مع بعضها ، وليست متصارعة كما هو الوضع في الحساب الماركسي (١) • ومن الممكن القول بأن البلاد الافريقية الجديدة ، هي أقرب من البلاد الغربية الى طراز المجتمعات التي تقوم على توفير الرخاء

---

(١) أعتقد أن المؤلف متأثر هنا بالطراز الاصلاحى لا الثورى من التفكير الاجتماعى فلقد اثبتت التحارب الافريقية نفسها ، او بعضها على الأقل ، أن امكانية التعايش والتعاون بين الطبقات المتصارعة المصالح ، أمر مستحيل كل الاستحالة • ولعل أصدق مثل على ذلك • مانشهده في بلاد المؤلف نفسها اليوم • وهى غانا من مؤامرات تقوم بها الطبقات الاقنطامية والراسمالية الكيرة • وفي التجربة التي مر بها غينيا أيضا خير دليل على=

للجميع . فلقد نجحت هذه البلاد الى أقصى حدود النجاح فى استغلال  
كافة طاقتها لتحقيق هذه الغاية .

وبالإضافة الى الآثار السياسية التى يخلعها نبذ الحياة التقليدية  
للسعوب وادخال طرز جديدة من الفروع الاجتماعية ، وهو ما شهدته  
عهود ضياع الاستقلال فإن فى وسع الانسان أن يرى وأن يستشهد أيضا  
بشكل ومدى النشاط الاقتصادى الجديد الذى أدخل حديثا بكل ما فيه من  
قوى بناءة وهدامة ، وبالطراز الجديد من التعليم وماحمله من مفاهيم دينية  
وخلقية ، وبالتعديلات فى الفنون والموسيقى والأدب واللباس والغذاء .  
وبالتغيرات فى الأساليب التقنية ( التكنولوجيا ) ، وفى أنظمة الحكم  
وما تنطوى عليه هذه الأنظمة من بنيانات ثانوية سياسية . وكان لهذه  
التبدلات الاقتصادية آثار سياسية واجتماعية معا . فقد أحالت البلاد  
اللامستقلة الى اقتصادات منتجة للمواد الأولية . وفى الوقت نفسه الى  
اقتصادات تسويقية - مما أدى الى أن تغدو هذه البلاد ، وبصورة غير  
مرضية معتادة دون تصنيعها على المتع والمسرات التى يحملها التصنيع الى  
الشعوب المستصنة . وأخذت هذه البلاد تبيع منتجاتها بالأسعار  
المنخفضة التى تتاح عادة للمواد الأولية ، بينما تبعت دخلها الى حد كبير  
فى ابتياع السلع المصنوعة بأسعار مرتفعة كل الارتفاع نتيجة ارتفاع  
أجور العمال فى البلاد الأوروبية ، ونتيجة أساليب التسويق الجديدة ،  
ووصول عقيدة الربح الى ذروتها القصوى . وبينما يفال فى البلاد  
الأوروبية أن الأسعار تقرر على ضوء الأجور وعلى ضوء النقد الفائم فى  
الأسواق ، أكثر من تقريرها على ضوء الطلب ، نجد أن هذه العوامل ،  
لا تلعب دورها فى البلاد اللامستقلة . فهناك سلع كثيرة يتعادل تكليفها  
فى البلاد الأوروبية وفى البلاد اللامستقلة ، على الرغم من أن الأجور فى  
البلاد اللامستقلة ، أقل بكثير منها فى البلاد الأوروبية وعلى الرغم من أن  
النقد الفائم فى الأسواق أقل بكثير منهما فى البلاد الأوروبية وعلى الرغم  
من أن النقد قد يكون واحدا فيهما ، الا أن من الواضح عدم امكان المقارنة  
بين القوة الشرائية هنا ، والقوة الشرائية هناك . ومن الواضح أن الحقائق  
الاقتصادية لا تكون دائما اقتصادية فى طبيعتها ، وانها كثيرا ما تكون  
أيضا حقائق وطنية تختص بالبلاد نفسها . ولو تحدث المرء من الناحية

---

= صحة مانقوله . واذا صح أن التعاون ممكن بين طبقات العمال والفلاحين والراسمالية  
الوطنية الصغيرة ، فانه مستحيل بالنسبة الى الراسمالية الكبيرة والافطاع والمورحوازية  
الا اذا ظل النظام راسماليا تتحكم فيه مصالح الاحتكار مع لحسنات طفيفة ولا جذرية فى  
أوضاع الطبقة العاملة .

- العرب -

الاقتصادية المجردة ، لكأن في وسعه أن يدعو ، وله الحق في دعواه ، الى أن تقوم الدول الأوروبية بإقامة مصانعها في البلاد اللامستقلة . وإلى أن تصدر عمالها القنيين وخبرائها اليها فسيكون الورق في أجور العمال اللافنيين ، وهي دائما أجور ضخمة ، كبيرا يسحق أن يحسب حسابه . وفي إمكان الفوائض من المنتجات التي لا نباع في البلاد اللامستقلة . أن نباع في البلاد الأوروبية نفسها ، التي يمكنها انذاك ان تكنمى بالانحاح لاسنهلاكها المحلي . وبالطبع لايمكن اللجوء مطلقا الى هذا السبيل اذ أنه يعنى النقص في فرص العمل في هذه البلاد كما قد يعنى أيضا خفضا في طاقات الأسواق منها . ولكن هذا الاسنكار الذي قد ينار في البلاد الأوروبية قد ينار أيضا وبصورة متكافئة في البلاد اللامستقلة بالنسبة الى مصالحها . ولا يمكن حل الصراع القائم في المصالح بين الفريقين طالما أن البلاد اللامستقلة لم تدمج في البلاد الأوروبية ، وطالما أنها تحتفظ بمركزها كبلاد تابعة ليس الا .

ويعنبر ادخال الاجور المنظمة ودفعها الى الافراد بدلا من الاسر تنظيميا اقتصاديا آخر ، ترك أنرا ضخما على المجتمع التقليدي القديم . فلفقد أضفى هذا التطور على الفرد احساسا بالسلطان الفردي . وقد ساعده على هذا ، الشعور بالتفتت عن الجماعة ، جبي الضرائب من الأفراد ودفع الفرد لها ومحاسبته شخصيا عن الديون التي بعترضها والفدية الشخصية التي يؤديها ، والغرامات التي يدفعها بموجب الشرائع الأوروبية عن جميع الجرائم والجنح التي يفترفها وتحول الافراد بدلا من الاسر الى المسيحية والنمى الفردية التي تدعو اليها تعاليم العهد الجديد بدلا من جماعية تعاليم العهد القديم . ومحاسبة الفرد أمام ضميره وأمام الله . وهكذا تشجع الفرد على التفكير والعمل بصورة انفرادية بدلا من التفكير والعمل على أسس جماعية .

ولم تؤد الدبابة المسيحية الجديدة بشرائعها الاخلاقية القائمة على الاوامر والنواهي السماوية ، الى ادخال كثير من التغير ، الا بين المنقذين ثقافة غربية أما الفكرة الدينية التي يتحلى بها أولئك الذين لم يتلقوا مثل هذا التعليم فقد تم الحفاظ عليها سواء داخل الكنائس المسيحية أو خارجها . لكنها بالنسبة الى أولئك الذين تلقوا مثل هذا التعليم مالت على أى حال الى أن تكون طقوسية أحيانا على نحو يضاهى ، ماهو معروف ومألوف في البلاد الأوروبية نفسها . فلقد كان ارتياد الكنائس أحيانا « رياضة » لا على التقوى والورع في العبادة ، بل على المناسبات الاجتماعية ، وان كانت هناك دائما أعداد كبيرة بالطبع من المسيحيين الملتزمين والورعين كل الورع .



وتقوم الاخلاق المسيحية من الناحية العفائدية المثالية على الاناجيل قبل كل شيء ، وعلى ما تضمنته من قواعد أخلاقية ولا سيما فى السعالم التى وجهها المسيح الى الحواريين فوق الجبل ، واذا فدر لانسان أن يتأثر بأثر كافيا بما فى رسالات الرسل من شروح ونعاسير اضافية للاناجيل ، فان فى وسعه أن يفبل بها أيضا . ويقبل المرء أيضا وبلاضافة الى ذلك ، الاوضاع الخلفية التى ترمز اليها الاناجيل نفسها عن طريق الكناية . ففى المجتمعات التى دخلتها المسيحية تقوم هناك هيولات لا فراغات اخلاقية . ولكن من الواضح أن هناك قضايا لا تتناولها الاناجيل بالايضاح الكافى ، ولا تقدم فيها توجيها واضحا كل الايضاح . لكن بعض هذه القضايا قد قررت على ضوء السنن الاخلاقية الاضافية التى أوحى الاديان بها . ولعل هذه السنن نفسها هى التى تجعل المسيحيين فى البلاد اللامستقلة مثلا منسامين تسامحا واضحا فى موضوع تعدد الزوجات . ولا يمكن لآى نظام اخلاقى فى أى وقب من الاوقات ، أن يكون نظاما مزمنا مفعما حتى وان قام على أسس عفلاية . فهى تترك عند بعض الحدود مجالات معينة للاختيار وللقرارات المنفوحة . مما يؤدى الى ظهور صفات تنعدم منها المميزات الخاصة . ولنعد الآن الى موضوع تعدد الزوجات فالاناجيل ليست واضحة كل الوضوح فى هذا الصدد ، وعلى الرغم من أن بعض الناس قد يذكرون أن الله لو كان يرغب حقا فى عسدد الزوجات لكان قد هيا لآدم أكثر من حواء واحدة . الا أن المنطق المشروع فى هذا القول . لا يمكن أن يلمس لمسا قويا . ولقد ذكر بعضهم أيضا أن المسيح قد أوضح بأن الزواج ، هو اتحاد بصبح فيه الرجل والمرأة جسدا واحدا . وعلى الرغم من أن المرء قد يصدق بأن رجلا واحدا يمكن أن يصبح فى وقت واحد جسدا واحدا مع أكثر من امرأة واحدة ، الا أن النساء أنفسهن لا يمكن أن يصبحن جسدا واحدا ، ولكن هذا المنطق يفتقر أيضا الى الاشراف والبهاء . ويذكر المرء أن الزواج بواحدة ، وصية من الناحية التاريخية من وصايا المجمع المقدس فى ترنت الذى عقد برئاسة البابا ليو الثالث عشر ولكن دفاع اسود الكثلثة وأساطينها من أمثال القديس توما ، والاسكندر أوف هيلز ، والقديس بونا فينتورى ، ودونس سكوتس عن فردبة الزواج وجد دحضا عنيقا من رجال من أمثال دوراندوس من أهل بوركين وتوستاتوس وكاجيتان . ولم يشر لوثر نفسه أو ميلانكتون الى أى التزام بالزواج بواحدة ومن المحتمل والحالة هذه أن يكون الزواج بواحدة من السنن الاخلاقية التى أضيفت الى الديانة .

لكن اجراءات الدين هى ليست كل شىء بالطبع فى الحياة ومن الضرورى ألا يسمح للدين بأن يخلق الاضطرابات فى مجالات الحياة

القرية منه أو التي تكمله ، ولا سيما من صور الحياة التي تمت الى الاقتصاد السياسى ومن حسن حظ افريقيا ، ان الخلافات الدينية ، لم تتخذ فيها اليوم طابع القوى الهدامة . لكن فى وسع المرء أن يتذكر انه فى حقل المافسات الدينية فى الفسارة ظهر الكثير من الحوار والمناقشات بين دعاة الاسلام ودعاة المسيحية . وان بعض الاحكام قد تكون مفتقرة الى المعنى فى افريقيا ومن المعروف أن الدوافع وانقوى التي تقرر الاصلاحات الدينية لا تنبع دائما من طبيعة الله ، وتعتمد الديانة الحديثة الظهور فى الميدان فى عمق نجاحها ، على المدى الذى تستطيع فيه ان تقهر العناصر القائمة فى المجتمع الذى دخلت اليه أو تكيفها لتعالمها . ويبدو أن الاسلام كان أكثر نجاحا فى هذه الناحية فى افريقيا من المسيحية .

وقد حملت جهود ضياع الاستقلال الى افريقيا بالطبع فوائد التعليم انظامى كما حملت غناء للحياة الدينية والخلقية وتقدما فى الفن والموسيقى والادب واللباس والطعام . وجهزت هذه الجهود افريقيا ايضا بأساليب الحكم التي لاغنى عنها فى ادارة الدول المعاصرة بشكل مؤثر فعال .

وقد تم فى القرن العشرين تنظيم مطالبة افريقيا بالاستقلال السياسى ولكن هذا لا يعنى ان انقرن التاسع عشر قد خلا من الصراعات ذات الطابع السياسى التي تركزت على اغتصاب الارض وكان الأثر العنيف الذى خلفته أوروبا على افريقيا قد بدأ فى الظهور ولا ريب فى أنه بدأ فى صور تجمع بين الاشراف والكتابة ولقد كان من الاساليب التعويية التكتيكية فى القرن العشرين وبعد الاتجاه الذى اتخذته حركات المقاومة المطالبة بالاستقلال . التأكيد على النواحي القائمة من الاستعمار (١) ولا ريب فى انها كانت خطيرة الاثر على افريقيا . وكانت نهاية الحرب العالمية الثانية نقطة تاريخية هامة فى مستقبل افريقيا السياسى . ومن واجب المرء أن يعترف دون أى تحفظ بأن عددا من الافريقيين الذين قصدوا أوروبا وأمريكا طلبا للعلم ، قد تحولوا الى قادة وطنيين بارزين . فلقد تميز هؤلاء وبينوا لشعوبهم ، بعد أن رأوا فى أوروبا ما هناك من تناقض صريح بين ماصدر فى أوروبا من بيانات عن

---

(١) انا اختلف مع المؤلف تمام الاختلاف . فليست هناك للاستعمار أية نواح مشرفة ، وانما كله ظلام ، وقنام ، وكآفة . ولا أدري ما الذى يدفعه أحيانا الى محاولة اظهار أن للاستعمار حسنات وصورا مشرفة . أما الاصلاحات الى يقوم بها الاستعمار فى البلاد التي يسيطر عليها فهى لزيادة فرص استغلاله لتلك البلاد ، تماما كالحرجل الذى يطعم « الخروف » جيدا ليسمنه ليحجنى منه أحسن اللحم وأكثره .

الحرية والديموقراطية من ناحية ، وبين واقع الاستعمار من الناحية الأخرى . وكان تبينهم لهذه الحقائق مدعاة لاستفزازهم . وراح الأفريقيون يعلنون انهم يؤثرون حياة الاستقلال الذاتى مع المتساعب والاختطاف ، على حياة العبودية مع الراحة والاستقرار ، وأدركت بريطانيا قبل غيرها ، حقيقة الصورة ، فسارعت إلى اعداد تربيئاتها لمنع الشعوب الأفريقية استقلالها يساعدها في ذلك ما قام في افريقيا من حركات سياسية وطنية وظهرت للأفريقيين الآمال الجديدة في ان يروا الاخلاص المثالى والجدية في التعابير السياسية .

وعندما أصبح ساحل الذهب في عام ١٩٥٦ بقيادة حزب مؤتمر الشعب على أبواب الاستقلال . أخذ زعماء فرنسا السياسيون بوجهون «التهامات إلى بريطانيا والاتحاد السوفييتى بأنهما يحاولان عن طريق إثارة مشاعر الغيرة عند أهل المستعمرات الفرنسية تحطيم الامبراطورية الفرنسية وهدمها ، وقد نخلصت بريطانيا وفرنسا اليوم ، وكانتا أكثر الدول الأوروبية التزامات استعمارية في القارة الأفريقية » من معظم هذه الالتزامات ولكن هذه الاجراءات ، لم تمض في طريقها دون أن تصبحها مناقشات تعتبر اليوم من أكثر المناقشات انهاكا وتعدييا . وهناك عناصر معنية لها علاقاتها بمنح الاستقلال ظلت بعيدة عن أجواء الجدل والنقاش في الميدان العام .

فليس في وسعنا على سبيل المثال أن نتجاهل الحقيقة الروسية ولكن علينا أن ننظر إليها نظرة صحيحة فعلى الرغم من أن روسيا قد شجعت الاتجاه نحو الحركات السياسية ، الا أنها ماكانت في اى يوم ماضيا أو حاضرا لتمضى إلى الحرب من أجلها . ولا ريب في أن مثل هذا المضى حقق وجنود الا اذا كانت روسيا على ثقة من كسبها لهذه الحرب عن طريق الاقتصاد . ولم تكن روسيا قبل حقبة من الزمن واثقة من الكسب اطلاقا وهى اليوم ليست على ثقة من كسبها عن طريق الاقتصاد . ومهما كانت رغبة روسيا قوية في تأمين انتحور السياسى البلاد الأفريقية ، الا انه ليس ثمة في الاوضاع من الحرجة ما يكفى لإثارة اهتمام روسيا إلى الحد الذى يدفعها إلى النزول إلى المعركة . ويظهر من كل هذا ان تأثير روسيا على القضية الاستعمارية ليس من النوع الذى يهدد أوروبا تهديدا مباشرا .

وكان الغرب يشك فى أن النظام السياسى فى الاتحاد السوفييتى وما ينطوى عليه من تنظيمات اجتماعية يستهوى إلى حد ما الشعوب الخاضعة للاستعمار والمتطلعة إلى الحرية ، وإلى تحرير نفسها من التبعية الأجنبية وكان الغرب يخشى نشوب اضطرابات عنيفة على نطاق واسع وأدرك انه ما لم يوفر الحد الأدنى من عوامل التهذئة والثرضية

في المناطق المسنعمه فان بقاءه في هذه المناطق لا يحقق له الكثير من المصالح التي يتوخاها ، وأدرك الغرب أيضا أن منحه الاستقلال لهذه البلاد يؤمن له هدفين أساسيين أولهما الحفاظ على مصالحه الاقتصادية، لاسيما وان الاستقلال الاقتصادي لاينحقق بنفس السرعة التي يتحقق فيها الاستقلال السياسي ، ولا ريب في أن مصالح الغرب الاقتصادية يمكن الحفاظ عليها عن طريق منح الاستقلال بصورة أقوى منها عن طريق فرض النبعة السياسية . أما الهدف الثاني فهو ان الغرب طمع في أن يستخدم منحه للاستقلال السياسي ، حجة قوية يتذرع بها في الحوار الفائم مع الشرق ، للبرهنة على أن الغرب وعقائديه خير من الشرق ومذهبه . وطمع الغرب أيضا في استعمال هذه الوسيلة لاقناع المناطق التي قد ندعن لفواية الروس بأن الرأسمالية يمكن أن تكون كريمة أيضا لكن الشعوب الخاضعة ، كانت ترى على الرغم من اهتمامها الشديد بالاستقلال السياسي كفاية ، في هذا الاستقلال شرطا لازما للاستقلال الاقتصادي وغيره من الانصارات ومن هنا كان لابد لكرم الغرب وجوده ان يظهرها في المدان الاقتصادي وغيره من الميادين .

ولنضرب مثلا آخر ، اعقد انه خاص بفرنسا ، فلقد اعتقدت أن بإمكانها عن طريق التسليم بامبراطوريتها أن تظهر للعالم عظمتها وضخامة أنرها . ومن المحتمل أن تكون فرنسا مثلا ، قد أرادت أن تظهر في الأمم المتحدة ان هناك مبررات لعضويتها الدائمة ، في مجلس الأمن ، عن طريق ما تملكه من نفوذ في الجمعية العامة . وليس ثمة من شك في أن هذه الفاية هي التي كانت تسيطر على فرنسا عندما جزأت امبراطوريتها عن طريق « الإطار القانوني » فمنحت مستعمراتها استقلالها . ولكنها فوجئت بتحدى غينيا لها ، وكانت هذه المفاجأة ضربة عنيفة لامجادها ولعظمتها لا لان غينيا طالبت باستقلالها الفوري . فقد كان هذا في متناول يدها في كل حين بعد الاستفتاء بل لأنها تحدثت هذا الاجساس بالعظمة الذي سيطر على فرنسا .

وكان هناك أيضا ، مساس باحساس الملكية ، ومشاعرها . ففي المناطق التي لعب فيها عامل الاستيطان الاوروبى دوره ، أخذت الدول الأوروبية تثبت اقدامها بصورة ملحوظة .

وكان الاعتقاد السائد قبل الحرب الكونية الاولى ، ان الشعوب ستقبل في كل مكان في العالم على نظام الديمقراطية الليبرالية . اذ كان المظنون ان هذا النظام هو الطراز الطبيعي للحكم ، ولما كان هذا الطراز طبيعيا ، فان حتميته لا شك فيها ولا جدال . وكان الكثيرون يرون القضية مسألة وقت ، ليس الا \* فهناك قانون للتطور السياسي ، يدفع الشعوب جميعها دفعا نحو « الديمقراطية الليبرالية » حتى ولو ظلت ، كاملة راضية بالعمل بطرق غامضة خفية . اذ أن معجزاتها ستتحقق .

ولقد كان هنالك راسبالي امريكى فى مطلع هذا القرن حاول مع بعض رفاهه ايهامياً بأن آله الخبر ، بواسع رحمته ، وعظيم حكمته ، قد عهد بسعادة الناس اليه والى رفاهه من الراسماليين الطيبين . وعلى نفس الفرار ، اذ انفعاس بعض الشعوب عن تطبيق هذه الآراء الليبرالية الديمقراطية فان من واجب الدول الأوروبية ان تقودها فى هذا الطريق قيادة مد نكون بطيئة ولكنها ثابتة الخطا نحو هذا الوضع السعيد . وفى وسع الدولة الغربية ان تقبض على ناحية السلطان عند هذه الشعوب الخاضعة وصاية عنها الى ان تصبح فى وضع يمكنها من اعناق نظام كنظام البرلمان البريطانى كشيء خاص بها وقد فقدت هذه الفصة فى الايام الاخيرة الكثير من اشراقها المتفائل بالرفاه : فلقد اخذت مقالات صحيفة « التايمز » الافتتاحية بأسلوبها الذى لا يضاهى تندب انهزام الديمقراطية فى بلاد افريقيا وآسيا . واخذت نتصور وجود اجناس بشرية ممتازة . فهى تقول احيانا انه يبدو ان الاجناس البشرية فى اسيا وافريقيا لم تخلق على سبيل الاحتمال ، للعيش فى طرائق ديمقراطية للحياه . واستنتجت من كل ابحائها ان الديمقراطية الليبرالية اما وجدت خصيصا لشعوب أوروبا الغربية وبلاد القارة الامريكية الشمالية بوجه خاص ومن هنا انبثق ايمان صحيفة « التايمز » المحترمة بان بلاد افريقيا وآسيا لا تستطيع ان تقيم مطالبها فى الاسفلال السياسى على انه رغبة او طاقة على شد ازر الديمقراطية ونشرها ومن هنا يجب ان لا تطبق الديمقراطية على هذه البلاد الا بالقدر الضئيل الذى تسمح به أنظمتها الفاسدة وأميتها المنتشرة وعجزها الكلى عن التفكير تفكيراً صحيحاً ومنسجماً ، ومنطقياً لا عاطفياً . وليس نمة من شك فى أن هذه الاستنتاجات كانت قاسية وساقية .

ولا يستطيع الانسان بالطبع ان ينسى تمام النسيان النكسات التى منيت بها الديمقراطية الليبرالية فى اوربا ، حيث كان الاعتقاد سائداً بأن الثورة فى طريقها كانت كاملة . فلقد حدثت مثلاً تلك القضية الصغيرة المسماة بالثورة الروسية حيث يستطيع المرء ان يرى حكومة اطيع بها ، بوسائل لا ينص عليها مذهب الديمقراطية الليبرالية فلاشراز من الناس وحدهم الذين يلجأون الى الاطاحة بحكومة بلادهم فى عرف الليبرالية الديمقراطية بأسلوب غير أسلوب صناديق الاقتراع (١) اما

(١) هذا هو الفرق بين النظامين الليبرالى والثورى - فالثورة فى حد ذاتها هى انتفاضة على المذهب الليبرالى ، الذى مكى اصحاب النفوذ الحفيين فى المجال الاقتصادى والاحتمامى من السيطرة على السلطان السياسى ، فعدا هذا السلطان آلة مسخرة فى ايديهم ، او حتى عاجزا عن الخروج على ارادتهم حتى لو اراد هو هذا الخروج .  
- العرب -

إذا لم تكن هناك صناديق للاقتراع فهذا مجرد سوء طالع ليس إلا على أى حال لم يكن هناك أحد يفكر بغيراً جدياً بأن روسيا بلد أوربي ، فصحيح أن القياصرة يتحدثون بالفرنسية ، والفرنسية هى لغة أوروبا بالطبع إلا أنه بالنسبة إلى الآخرين فإن الشك فى أنهم من الآسيويين عميق ومتأصل .

وعندما زحف موسوليني على رومة بعد ثلاث سنوات من الحرب فجع أصحاب العقول الضعيفة الرقيقة وحدهم حقاً بحركة التطور التى عفت هذه الطرق المنحرفة .

ولم يتجنب الفرنسيون مؤخراً جداً كل التجنب أساليب العمل السياسى التى لا تقيم وزناً للحكم البرلمانى ، وقد أظهروا اقتداراً كبيراً للاخلاص إلى صناديق الاقتراع .

ولو حصر الإنسان نفسه فى موضوع الديمقراطية الليبرالية فإن فى وسعه أن يوجه سؤالين منفصلين أولهما يتعلق بدوافع هذه الديمقراطية والقوى المحركة لها وثانيهما يتعلق بالوسائل التى يمكن استخدامها للحفاظ على هذه الدوافع وضمانها .

ولقد كان الدافع الرئيسى لها من الناحية التاريخية الاعتقاد بأن الحكم الشعبى يجب أن ينسجم مع الحكم الطيب الخير . فالحكم الشعبى الصحيح تعبير على الأقل عن إرادة الشعب ، وكل نقد يوجه إليه هو من قبيل النقد الذاتى . وانسياقاً مع هذا رأى يسمع المرء من يقولون أن التسعب ينال الحكم الذى يستحق ، لكن النقد الذاتى يعنى على أى حال الرغبة فى عمل الأفضل ، وهو لهذا ينشد الفرصة التى تحقق هذه الغاية . ومن هنا تنبثق الضرورة فى أن تعود الحكومة المنتخبة انتخاباً حراً إلى جماهير المقتربين بصورة منظمة وبين آونة وأخرى لاتاحة المجال أمام كل إنسان لتقويم أخطائها إذا اقتضى الأمر . وتكون وسائل الاثارة الوحيدة التى تسمح بها فى ظل الديمقراطية الليبرالية هى تلك التى يمكن وصفها بأنها وسائل سلمية كارسال الرسائل إلى الممثلين المحليين أو إلى الصحف أو السير فى مظاهرات احتجاجية سلمية . وقد يكون الصيام اللا محدود احتجاجاً ، حالة متطرفة تنطوى على التهديد بشئ من التشهير أما حمل السلاح والإحراق والعمد والتخريب المقصود فكما أساليب تحظرها الديمقراطية الليبرالية .

وقد يتساءل المرء عن أساليب الاثارة المتاحة إلى الشعب الخاضعة للمستعمرة التى لا تمثيل لها فى حكوماتها كما هى الحال فى المستعمرات الأسبانية والبرتغالية فى إفريقيا والجزائر ( قبل الاستقلال

طبعاً !! ) وجنوب افريقيا ، أو حيث لا يكون التمثيل كافياً كما هي الحالة في اتحاد افريقيا الوسطى وكينيا .

ولقد قال من يعارضون في منح الاستقلال للشعوب التابعة الآن ، إن الحرية والديموقراطية الليبراليتين ، كمثليين من الأمثلة العليا ، قد ظهرت في الغرب أول مظهرتها . ويبدو أن المقصود من هذا القول ، أن هناك أنظمة واجراءات معنية تؤمن الحرية ، وتمكن من تحقيق الديمقراطية في المجتمعات الضخمة التي تضم الملايين العديدة وأن هذه الأنظمة والاجراءات قد ابتكرت عند الشعوب ذات الاصل الاوربي . وإذا كان الانسان يضع التأكيد على حجم الشعب فإن هذه الملاحظة لا تلقى أى وزن على الادعاء المتعلق باصول الحرية والديموقراطية . أما إذا وضع المرء التأكيد على الأنظمة والاجراءات المعنية التي يعتقد بانها تؤمن الحرية ، ونمكن من تحقيق الديمقراطية فإن هذه الملاحظة لا تلقى أى وزن على الاطلاق على هذا الادعاء الذي يمكن للمرء أن يشير الى ما فيه من زيف واضح ، فليس نمة من نظام أو مجموعة من الأنظمة يمكن أن يقرن أو تقرر بالاهداف الديمقراطية ، وليس نمة من نظام يصح أن يقال فيه دون الاشارة الى الاوضاع المحلية بأنه فريد في تحقيق الاهداف الديمقراطية ، وقد ارتبطت الفكرة القائلة بأن هناك أنظمة ترتبط ارتباطاً فريداً من نوعه بالغايات الديمقراطية عند الافريقيين بتوكيد أساسيين اثنين فيقال أولاً أن « الوطنية » من حيث انها نشدان للحرية والديموقراطية هي من الامور التي ادخلتها أوروبا الى افريقيا ، ويقال ثانياً ، أن ليس نمة ما يمكن لأوروبا أن تتعلمه من افريقيا ومن هنا تكون المطالبة كما يقال أحياناً ، بالحكم الذاتي مطالبة بالحق في احتذاء حذو الغرب وتقليده . وهكذا فعندما تناقش الحجج التي تستخدم لتأييد منح الحكم الذاتي أو معارضته فإن الانسان يقيم في الحقيقة مدى ما يمكن منحه من حقوق للمستعمرات لتقليد الغرب .

وقد ربطت قدرة شعب من الشعوب على حكم نفسه بنفسه بأربعة أشياء مختلفة فلقد قيل أن هذه القدرة هي الطاقة ، على تأمين الامن والطمانية للتجارة والصناعة الحديثتين . وتختفى وراء هذا القول العقيدة الاقتصادية للانسان ومن المفروض هنا أن يكون المعنى بالتجارة والصناعة الحديثتين ، تجارة الغرب وصناعته . ولأريب في أن هذا المعيار شاذ كل الشذوذ وغريب كل الغرابة إذا كان القصد منه قياس طاقة الشعب على حكم نفسه بنفسه ، على ضوء احتياجات الآخرين فالطاقة على توفير الطمانية للتجارة والصناعة بالقدر الذي تحتاجان اليه ، ليست بأكبر مطلقاً من الطاقة على الحفاظ على قوى النظام والقانون ، بل لعلها فرع مساعد لها ومن هنا يبرز التناقض ، وتظهر

القاعدة وكأنها لا ترمى الى تحديد القدرة على حكم الذات بل الى تحديد روح الاستعمار وجوهره ونبذوا القاعدة أيضا وكأنها تحسر انقئاب عن باوره الاهتمام الاوروبى بالنشئون الاقتصادية وهو الاهتمام الذى يسمح بمنح الاستقلال السياسى اذا لم تنصرر بهذا المنح المصالح الاقتصادية للدولة المستعمرة فى المناطق التى كانت خاضعة لها .

ولا يقل الحساب الثانى عن الحساب الاول خطأ وتصيلا اذ انه يعود بقدرة الشعوب المستعمرة على حكم نفسها بنفسها ، الى طاقنها على تأمين الأمن الشخصى والحكم الطيب ، على أساس المعايير الاوروبية الغربية وبحساج كلمة أوروبا الغربية هنا الى شىء من التعريف الا ان فرص تأمين الامن الشخصى والحكم الطيب ليست مساوية فى أوروبا الغربية نفسها . ويختلف حقوق المواطنين الاوروبيين العربيين وكذلك الاجراءات الحكومية باختلاف البلد الذى يفيم فيه الانسان فى أوروبا الغربية أو أمريكا . وهناك مناطق مستعمرة فى افريقيا ، يتمتع فيها المواطنون بحقوق أوسع من تلك التى يتمتع بها المواطنون فى البرتغال نفسها أو فى أسبانيا أو فى بعض الولايات فى أقصى جنوب الولايات المتحدة (١) .

وبقال ثالثا ان القدرة على الحكم الذاتى تتمثل فى الطاقة على خلق عدد من الحكام الوطنيين الفادرين على احترام القانون الدولى . وهناك بعض القوانين الدولية التى يفترض المرء ان جميع البلاد وحتى اتحاد جنوب افريقيا تحترمها ، أما الحساب الرابع وهو اكثرها انحرافا فهو القول بأن هذه القدرة لبست الا الطاقة على تطبيق الانظمة التى تضمن تنفيذ الديموقراطية والحرية .

ولعل من المأمون القول بالنسبة الى الأنظمة أن لكل نظام هدفا معيناً واسباباً تجعل منه قوة مؤثرة . فلقد استدعى وضع الأنظمة السياسية وخطبتها دائما بعض التمرين على مفاهيم التفكير . فالأنظمة السياسية وخطبتها دائما بعض التمرين على مفاهيم التفكير . فالأنظمة ويتم هذا النكيف وذاك التأفلم طبقا للاوضاع والموارد المحلية . ولما كانت الاوضاع والموارد المحلية عرضة للتغير فان النظريات السياسية توصى باحداث تبدلات موازية فى الانظمة بطريقة لا تضعف معها الصلة بالمثل السياسة القائمة ، بل تبقى على حالها أو تسبر فى طريق الزيادة

---

(١) يعنى المؤلف هنا حكم سالاراد فى البرتغال ويرانكو فى اسبانيا كما يعنى الأنظمة التى تطبقها بعض الولايات فى جنوب الولايات المتحدة مع السيد والزنج وهى الانظمة التى تعد كل العد عن كل تفكير ديموقراطى أو قواعد انسانية .



وتعمل الضرورة في اقامة الانظمة السياسية على اساس الموارد المحلية، عملها ايضا في البلاد المستعمرة ومن الواجب ان تأخذ الانظمة فيها بعين الاعتبار الاوضاع المحلية لتكون مجدية وفعالة ، ولتستطيع الحفاظ على كرامتها وتخلف الظروف التاريخية لافريقيا عن ظروف اوروبا تمام الاختلاف . وقد يتطلب تنفيذ المثل السامية والاهداف عن طريق المنظمات والحالة هذه مهارات تختلف من بعض النواحي عن تلك التي يتمتع بها الاوربيون والامر يكون اليوم في اوساطهم ولعل في وسع افريقيا وآسيا ان تحملا اوروبا على ادراك هذه الحقيقة . ولعل في الامكان ابتكار أنظمة مغايرة تستطيع أن تشتمل على نفس المنسل في ظروف مختلفة كل الاختلاف . وتختلف أنظمة الغرب نفسها باختلاف البلاد التي تقوم فيها وهذا امر لاررب فيه بالنسبة الى الاوضاع المختلفة السائدة .

واذا ماسال سائل عن الانظمة والاجراءات التي تنفرد في تأمينها الحرية وفي تمكيناها من الديمقراطية يجد الانسان أنها تضم في العادة بعض التتارب اللامتحيزة والخدمة المدنية ذات الكفاية والحكومة الدستورية ، والاحزاب الحسنة التنظيم ، والجماعات من اصحاب النفوذ. والصحافة الحرة . وعلى الرغم من ان هذه الانظمة لاتحدد الديمقراطية أو تعرضها الا ان من الصعوبة بمكان عظيم اجتبابها تماما . وسواء اكان المجتمع قائما على نظام الحقوق الفردية أو على نظام الجماعية ، وسواء اكان قائما على نظام الحقوق الفردية او على نظام من الواجبات ، فان الديمقراطية تكون عسيرة على هذا النظام الا اذا صاحبها تشريعات قضائية بعيدة عن التحيز وقد يكون من العسير على هذه المجتمعات الخيالية من وجود الدولة أن تترفع الكمال في اللاتحيز . والديموقراطية أمر عقلائي لانها ترفض الالتزام من ناحية كما ترفض الاغراء بالعطاء من الناحية الاخرى . واللاتحيز عقلائي ايضا . - فهو يعنى المساواة الجوهرية ومهمة جهاز الخدمة المدنية ذي الكفاية ان يكون وسيلة في التقليل من الالتزام ومن الاغراء بالعطاء . ولكن عندما يتحول الجهاز الى بيروقراطية فان خوفه من التحول الى الاستبداد يقدر خوفا عصبيا محموما ، وهو خوف اوتوقراطي النزعة في حقيقته . والحكم الدستوري اداة مماثلة ولا يمكن اعتبار الاحزاب الحسنة التنظيم أمرا اساسيا بالنسبة الى الديمقراطية . واذا كان لاند من وجود مجموعة من الاحزاب فان حزبا قويا للمعارضة يغدو أمرا جوهريا ايضا . وعندما تكون ثمة مصالح قوية التضارب ، تمثل فئات مختلفة من السكان ، فان تنظيم الاحزاب يغدو وسيلة معقولة كل العقل ، لاضعاف عنصرى الاستبداد والاغراء بالعطاء . ولكن الاهمية الوحيدة لهذا الوضع تتمثل فقط عند ما يكون هناك حزب قوى أو مجموعة أحزاب

متحدة في المعارضة تستطيع أن تؤلف خطرا حقيقيا على الحزب الحاكم. أمام جماهير الناخبين . ولا تكون المصالح القوية والمنظمة لاقلية متطرفة مبررا لخلق حزب ينشد التحكم في الامة كلها . ولعل من المعقول كل العمل أن تتفق أية بلاد ذات عدد صغير من السكان كل الانفاق على القضايا القومية الكبرى ولعل ارغام الشعب على تأليف عدد من الاحزاب لا يقل استبدادا عن ارغامه على تأليف حزب واحد ليس الا . وقد لا تعنى المعارضة المنظمة بحكم الشرطية المفروضة وجود شعب ذى مصالح متناقضة . ولا ريب في أن الاحزاب البديلة تزداد قوة عندما تكون منبثقة بصورة طبيعية . ولقد استدعى الحاكم العام في تنجانيقا قبل بضع سنوات جوليوس نايري (١) وقال له . . اسمع يا نايري انك تقول انك تنشد الاستقلال . ولكن أين هي المعارضة لك؟ ليس في وسعك أن تفوز بالاستقلال . بدون أن تكون هناك معارضة لك . ورد عليه نايري ردا مقحما بقوله : « ولكنى لا أستطيع يا صاحب السعادة أن أنظم معارضة لى » .

ومن الواضح كل الوضوح . ان ظهور مجموعة من الاحزاب في اى بلد من البلاد لا يعنى وجوب منح الاستقلال لهذا البلد . ولهذا فالأفضل للجميع أن تتوحد الجهود في جبهة واحدة ، أو حركة للفوز بالاستقلال . وعندما يطالب حزب للأغلبية ملحقا ، بالاستقلال لا يبقى هناك مجال أمام حزب الاقلية الا أن ينسحب من الميدان ، وأن ينسجم مع حزب الاغلبية في المجهود الوطنى وقد يكون حزب الاغلبية بالطبع أقل نضالية من حزب الاقلية . ولكن هذا يتوقف قبل كل شئ على تعاون الدولة الاوروبية . والاقتراع على أسس حزبية — حيث لا توجد خلافاً جوهرية فلسفية أو دينية أو عقائدية — أدى قبل الحصول على الاستقلال الى تجزئة افرقيسا . فى صور ساخرة وغير جدية ، كما أدى الى انهيار تأثير الضمير العام على القضايا الانتخابية . وعندهما لا تكون الفروق السياسية مستندة الى البرامج وانما مركزة على الاولويات أو حتى على الشخصيات بينما فى البلاد التى لا كثافة للسكان فيها والتى تكون نسبة التعليم فيها منخفضة جدا . لا يتوافر عدد كبر من الأكفاء ولا يكون فى اماكن أى حزب سياسى احتكارهم كما هم ، ليعالجوا القوى الانقسامية اذ تفقد القوات السحرية كل تأثير لها .

وقد يكون الحزب فى بعض الاحيان التعبير السياسى عن أية طبقة.

---

١- (١) جوليوس نايري . زعيم تنجانيقا الوطنى ، واول رئيس لجمهوريةها بعد استقلالها الكامل .

أو مجموعة من الطبقات ، وهناك اذا لم تتعرض البلاد الى اية أزمة سياسية فان الحزب الطبقي الحاكم يشرع فوراً وبهتدء في تثبيت أقدامه وتوطيد مصالحه . وقد يجد هذا الحزب في اويقات الأزمات القومية ، الوقت الكافي لعمل أى شىء في سبيل تثبيت أقدام طبقته ومصالحها . وفي افريقيا التى تعيش على تقاليدھا ، لا يعنى التصنيف الطبقي ، تنوعا في المصالح السياسية ، أو مصالح محصنة بالعمل السياسى . وهى لا تعنى أيضا وجود تعارض بين هذه المصالح . وعند ما تكون الاهداف سياسية فانها تكون جماعية في مصلحتها ومن هنا تكون الاساليب جماعية القبول والاعتماد ، حتى وان لم تكن جماعية الصورة مباشرة . ولعل هذا هو السبب الذى ادى الى ظهور بعض الوطنيين الافريقيين الذين استهجنوا نشوء الاحزاب السياسية . كشيء مستقل عن الحركات الوطنية نفسها وفي الامكان اكتشاف مثل هذا الاحساس في الجهود المتواصلة التى تبذلها بعض الاحزاب السياسية الناجحة للتوسع والانتشار على معايير الحركات الوطنية العامة .

ولا تؤلف مشاكل افريقيا الراهنة حوافز كبيرة للدوافع الانقسامية الغربية فهى تتعلق بوحدة افريقيا وتقدمها ، ولا ريب في أن وحدة افريقيا أكثر أهمية لهذه الناحية من الناحيتين القارية الشاملة والمحلية ، من سيادة أمة منطقة من المناطق ، ولا يمكن في الوقت الذى تحمى به بقية أنحاء العالم ، بأن مصالحها مهددة وتتصرف وكأنها قد ابتلعت السم ، أن يشاء القدر الرؤوم أن تظل افريقيا فى منجاة من الانزعاج من هذه المشاكل . وقد حاول الآخرون ايجاد بعض الحلول أو على الأقل تخفيف حدة مشاكلهم عن طريق التجمع في وحدات اكبر لاهداف تشكل النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية . ترى هل تستطيع افريقيا في اوضاعها التى لا مثيل لها اكتشاف طريقة جديدة ؟ وفي وسع افريقيا أن تعد نعم الله عليها . ولا ريب في أن ايجاد مبقى يحل لها مشاكلها عن طريق التجزئة ليس من هذه انهم مطلقا وحيثما يكون حزب واحد ، لا يكون من الضروري أن يكون هناك

في الداخل انسجام في المصالح أو ربط بينها عن طريق التفصيل ولا ريب في أن التوفيق الذى تخلفه المصالح القطاعية المفصلة داخل الحزب الواحد يكون أكثر أهمية بالنسبة الى ديمقراطية الأمة وسلامتها ، من أى أثر قد تتركه المعارضة الضعيفة . وقد يخلف وجود معارضة ضعيفة تتميز بكثرة الضجيج والعجيج قبل الحصول على الاستقلال ، عدم التسامح والغلظة عند جميع الفرقاء . ولكى تكون المعارضة معقولة على هذا الصعبد وضمن هذا الاطار يتطلب الامر منها أن تكون قوية وذات حظ في الكسب والفوز .

وليس ثمة من شك في أن الميل في إفريقيا اليوم متجه الى قيام الدول ذات الحزب الواحد . ولقد أعلنت أحزاب المعارضة في بعض المناطق أحزابا غير مشروعة ، أما في المناطق الأخرى فان وجود أحزاب الاغلبية ذات القوة الطاغية انضخمة يجعل من أحزاب المعارضة ان وجدت أحزابا لا وجود لها في الواقع . وفد حقق النفسيم الاقليمي لافريقيا الفرنسية وهو النفسيم الذي نعده الاطار القانوني شيئا من الاستقرار عن طريق نكل الفروع في أحزاب موحدة . ولعل غينيا هي أبرز مثل من هذه الامثلة الكاملة . ولقد توحدت الأحزاب بحرية في مالي أيضا وبدون أى عنف أما الحكومات الائتلافية كما في الفولتسا العليا مثلا في ظل اوفيزين كوليبا الى الموهوب . أو في داهومي ، أو في تشاد في ظل بوغاندا الموهوب ، فقد كانت أضعف حالا من دول الحزب الواحد الصريحة والواضحة . وتسيطر الاغلبية سيطرة تكاد تكون كاملة في ساحل العاج والسنغال . أما في غانا وسريالون ، فالاغلبية مسيطرة سيطرة فعلية كاملة . ويصدق هذا القول أيضا عن نيجانيا التي نالت استقلالها مؤخرا وتطفي الاغليات الاقليمية طفيانا كاملا في نيجريا ، وهي تكاد تكون كاملة في الاقليم الشمالي أما الكيان الاتحادي « الفيدرالي » فهو على الغالب العامل الخطير الوحيد الذي يحفظ توازن القوى ويصونه .

وهناك جماعات أصحاب النفوذ وهي لا تعمل جهارا وعملانية وإنما من وراء الكواليس ، وهي بعيدة كل البعد عن الأنظمة الديمقراطية . وليست جماعة أصحاب النفوذ في الحقيقة إلا قلة تنشد الضغط ، وفرض قوتها على الاغلبية وتكون مصالح هذه الاقلية خاصة ، وعلى الرغم من أن هذه المصالح قد تحتل أحبانا المكانة الأولى في تسلسل المصالح القومية ، إلا أنها يجب أن تظهر بوضوح على أنها ذات المكانة الأولى في هذا التسلسل . ومن الواجب أن تظل واضحة وأن لا تكتنفها سحب من الشك والفموض . أما اذا اكتنفتها هذه السحب فانها تصبح في موقف التعارض الكلي مع النظام الديمقراطي .

وكان موضوع الصحافة الحرة ، هو البند الاخير من البنود التي ذكرت بالنسبة الى منظمات الديمقراطية واجراءاتها . ويقال بالنسبة الى تطبيق هذه المسادة على المواضيع المتعلقة بالاستقلال . ان غالبية البلاد التابعة في إفريقيا هي في المناطق التي تسودها الأمية وفي الامكان وضع القواعد المتعلقة بهذا الموضوع على النحو التالي : لبس ثمة من جدوى للصحافة الحرة والحسنة الاطلاع بالنسبة الى الشعوب التي تغلب الامية عليها ، ولما كانت الصحافة الحرة وانحسنة الاطلاع ضرورة للديموقراطية ، فان الشعب الجاهل الذي تسوده الامية ، لا يستطيع

أن يحقق الديمقراطية . وعلى الرغم من أهمية الوصول الى المعلومات الصحيحة وحرية النقاش للديموقراطية الا أن في الامكان تأمينها بطرق أخرى غير طريق الصحافة الحرة والحسنة الاطلاع . فالاذاعة التي تعتمد على الاصوات والانرطة السينمائية ، وحتى قرع الطبول من المنادين في القرى وحتى نشر الشائعات ونقلها ، كلها وسائل بفضل الصحافة الحرة في المجتمعات الجاهلة الى بسودها الامية فلهذه المجتمعات وسائلها الخاصة في الاعلام وفي نشر الانباء . والصحافة الحرة والحسنة الاطلاع وسيلة نلائم بصورة خاصة الشعوب المتعلمة . ولو طاع المرء بدقة الى الامور وبحرى عن صحافة العالم . فانه يدرك على الفور ، بأن الصحف لا تنشر في الواقع الا القليل أو أقل من القليل اذا ما قسنا ذلك بالامكانات ، من المعلومات الصحيحة والدقيقة ولا تعمل الا القليل في قيادة الراى العام ووجيهه نحو الخير وكذلك في الدفاع عن الديمقراطية وتنبيت مواقعها وأقدامها . وبدو صحيفة الدلي مرور ، في بريطانيا العظمى لا صحيفة «التايمز» أو « الدلي بلجراف» أو حتى صحيفة « الحارديان » المعمورة الى حد ما هي أقرب الصحف الى تحقيق هذه الغاية ومن المعروف أن « الدلي مرور » لا تسلك سلوكا مهذباً ، في موضوع التفكير تفكيراً صحيحاً بالمبادئ التي فقد عرضاً وهي يتحدث حديثاً مباشراً وصريحاً ، في المواضيع المتعلقة بمثل النوانا الديمقراطية دون أن تتأثر بالجماعات من ذوى النفوذ وهي جماعات جمة النشاط دائبة الحركة ولعل أقرب صحيفة لها في فرنسا هي صحيفة « لوموند » وتؤلف الصحافة الحرة في البلاد التي نقل فيها نسبة المعلمين خطراً معيناً وهو خطر الاغراف في الاهتمام بمصالح الفئات المعلمة وهي فئات بميل مئلاً طبيعياً الى الانسواء في طبقة معينة حسب العرف الماركسي . ولا يحقق الصحافة الحرة عند الاغلبية نظرية أرسطو وهي النظرية التي تقول بأن رجلاً واحداً لا يمكن أن نام بالحقيقة الكاملة من جميع أطرافها ، وان هذه الحقيقة هي مرة اسهم عدد من الرجال بمسكون بنواح وحوانب مختلفة منها .

ومن واجب المرء عند الحديث عن الشعب المتعلم أن يكون واضحاً كل الوضوح في التعابير والاصطلاحات . وهناك كتبرون برون أن الجهل عند شعب تابع مستعبد يبدو معادلاً للجهل في بلد أوروبى ناحدى اللهجات الالهية الدارجة وهناك بالطبع عدد غير محدود من الأشخاص في البلاد التابعة أو في البلاد التي كانت تابعة حتى عهد قريب لا يعتبرون أميين بالنسبة الى لغاتهم وان كانوا أميين بالنسبة الى الفرنسية أو الاسبانية أو البرتغالية أو الانجليزية .

وفد دأب الناس على الحديث عن الشعوب التابعة . وكأبهاصفحات

ناصعة بضياء ، لم يسبق لعلم أن جرى عليها ، ولهذا فهي على استعداد للتأثر بما يحلقه اندول الاوروبية عليها من آثار . وكثيرا ما قبل أيضا ان من الافضل أن يقطع عمليات «التغريب» و «الاستتراق» مراحل كبيرة وفي أقصر وقت ممكن ، حتى تتمكن الشعوب النابعة ، من أن نحد ما يصلح لها ، قبل أن يدرك وسأها لاسكاراتها. وكأنها شعوب مسهلة . وقد يكون «التغريب» في بعض المناطق متصلا ، الى حد كبير ، بالاساليب والمهارات أكثر من اتصاله بملكوت العيم ، وهو الملكوت الذي يستطيع المرء عن طريقه على أي حال نعيم فم المهارات نفسها وتقديرها ، ومن الممكن أن يصور المرء بلادا مسهلة لها وجهات نظرها الخاصة بها في بعض الامور . وتقرض بعض المهارات المعينة من مجتمعات أخرى بطريقة تنفق معها هذه المهارات المسعارة ، مسجحه مع الاطار الأكبر ، وبطريقة أيضا ، لم بعد فيها مكان للعبور على الخصائص المميزة لاي شعب من الشعوب ، وقد نفال بالطبع أيضا ان عملية «التغريب» ليست مجرد عملية انتقاء أو اخسار . ومن المحتمل أن يكون هذا القول صادقا الى حد ما . ولكن يجب أن لا نعني هذا بحكم الضرورة أن درحة «التغريب» وآثارها المحتملة وتواؤمها مع كل ما هو أهلى أصيل في البلاد المستغربة ، كلها أمور يجب أن تظهر بالعين المرئية ، أو أن عملية «التغريب» نفسها يمكن أن توجه وبراقب . وبالطبع يمكن أن سير عملية التغريب على أساس نخطط منظم وأن تكون خاضعة للإرادة والقرار . وما نصح قوله عن التغريب يمكن أن نفال بالنسبة الى الاستتراق .

واسترخى البريطانيون والفرنسيون في منح المناطق التي يفهم فيها المستوطنون الاوروبيون استقلالها بعض الاسترخاء . أما الاسبانيون والبرتغاليون فبدو أنهم لم يفكروا حتى في الموضوع كل التفكير . وعلى المرء عندما يبحث في موضوع استقلال المناطق الافريقية التي يفهم فيها المسوطون الاوروبيون ، أن يأخذ بعين اعتباره الحقيقة المجردة وهي أن الديموقراطية لم توجد لخير الاقليات وحدها ، ولا ريب في أن احاطتها بساج من الاخرعات المبكرة ، التي لا فصد لها الا ارضاء الاقليات بعبر نعطيا لأسس الديموقراطية القائمة على التكافؤ ، ومساعدة للبعض على الكره واصفاء حقوق خاصة على الاقليات خارج نطاق الاطار العام للحقوق المسركة بعبر بجاورا لمصالح الافليات المسروعة وبالتالي منافضة صريحة لأسس الديموقراطية . ولعل من أبرز خصائص الديموقراطية ، هو أن المزايا المعينة كلون البشره ومسقط رأس الحدود فبسل نحو من قرن ، لا تحمل أي مبرر للتمييز أو التفضيل .

ويعبر نظام المميز في الافراع ، وهو النظام الذي ابتكره أحد عافرة السياسة ، هداما بدوره للديمقراطية . وهداما أيضا للروح:

البشرية . فتحديد سن الناخب باحدى وعشرين سنة على الاقل . تحديد  
 لعبدي متوارث ، يتطابق تمام المطابقة مع المسئوليات القانونية للراشدين .  
 ولكن عندما يفهم تحديد الاقتراع على أسس ضمن سن الرشد . فان هذا  
 التحديد نفذو جائرا وظالما ، فمن الصعب كل الصعوبة على المرء أن يصور  
 حالات فجائية من الوصول الى المسئولية والحكمة ، ضمن سن الرشد  
 وهى مسئولية وحكمة ، كان الاصغار اليهما فى سن الواحد والعشرين  
 بجعل الشخص غير أهل للاقتراع . ولقد اكسب تعبير « الاقتراع العام  
 للراشدين » مكانه البائدة على أساس عبارته « الراشد » ولكن هل سمع  
 انسان من قبل ، بسىء عرب كنعين « الاقتراع العام لمن هم فى أوسط  
 العمر » ؟ وبدرك كل انسان أن هذا الاصطلاح لس الا واحد من الابتكارات  
 التى وضعت لحماية امتيازات المستوطنين . وليس بمة من سكر فى أن  
 جميع البلاد الافريقية ككينيا وياسالاند وروديسا الشمالية وروديسيا  
 الجنوبية وانجولا وموزمبيق وأفريقيا الاسبانية والجزائر وجنوب أفريقيا  
 مستقلة فى النهاية ( استقلت الجزائر وبعض هذه البلاد والحمد لله ) ،  
 وسيبقى المستوطنون فيها . وليس بمة احتمال فى قيام أمة هجره جماعية  
 للاروبيين والآسيويين من أفريقيا . فلهؤلاء المستوطنين من المصالح الكثيرة  
 والعنف ما يجعل من المتعذر عليهم فهم هذا الرباط القوى الذى تسدهم  
 الى أفريقيا . ولكن هذه الحفنة تجعل من المعذر على المرء أن يفهم النواقص  
 العريب الذى تدفع الدول الاستعمارية الى محاولة الحفاظ على هذه المراكز  
 المميزة التى يجعلها الافلية المستوطنة بوسائل فيها الكثير من الجور والاكراه  
 والتمييز ، اد من المفروض أن هذه الافليات تود أن نسمي فى العيس فى  
 أفريقيا بأمن وسلام ، ولكن الضمانات الاضافة الخاصة ، لا يؤدى الا الى  
 اسساره السخط والحق . لكن المهارات سمنظلم موضع البجلة . وستبقى  
 مرموقة فى أفريقيا . وحيازة هذه المهارات فى أى مكان فى العالم ، ضمان  
 طسمى لمستقبل اصحابها . أما الافليات التى لا مهارات لها فتستطيع  
 الحصول على الضمان فى الحفنة الواقعة ، وهى أنها لا تملك سسنا بخاف  
 عليه من الضياع .

وفال احسانا ان بوسع حق الاقتراع فى البلاد التى يفوق عدد  
 الافريقيين فيها عدد المستوطنين الغرباء الى حد كبير ، بسى حرمان هؤلاء  
 المستوطنين من أفريقيا . ومن الاقوال الشائعة أيضا ، أن المستوطن لم  
 يكتف بالعيش فى أفريقيا لعدة حقب وأجيال فحسب ، بل انه رفع من  
 شأن أفريقيا وأوصلها مما كانت عليه كأرض قاحلة جرداء ، الى ما هى  
 عليه الآن . ولكن اذا كان المستوطنون قد عاشوا فى أفريقيا حقا وأحبالا ،  
 فان الافريقيين عاشوا فيها فرونا لا عد لها ولا حصر . وعندما تحدث  
 الانسان عن بناء المستوطن لافريقيا ، يرى هل ناخذ فى حسابه ما للعمل

نفسه من فيمة ؟ وما دمنا في موضع الحديب عن العمل ، فان في وسعنا أن نقول ان حكومة جنوب افريقيا نحظر حق الاصراب على الافريبيين . وليس سمة من شك في أن الجهد الذي بذل والعرف الذي سال في بناء أفريقيا ، لم يكن جهدا أو عرفا أوروبيا ، بل كان جهدا أفريفيا وعرفا أفريقيا . ونحن لا ننكر أن الاوروبيين قد أسهموا اسهاما كبيرا بمهاراتهم . لكن الحقيقة التي لا ننكر هي أن الافريبيين هم الذين بنوا افريقسا فعلا ، وأن الافريبيين هم الذين سمواصلون بالطبع عملية بنائها .

ومن مبادئ العوميه الافريقية وعقائدها ، أن الاستغلال السياسي شرط أساسى للثورة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية. لكن أنصار فكرة اتحاد أفريقيا الوسطى ودعاتها ، يعارضون هذا الرأى تمام المعارضة بالطبع . ولكي أكون واصحا ، أود قبل كل سىء القول بأن فكرة « الاتحاد التعاونى » لا تعنى بحكم الالتزام ، السرور والمساوى فهناك اتحادات تعاونيه معروفه ، نشرت العظمه والرشاء والاستقرار على أعضائها واذا ما اقررنا بهذه الحقيقة الواقعة ، بات في وسع الانسان ان يدرك ، أن الظلال تقوم دائما بين الماهيم والوقائع ، ويقدم أنصار اتحاد افريقبا الوسطى الحجج التالية لدعم رأيهم ، وهى أن الاتحاد أولا ، سبأى بالرشاء والازدهار الى الافريبيين وأنه نانيا سيحول بين روديسا الجنوبية وبين الاتجاه نحو اتحاد جنوب افريقا ، وانه ثالثا سيحول بين المنطقة كلها وبين الاذعان للشيوعية ، ولم تكن روديسا الجنوبية فى حالة يسرافصادى عندما ظهر الاتحاد الى حيز الوجود ، فلقد كانت فى حاجة الى المزيد من اليد العاملة الطيبة والرخيصة ولا ريب فى أن اكتظاظ سوق العمل ، بالايدي العاملة العاطلة من نياسالاند ، على الاخص كان فرصة عظيمة لا تقوت لروديسيا الجنوبية ولمنطقة انتاج النحاس فى روديسيا الشمالية أيضا . ولكن فرص « الاتحاد » دون موافقة الافريبيين وعلى الرغم من رغباتهم ، مع أن نسبتهم العددية بالنسبة الى الاوروبيين تبلغ (١٨٤) الى واحد ، لم يؤد ، كما يعرف كل انسان الى ادخال سبعة ملايين افريقى فى هذا المجتمع الذى يعيش فى فيض عميم . ولهذا فان المنافع الاقتصادية التي نجمت عن الاتحاد ، كانت لمصلحة المسنوطنين الأوروبيين على الغالب . ولقد فشل الاتحاد فسلادريعا فى تحقيق أهدافه . ولعل المرء يذكر أن ادارة نياسالاند وروديسيا الشمالية كبليدين منفصلين قبل قيام الاتحاد ، لم تؤد الى افعال عانى الخرابه البرطانية بالاعماء وتحميلها أية خسائر . ولا ريب فى استحالة الادعاء بأن الاتحاد أزال أى عجز كان يظهر فى ميزانة هذين البلدين .

ولم تكن روديسيا الجنوبية ئيوم من الأيام بعبدة عن جنوب افريقيا ، ولا كانت سياسته الاضطهاد العنصرى دائما تنفذ فيها بشكل عنيف من تنفيذها



فى جنوب افريقيا • ولعل هذا يظهر فى أن ادارة مدرسة داخلية جعلت طالبة افريقية تعبش وحيدة فى فاعة كبرى من فاعات النوم لئلا تختلط بزميلاتها من بنات المسوطنين الأوروبيين ووصف الأوروبيون المستوطنون مجلس السنون الافريقية الذى أنفسه الحكومه البريطانية والذى أسماه أحد وزرائها ، أوليغر ليلتون بأنه قلعة حصينة لا يمكن الوصول اليها بالحمى والغفلة ، ويبدو أن ويلينسكى (١) بما عرف عنه من صراحة وصلافة قد تمكن من العاء هذا المجلس ، ولا يمكن لأى انجاد أن يستند فى وجوده ، الى مجرد الحجج ، أو العواطف أو الولاء وقد فشل الاتحاد فى تنفيذ أى من وعوده ، وسير فسله هذا التساؤل ، عما اذا كان الاتحاد فى اى يوم من الأيام مخلصا فى اغداها أو راعيا فى تنعيمها • ولعل الخطر الأكبر الذى يواجه الأفريقيين هو أن تسفل هذه الاقطار الثلاثة النى يتألف منها الاتحاد قبل أن يكون الأفريقيون قد وصلوا الى مراكز الحكم والسلطان فى كل منها •

والاستعمار من الناحية الجوهرية الأساسية عدوان صريح • ومن واجب المرء فى متابعته حركته النضالية طلبا للاستقلال ان لا يخجل من الظهور بمظهر النطرف فلمد كان عادى مثلا منطرقا فى موقفه الصلب والمنصر على الرعم من الحقيقة الواقعة وهى أن موقفه الصلب هذا ، كان بعيدا كل البعد عن العنف ، اذ أنه يقوم على سياسة اللا عنف • ومن الواجب أن تستمر الحركة النضالية من أجل الاستقلال على سبيل الحكمة والنروى ، وان أمكن ذلك ، بأساليب اللا عنف ولئن هذه الأساليب اللا عنفية يمكن أن تستمر وأن يمضى الى حدود النطرف ، وكثيرا ماتنطلب هذا النطرف ليكون فعالة ومؤثرة • وتتلخص فكره الأوروبيين عن الاسان اليوم ، بأنه حيوان افنصادى ، ولا ريب فى أن من واحب الوطنيين الأفريقيين أن يرجعوا الى هذا الاعيار كثيرا فى جهودهم طلبا للاستقلال • وقد تكون أساليب اللا عنف التى يهدد المصالح الافنصاديه للمستوطنين أحدى وأقوى فى النضال الاسفلالى من بلاغة القول وحجج المطلق ، وقد يكون من الشاق فى بعض البلاد المستعمرة ، كالجزائر ( كان هذا قبل اسقلالها ) ، وجنوب افريقيا وانجولا وموزمبيق وافريقيا الاسبانية ، بسدان الاستقلال عن طريق وسائل اللا عنف هذه لأنها تنطلب ابتكارا لاسيما وأن الحكومات الاستعمارية البعيدة النظر قد اتخذت احياياتها المسبقة ، فحظرت القيام سلفا بأى عمل من أعمال اللا عنف • فالاضرابات

---

(١) السير روى ويلينسكى ، رعيم المسوطنين فى روديسيا الجنوبية ورئيس حكومة الاتحاد وهو من أشهر أنصار الاصطهاد العبرى • ومملى سياسه الاستعمار • ناصر حركه تشومى الانفصالية فى كاتانجا ومن أشد أنصار اسرائيل •

مثلا فى الجزائر محطورة تماما • ومن حسن الحظ أن الانارة الديموقراطية  
والسلمية مازالت ممكنة فى البلاد المستعمرة الأخرى ، وان كان سبرها  
بطيئا كل البطء وصعبا كل الصعوبة •

وليسب القومية الافريقية حركة عنصره • وان كانت قضايا العنصر  
تفرص نفسها فرصا عليها • ونسجه القومية الافريقية من ناحيتها الخارجية  
الى ندعيم الاستقلال بالنسبة الى البلاد التى حصلت عليه ، والى استعادته  
بالنسبة الى البلاد التى مارالت مستعمرة • فالنظام الذى تعتمد فيه ارادة  
شعب من الشعوب كل الاعتماد على ارادة سبع آخر يعتبر من الناحية  
الرئيسية السعب الأول أو يعامله على أساس أنه عاجز أو لا يملك حفا فى  
تقرير شكل الحكم الذى يريد العيس فيه • وقد فشلت المحاولة فى تطبيق  
نظام التحليل الاقتصادى للانسان على الفارة الافريقية • ولم تكن الطربفه  
النقلدية المألوفة فى امريعا أن يحلل الانسان على أساس أنه حيوان  
اقتصادى ، فعندما يقال بأن السعب الجائع لا يسغل فكره بقضايا  
الديموقراطية ، فان هذا القول المأثور لا ينسجم مع بسدان افريقية  
لاستقلالها ، وانما يحسر النقاب عن مذهب كلبى مرعب بقوم على الشك  
فى كل شئ • وليس صحيحا القول مطلقا بأن لكل انسان نمته الخاص  
به • ولم نعد نسمع بالرأى القائل بأن الاستعمار يقوم على أسس وحوافز  
انسانية محضة. وان كان قصة تلك السيدة التى ذهب الى المستعمرات  
فى الهند ، وأعلنت بكل صراحة ، ان الحياة بدون شعوب مستعمرة شئ  
لا يطاق ، ماثلة فى الآذان حتى الآن .

وخيل الى عدد من المتعلقين بحبال النظريات وأوهامها فى القرنين  
الناظر عشر والتاسع عشر ، أن فى وسعهم توقع ظهور الانسان العاقل  
الصادق ، كظاهرة عالمية بحيث يتميز بالمعرفة ورقين الاحاسيس والتحرر  
من كافة مشاعر الولاء الاقليمية الصفة . وكان لابد لاعمال هذا الانسان  
أن ترتكز الى فكرة الاخوة العالمية لبنى الانسان دون تمييز أو فوارق •  
ويبدو أن الأمل فى ظهور هذا الطراز من الانسان فى الحياة السياسية قد  
خاب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفى أوائل هذا القرن • أما  
اولئك الذين كرهوا هذا الطراز من الرجل العالمى النزعه فقد رأوا فيه  
انسانا قاسيا حم الاعتماد على العقل ، مفرط الركون الى الادراك ، معزولا  
كل العزل عما فى الحياة من دفاء وعواطف ، أما أنصار فكرة هذا الانسان  
فقد كانوا يرون فى تعب المساعر القومية رجعية وراية أو حنى وحسنة  
بشرية •

ولم تحتف فكرة الاخوة العالمية لبنى الانسان تمام الاخفاء ، فهى  
مازالت ماثلة فى الامم المتحدة ، وفى البنك العالمى وغيره من الوكالات  
والمظمات الدولية الأخرى •

والقومية حتى في حالة عودتها الى جذورها . ليست بالطبع رجعية وراثية أو وحنسية بسره . وفي الامكان الوفيين بينها وبين النزعة الدولية العالمية ، فهذه النزعة هي التي توحى بالقومية . ولا ريب في أن هذه القومية هي التي تضمن أن يكون النطور والقدم في العالم على نطاق علمي شامل .

ومن الطبيعي أن القومية تعود الى التحدث عن الجذور المشتركة عندما تكون القوى الانصالية العاملة على الجزئة قوية الى حد كبير . وقد يكون الاهتمام بالجذور أمرا تاريخيا . ولكنه لا يخلو من العمليه من ناحية أخرى ، لاسيما وأنه يخلق أساسا للاشتراك ووحدة الهدف . ويؤدي وجود لغات مختلفة ، نسعمل اسنعمالا فعليا في المناطق التي تمت الى بلد واحد ، الى الجزئة والتفرقة ، ما لم يحسرالنقاب عن وجود وحدة بعيدة الاعماق . وتعتبر هذه الوحدة البعيدة مدينة بسىء من وجودها الى الحقبعة الواقعة وهي ان الاقاليم المختلفة كانت تدار في الحقبعةالاستعمارية كبلد واحد (١) . ولكنها قد يركز ارتكازا أهم وأضخم على الوحدة الثقافية ، فالهدف الواحد أكثر أهمية بالنسبة الى القومية من الاصل الواحد والجذور التاريخية الواحدة (٢) .

والقومية الافريقية فكره نضالية . وان كانت لا تحمل طابع العدوان أو العصاب « التوفيني » . ولعل التحول من النزعة القبلية الى السرعة الافريقية الجامعه عن طريق الاقليمية ، هو تأكيد لهذا الرأى ولو كانت القومية الافريقية عدوانية أو عصابيةتوفينية لتوقت عندحدود الاقليمية وعلى صعيدها . ولا تتطلب اقومية خلق مجتمع مفلق غير متمتع وان كان من الطبيعي أن تنطوى على شيء من الاساطير. وهناك دائما

(١) من المعروف عن الاستعمار أنه نظام ذكى يتفنن التكيف طبعاً لظروفه الموضوعية التي يحتاجها للحفاظ على مصالحه ، فهو يتظاهر بالرافة المصطنعة أحيانا اذا كان فيها ما يحقق له غايابه ، يسا يلجأ الى التدة المعركة التي تلغ حدود الوحشية أحيانا أخرى اذا رأى فيها ما يضمن له الحفاظ على هذه المصالح . واذا كان قد اتبع في بعض أسحاء افريقيا سياسته الوحيد بين بعض الانظارالى لا تربطها جذور تاريخية مشتركةفانه قد اتبع في أنحاء أخرى ولاسيما في الوطن العربي سياسة التجزئة للوطن الواحد والشعب الواحد ليضمن الحفاظ على مصالحه عن طريق تفرقة الاحراء الواحدة من الوطن الواحد .

— العرب —

(٢) يخلط المؤلف هنا في تحديد مفومات القومية بين المفهوم المادى والمفهوم الروحي للقومية وتكون وحدة الهدف فعلا قوة فعالة عندما تكون مستندة الى جذور تاريخية واحدة اما عندما تنعدم هذه الجذور فانها لا تؤلف وحدها الاساس للوحدة القومية الا على سوء الاشتراك في المصالح المادية ليس الا .

— العرب —

عنصر من الاسطوره فى كل ثقافة ، وتعرض الفومية عندما يعالج موضوع الجنود التاريخية الى خطر الانطواء على سىء من الاساطير ، ولعل هذا هو السبب الذى دفع فينوها بهافان الهندى الى تحطيم ما قد سببه الجموح فى القومية من انعزاليه ومن نعصب ، عندما استبدل أسلوبه فى المحية من « حى الهد » الى « حى العالم » .

ولم يكن السوفيات بالطبع مفرقين الى العنايه بأحداث افريقيا وواقعا ، فلقد كانوا الى حد ما متوقعين لبعض هذه الاحداث بام التوقع . وقد طبعوا نظريتهم عن التطور ، نطبيعا مباشرا على قارتنا وتعلو أولى هاتين النظريتين بالمجتمعات ببما تنعلق النظرية النائية بالافراد، ونخطط النظرية الاولى لمجتمعنا ، طريقة من التطور ننقل بهذه المجتمعات انتقالا تقليديا كلاسبكي من الجماعات البدائية الى المجتمعات التى يسودها نظام الرق عبر سلسلة متلاحقة من الاقطاع والنظام الرأسمالى والاشتراكية ، وهى العقبان الموصلة الى فرايس الشيوعية وكان المؤرخون السوفيات مفكرين الى شىء من الجزم فى موضوع الدقة فى الانتقال من احدى هذه المراحل الى المرحلة التى تليها . ويلمح بعضهم تلميحا غامضا الى أن هذا الانتقال قد يتم بصورة سريعة ومتفاربة فى بعض الحالات ويقال سرحا لهذا رأى ان السلافيين الشرقيين انتقلوا فورا وبصورة مباشرة من مرحلة الجماعية البدائية الى مرحلة النظام الاقطاعى ، وبقال أيضا ان بعض المناطق المتخلفة فى الاتحاد السوفياتى نفسه قد انتقلت بسرعة انصاروخ . وعن طريق الاجراءات النورية من اليان الاقطاعى الى البناب الاستراكي لكن بعض المولعين بدقه الالفاظ يرفضون تقبل هذا الخروج على القاعدة ويصر حوكوف مثلا على النقيض من زميله جريكون على حمسة النسق الماركسى ، الليينى فى التحول من مرحلة الى مرحلة .

وتقول النظرية السوفياتية التطورية بالنسبة الى الانسان الفرد . أن الانسان يبدأ كمخلوق لا سلطان له على الظواهر الطبيعية ولذا فهو بفضى حياته فى فزع دائم منها . ويتمو مع الانسان - رغبة منه فى كبت ، هذا الفزع والتغلب عليه ان أمكنه ذلك - اعتقاد بالسحر والتسعوذة والسحرة والمنعوذين . وترفض هذه النظرية الدين على أنه فلسفة للسحر لاسيما وان هذا الدين نفسه ، يمر فى فترة تحول وانسلاخ انقلابى من الشرك الى الوحدانية ، وسرعان ما تتخلى النظرية أيضا عن المفاهيم المثالية للمجتمع والطبيعة ، كما تتخلى عن فكرة الوحي والنكسف الدينى لتأخذ بدلا منها بفكرة التحول الى « العقلانية » وهم يقولون أن « العقلانية » قضية مادية مجردة ولذا فانها تتناقض مع الدين كل التناقض . وقد تمبزت آراء السوفيات فى افريقيا بالتوجيه النابع عن موقفين .

يتحدوهم من هذه الغارة ، وأولهما موقف النظر اليهما كمجموعة من المجتمعات الوجودية التي تعترض عدة نواح مختلفة من الجدل الديالكتيكي الماركسي ، وبإيهما موقف النظر الى افريقيا على انها أثر فلسفي من آثار أوروبا . وقد طمقت نظريتنا التطور على افريقيا ضمن محوى الموقف الاول ، أما التوجيه بالنسبة الى الموقف الثاني ، فقد استمد ابعاده من آراء لينين في الاستعمار . واستخدم السوفييات مجهر التحليل النطوري في نظرهم الى افريقيا فرآوا انها تمثل مجموعة من المجتمعات لا تزال تعيش في القرن التاسع عشر وان كان النظام القبلي فيها قد سرع في التحلل والذبول . وعلى الرغم من ظهور جماعات من الاعنياء وأخرى من الفقراء الا ان هذه الجماعات لم ينظر اليها قط على انها تمثل طبقات منافسة اد أن النسئون الجماعية ظلت ويفا على تصرف الجماعات العسيرة ولم تكن هناك بالنسبة الى وجهات نظر السوفييات أية تنظيمات تحمل طابع الدولة وان كانوا قد أبدوا اعجابا منقطع النظير ببطولة شاكا ودنجان الاول لخلفه امبراطورية عسكرية موحدة والثاني للجهود التي بذلها في طريق ضمان مركزية الحكم وقد ادعى السوفييات أنهم يرون في هذه النذلات تحفيفا للبرنامج التطوري الماركسي - اللينيني وكان كل ما يجب على الناس في رأيهم أن بفعلوه هو أن يستكينوا ويستسلموا الى الاسترخاء وانتظار العملية الجدلية الديالكتيكية ، لسننرف فواها بنفسها اذ لم يكن الاسعمار ونا للاسف قد انقص على كل سىء أمامه وكأنه السر الجارح . وهكذا فان السوفيات يقولون بأن الاسعمار الاوروبى وسباسب الارص الاستعمارية قد تمكن عن طريق تقبب الجماعات ذات الاصل العرفى الواحد في أقاليم محزاة من التدخل بدخلا فعلا في عملية التطور الطبعي على الرغم مما فيها من حمية ومن هما يظهر ما لدى السوفييات من اطلام محير للفكر عند هذه النقطه بالذات اد انهم بدون وكأنهم يفكرون بأن الحكم الاسعمارى قد أدخل في الواقع الانتقال السريع من مرحلة الجماعات البدائية الى مرحلة النظام الاسعمارى المباشر متجاهلا كل التجاهل الهوى المضايق الديالكتيكية الواسعة التي تفصل بين المرحلتين . ولكن الا تفرض الاوضاع نفسها بين آونة وأخرى في أى مكان في العالم سرعة التطور ذاته ومداه ؟

ولقد عالج السوفييات في محاولتهم انقاذ ما يمكن انقاذه من البرنامج المرسوم لعملية التطور التاريخي المنجمدة وغير المتعجلة الذي اخنارته هذه العملية لنفسها ، نظام مزارعة الاراضى النقليدى في افريقيا ، وكأنه في مجموعته نظام اقطاعي ، على اعتبار ان هذا النظام الافريقى يبدو وكأنه يلجأ الى استخدام معاهيم التصرف والحق والالتزام بدل اصطلاحات البيع والشراء والعمل والاجور . وكان الحفاظ على منطق المتيخنة

العبلية . حافزا آخر دعا السوفيات الى اطلاق صفة الاقطاع على النظام التقليدى الافريقى . وكانت قوه الحافز على اطلاق العملية التطورية ، معونة بالطبع ، اذ انها هدت الى طمس معالم الاجحاف ابان الانتقال من مرحلة الى مرحلة وكان هذا الاجحاف يبدو لسوء الحظ بصورة دائمة ومستمره على الصعيد الاقتصادى وكان منطق المتسخة القبلية فى حد ذاته اقتصادى الصبغة . وهكذا كان فى امكان السوفيات عن طريق سمية النظام التقليدى بالاقطاع مع ما ضمنه هذه التسمية من فروق اقتصادية ان يخلوا الطبيعة الاقتصادية دون الطبيعة الدينية لنظام المتسخة القبلية وهكذا ظهر الشبوح على الفور مصدرا للشكفاء الاقتصادى الدائم والمستمر .

وهنا اصطدم السوفيات عند هذه النقطة بحقيفة مزعجة لهم كل الارعاج وهى قوة القوى التقليدية فى افريقيا ونحن عليهم أن يعرفوا بأن الزعيم العبل لم يكن الا أداة ذلك الحمار الضخم الذى يملأ الاقطاع ويمثل سلطه على الجماعات البدائية ، وتطلب هذا السبق فى التنظيم وفق النظرية الشيوعية السير جنبا الى جنب مع سبق مآل نحو الواقعية ونحو العقلانية . ولكن السوفيات يعرفون العقلانية فى حوض الاقتصاد . وقد انعكس السر فى طريق العقلانية الذى يملأ الاقطاع على الجماعات البدائية فى الانعكاس اكر من انعكاسه فى الطبيعة الدبسية وهى المنطق الذى يعتمد عليه الشيخ القبلى فى تنبئ سلطانه .

وقد رأى السوفيات الاهمية المسمرة للشيخ كجزء من القوى التقليدية الباقية ولكنهم فى الوقت نفسه شكوا فى أن يكون الاستعمار هو الذى دعم مركز الشيوخ عن قصد وعمد لخدمة أهدافه وغاياته . ولا سيما فى أفريقيا البريطانية التى ظل سلطان الشيوخ فيها أقوى منه فى المستعمرات الفرنسية أو البرتغالية أو الأسبانية أو البلجيكية . وقد منعت جميع هذه الدول المستعمرة باستثناء بريطانيا بحكم مستعمراتها فى أفريقيا حكما مباشرا . أما البريطانيون فقد هدنهم حاسة الشم عن طريق أنوفهم الحساسة والبارزة الى وجوب المكر فى أحداث التبدل ، فأخترعوا طريقة الحكم المباشر عن طريق الشيوخ العبلين المحليين (١)

(١) ليست هذه الطريقة التى أسكرها الاسلحير فى افريقيا ، والى لها السوفيات بالحديدة عليهم فقد طبقوها فى البلاد العربية التى حكموها ، كما طبقوها فى الهند ، ممثلة فى ملوك العرب وأمرائهم وسلاطيمهم ومشايخهم ومراجان الهند وأمرائها . وقد على الاسلحير فى تطبيق هذه الطريقة الى درجة « اختراع » الشيوخ والأمراء ، حيث لم يكن لهم وجود ، كما حدث فى العراق عن طريق توزيع الاراضى الاميرية عليهم ليصبحوا سادة اقطاميين يمتلئون الدمى و أبديهم أو كما عملوا فى سلطانات وامارات الخليج والجنوب العربيين .

وهكذا بدلا من أن يسننقوا طافاهم فى مفارعة العوى النفليدية العميفة  
الجدور أخذوا يستخدمون هذه العوى لمصلحتهم ويسخرونها فى خدمتهم  
وبرجع الفصل فى هذا الموقف الذى وفوه الى عقلائهم من علماء الأجناس  
البشرية الاجتماعيين وبينهم بالطبع راترى • وقد استغل لوجارد اكتشافا  
اجتماعيا فى هذا العلم كل الاستغلال ولم بغال السوفيات كل الغلو فى  
تقديرهم للدعم الحقى الذى قدمه بريطانيا فى مستعمراتها الافريقية  
لنظام المسيخة القبليه ، وان كانوا قد قللوا من أهميته نظرا لاعتقادهم  
بأن ما فى المواقف الدينية التى تتركز اليها أفريقيا التقليدية القديمة من  
تعميد يحتل مكانة ارفع وأعلى فى ايضاح القوى الاجتماعية المحركة  
للسيوخ القبليين ، وقد أبرزوا كأمثلة على رأسهم هذا حكم الامراء فى  
نيجيريا الشماليه وحكومة هوبهوى - بوينى فى ساحل العاج •

ولم تكن القوى التقليدية هى التى استفزت السوفيات وحدهم  
واسننارت غضبهم وانما اسننارت أيضا عقول الصينيين الذين استفزتهم  
كذلك الطبقات الافريقية المثقفة وسببت لهم الكثير من القلق فصحيح أن  
التناقضات الذاتية الداخلية فى صفوف الرأسماليين والاستعماريين قد  
أوضحت نفسها فى المستعمرات وكشفت عن سريرتها فى الصراعات التى  
قامت بين الدول الاستعمارية وكان من المتوقع أن نعصف بالاستعمار  
وفواه ، ولكن السوفيات رأوا فى هذا الصدد أن من واجب الثورات  
نفسها أن تساعد على سير العملية التطورية وأن نمضى بها • ولا ريب  
فى أن السوفيات رأوا فى هذا الصدد أن من واجب الثورات نفسها أن  
تساعد على سير العملية التطورية وأن نمضى بها • ولا ريب فى أن  
السوفيات قد أبرزوا ونسوة العرج تغمر نفوسهم الصراعات التى قامت  
بين الدول الاستعمارية على الرغم من مؤتمر برلين - الذى قرر اقتسام  
أفريقيا بين الدول الرأسمالية كما أبرزوا الجهود التى بذلتها الولايات  
المتحدة الأمريكية لاحباط متسارع الفرنسيين عند اعلان استقلال ليبيريا  
فى نهاية القرن التاسع عشر •

وكانت الفكرة السائدة أن التحرر الوطنى لا يمكن أن يتحقق  
بالطرق السلمية المسروعة (١) وليس نمة من شك فى أن صدمة هذه

---

(١) يبدو أن المؤلف ميل الى سياسة الصال السلمى التى اتبعها غاندى فى تحرير  
الهند ولكنى أرى أن الظروف الدولية وخروج بريطانيا من الحرب الكوبية الثانية وهى  
أقرب الى الهزيمة على الرغم من انتصارها هى التى أرغمتها على منح الهند استقلالها •  
كما أن التحارب الى مرت بها حروب التحرير فى أفريقيا وآسيا قد أثبتت أن الاستعمار  
لايستسلم بسهولة وأن الكفاح ضده لابد وأن يتسم بطابع العنف •

الفكرة عنده أولا وقبل كل شيء على المستوى الفعلي للعابون في أية منطقة من المناطق فهناك أساليب مشروعة للإثارة وخلق الهياج . وإن لم تكن هذه الأساليب بحكم الضرورة قانونية ، فالعصيان المدني مثلا مشروع ، وعلى الرغم من أن العابون قد سمح به في إفريقيا البريطانية إلا أنه كان محالاً للعابون في جميع المستعمرات البرنغالية والاسبانية والبلجيكية في أفريقيا ولا ريب في أن حكومه اتحاد جنوب أفريقيا لم تسن قانون مكافحة الشيوعية إلا بقصد مقارعة هذا الأسلوب النضالي وكان السوفييات يرون أن الثورة الانجابية بمعناها العسكرية هي خير سبيل النضال بل ولعلها في رأيهم السبيل الجوهرى له . ولكن هذه الفكرة لم تعد الرأى الذى يصير عليه السوفييات الآن ، وقد نفاها حروسوف بقيا فاطعا في الآونة الأخيرة . .

ومازال العالم الشيوعى يؤمن بما في المورات البورجوازية من مكر وإفسار الى الاستقرار وهم يعنون بهذا الاصطلاح المورات ، التى نعلن من على منبر مؤتمر مائدة مستديرة . وليس ممة من بنسك في أن الهياد البورجوازية لأية ثورة وطنية قادره على أن نسرق الثورة وعلى أن نحرمها من الاستقرار ولكن اعتبار هذا الاحتمال ، الذى قد يقع أو لا يقع أساسا لمعاداة هذه الثورة هو نعصب حنوبى لفكرة خاطئة . واصرار السوفييات على أن الطبقات العاملة وحدها في أى مجمع من المجمعيات هي المخلصة للتحرر الوطنى وهى القادره دون غيرها على السير بهذا التحرر اصرارا برنبط بسوء فهم السوفييات لاحتمالات المورات وامكاناتها . ولست أسك في أن أية ثورة سياسية في أفريقيا لن يكتب لها النجاح دون تأييد العمال لها ، ولكن العمال ليسوا وحدهم العنصر النورى أو الثورة كلها . وقد أودع لينين آراءه في احتمالات المورات وامكاناتها في كتاباته عن الموميات وسياسنها . فلقد أوضح في هذه الآراء أن الثورة هي ثورة البروليتاراة العالمية وحدها ، وبص على وجوب فمع الأمنى القومية عندما تفق موقف المعارضة مع حاجات الثورة البروليتاراة العالمية كما وقع في المجر مثلا . ونصت آراؤه أيضا على أن من واجب المفاهيم القومية أن تستعيض بالعمليات السياسية عن النواشز العنصرية واللغوية وكانت ثمرة مفاهيم لينين هذه الشعار الذى رفعه ستالين في عام ١٩٢٣ . « انشتراكى المحتوى وطنى النسل » .

وهكذا نرى أن السياسات السوفياتية تجاه الحركات الافريقية الوطنية وحركة الوحدة الافريقية لم تكن مستقرة او ثابتة تمام النبات فلقد رحب السوفيات مثلا بكل حركة تؤدي الى تحطيم قبضة الاستعمار على اعتبار ان هذه الحركة ستعمل على نقوبض نفوذ الرأسمالية وسلطانها . او انها ستكون على الاقل نقطة وبوب مثالية في معركة هزم



الرأسمالية والانتصار عليها . ومن هنا كان ابطال الحركات الوطنية وقادتها بظهورون في بعض الاحيان وكأنهم يمتلكون ادوارا لا تكاد تصدق . ولكن السوفيات سرعان ما عثروا على الطريقة التي يعززون انفسهم بها وهي أن هذه الادوار مهمة على أى حال . لكن نحول الطاقات الافريقية نحو الوحدة الافريقية الجامعة ، لم يكن لعجب السوفيات ابدا كما انه لم يعجب الغرب اطلاقا ، فالسوفيات يرون في هذا التحول نزعة تمثل خطر القفر فوق اخذود الثورة البروليتارية العالمية بدلا من المضي في اداء المهمة الاساسية وهي ازالة ما للرأسمالية والاستعمار من سلطان في كل مكان . ومن هذا المنطلق مال السوفيات الى النظر الى حركة الوحدة الافريقية بعين الخيال الرومانطيقى لانهم كانوا دائما اكثر اهتماما بتصفية الغرب وقواعده منهم باعادة بناء افريقيا وتقدمها . اما الغرب فيرى في حركة الوحدة الافريقية شيئا رهيبا اذ ان قيام افريقيا موحدة يؤلف خطرا اقتصاديا مباشرا على مصالحه بينما يؤدي وجود افريقيا مجزأة الى اضعاف نفسها تلقائيا عن طريق التنافس على ود الغرب ومساعدته .

وانا أرى في سياسة لينين عن القوميات محاولة حفيضة لتوسيع ما ينطبق على ائلالاد كبلاد ، وتحويله الى طابع الشمول على أساس طبقه على صعيد عالمي . فهناك امبراطوريات متعددة القوميات . وهناك جامعات للتسعوب متعددة القوميات ايضا كما ان هناك احلافا أو عائدات متعددة القوميات ولكن ليس بمة دولة واحدة متعددة القوميات، وانما هناك دول قومية ليس الا (١) ولا ريب في ان محاوله اعسار

(١) أعتقد أن المؤلف قد عالى في اطلاق هذا المصميم فالاحاد السوفياتي نفسه مثل على وجود الدولة المعدة القوميات اد أن فيه بالاصافه الى الشعب الروسى عدة شعوب اخرى محله القوميات كالاوكرائيس والروس السيص والعوراي والتشار والتركس والارمن والتركمان والحورجيين والمغول ، وكانوا كلهم حاصمين للامراطوريه الروسيه في عهد القيصرية ثم أصبحوا في نطاق الاتحاد السوفياتي بعد الثورة الشيوعيه وقد يقال ان العقيدة الشيوعيه هي التي تجمعهم في دولة واحدة ، ولكن هذا القول يظل عديم البرى أن القوميات الاخرى الى دانت بالشيوعيه بعد الحرب الكويه الثانية لم تظم الى الاتحاد السوفياتي وانما ظلت جمهوريات اشراكية قائمه بذاتها وان شدتها الى الاتحاد السوفياتي سياسة واحدة هي سياسته الحجه الاشتراكية وسواء اصح مايعوله العرب من ان القوميات النامعه للاتحاد السوفياتي هي في حكم الشعوب المستعمرة أو صبح مايعوله الاتحاد السوفياتي من أن هذه القوميات انصهرت في بوتقة المصلحة المادي المشتركه وارتضت نواقع المشاركة في الحكم التمثل في الاتحاد السوفياتي كدولة معدة القوميات فان الشيء الثالث والمؤكد أن الاتحاد السوفياتي دولة متعددة القوميات كما أن الولايات المتحدة تضم قوميات عدة انصهرت في بوتقة الدولة الواحدة وهاصح يرى أيضا أن فكرة قيام ولايات متحدة أوروبية بضم عدة قوميات آحدة في المو ، ولعل السوق الأوروبية المشتركة هي أول مظهر عملي من مظاهرها ، بالنظر الى قوة العامل الاقتصادي في تكريس الوحدات الدولية .

— العرب —

الاقليات الصغيرة داخل اية دولة من الدول كجماعه قوميه حيانه لاساس الدولة وفكرتها ، وكانت هذه هي المحاولة التي قام بها فرنسا في الجزائر لتتبيب اقدامها كما انها هي السبب في فشل بريطانيا في تسديد قبضتها على كينيا وروديسا السمالية وجنوب روديسيا وكذلك في معالجه مشاكل المستوطنين في مستعمراتها .

وقد بانث معظم ارجاء العارة الافريقية مستقلة الآن من الناحية السياسية وقد بات لديها احساس معين بالرغبة في المبادرة في القضايا السياسية المجردة ، ولكن عندما تكون للعصا السياسية نأثرها الخطر على الآمال الانصاادية فان السياسية لا نعكس في مثل هذه الحالة ، الاستقلال الكامل . وصبح في وسع الانسان ان يعلق الكثر من الاهمية على الابتسامات الودودة التي يعايل بها في خارج افريقيا . ولقد كان من التائع في افريقيا ان عمور العالم باسره ينظر الى فارنا . وكانت بمره هذه النظرة من الناحية العملية، انها جردنها من الاخلاص والائزان فعيور العالم كله لسبب مركزة على افريقيا ، ولو بمكنا من بحول عيور الافريس الى بلادهم ، ونوقفنا عن عمد المقارنات النى لا اساس لها مع الفارات الاخرى . فان المعجرة الافريقية تتحقق حتما . ولا يمكن لاستقلال افريقيا ان يعتبر سيئا مهما الا اذا كانت افريقيا مركزية في عملها . وفي الصورة الداببة التي نفلها لنفسها .

## بعض أنصرتيا

المشاكل الاقتصادية - الموارد الاقتصادية - فضائل الوحدة الإفريقية -  
- المشاكل السياسية - الحزب الثوري - الاماني المتشابهة - مشاكل  
الحكم - دور المثقفين - الجياد - جامعة الشعوب البريطانية - الثورة  
والاخلاق - أهداف التربية والتعليم - نهضة افريقيا - شعار الوحدة  
الإفريقية .

من حق افريقيا أن تشكر الأيام لأنها حبّتها بأشياء كثيرة . فعليها  
أن تحمد وتشكر . لأن نجارة الرقيق قد الفيت في النهاية . بعد أن  
نوطدت أقدامها ، وعليها أن تحمد لأن المدارس قد اقيمت فيها ، ولأن  
سبل التعلم قد بوافرت لها ، ولأنها زودت بمعاهد الطب العلمي  
ومعاهد الزراعة العلمية ومكافحة الاوبئة والحشرات ، وعليها أن تشكر  
للعثائن التستيرية ما قام به من اعمال في ميادين التشير بالمسحة،  
والاصلاح والتربية والتعليم والطب ، وان تحمد للمكتشمين والجوابين  
كشعهم لمجاهل فاربهم وخفائها ، وعملهم على ربط اجزائها بشبكات  
واسعة من طرق المواصلات ، ولوظفى الحكومات المختلفة نكرانهم الذات  
في ادائهم اعمالهم الادارية (١) .

لكن هذا التعبير عن الاعتراف بالجميل يجب أن لا يوحى بأن  
«الوجود» الاوروى في افريقيا لم يكن الا لخدمة افريقيا نفسها  
ويجب أن لا نسمى هذا الشعور بالحمد اعبننا عن الحفقة الواقعة، وهي  
أن بعض المشاكل التي نواجهها افريقيا اليوم ليسب الا نمرات لانصالتها  
بأوروبا . وتنبع كثر من هذه المشاكل من الافتقار الى التخطيط ، ومن

---

(١) انا أختلف مع المؤلف كل الاختلاف ، في هذه العاير عن التكر والامراف  
بالجميل حتى وان كان بن في العراب التالية جميعه الأهداف التي حملت الاوروى على أن  
يفعلوا هذه الاعمال الى يرى المؤلف أنها حديرة شكره . فلا يمكن للانسان أن يشكر على  
عمل ، هدفه منه تحقيق مصالحه هو ، حتى وان عاد هذا العمل بعض العائدة على الآخرين  
وليس تمة من يكر أن كل مافعله الاستعمار في افريقيا هو لخدمة مصالحه لا لخدمة  
الافريقيين .

الافتقار الى انه جدية في تناول فبم النظم الافريقية الخاصة بها . ويرى الافريقيون ان موقف أوروبا من قارتهم كان موقفا معوره الدراسه . بل موقف الهواة المقتدر الى القواعد والمبادئ ، لا سيما وهم يرون أن أوروبا قد حملت اليهم الآراء العنصرية .

وقد كيف الاستعماران البريطانى والفرنسى نفسيهما كبيرا ، نجابوا منهما مع النظرية الاقتصادية عن الانسان ، فتأخر الدولتين الاستعماريتين في اعطاء الاستقلال للجزائر وكينيا ، انما نجم عن دوافع ومخاوف اقتصادية . تلخص في الخوف من انزعاع الملكيات من الاقلبات البيضاء . عن طريق حصول الاغليات الافريقية على حق الاقتراع . وقد يكون من الضروري عند حصول هذين البلدين على استقلالهما اجراء اعاده توزيع للمواد الطبيعية ، اذ ان هذا الاجراء ، هو السبيل الوحيد لتحقيق شئ من العدالة الاجتماعية التى لا وجود لها في هذين البلدين . وكل ما هنالك ، هو أن يسعى الساسة في هذين البلدين الى شراء استقلالهما عن طريق التمهيد بمنح التعويضات الكافية في حالة تعديل التوزيع الذى يعنى انزعاع الملكيات من الاقلبات البيضاء (١) .

ويعتمد مستقبل افريقيا على حاضرها ، وليس الحاضر الا مرة من تمار الماضى ، ويود المرء ان يربط بالحاضر نتيجة العمل القائمة من جراء الامتراج بين قوى افريقيا التقليدية القديمة وبين القوى التى ادى الاتصال مع أوروبا الى اطلاقها من عقالها على قارنا . ومن واجب الاسنان أن يوضح بنىء من التفصيل البفسافة الى كانت أوروبا على اتصال بها ، حتى يستطيع أن يقدم الصورة الحقة للمشاكل التى تواجهها . والصورة الحقة هى التى تمكننا من تشخيص العلة تشخيصا صحيحا ، وأنداك تكون وصفة العلاج التى نضعها على ضوء هذا التشخيص الفرصة الصالحة للنجاح في العلاج .

وتتلاحم موارد افريقيا الطبيعية مع مساكلها تلاحما ويني الونائج وبعض هذه المتساك ذاتى الوجود أى قائمه في قلب افريقيا ، وبعضها وصفى ، أى لا علاقه له بجوهر الوجود . ووجد المتساك الوصفية في ذلك الطرار من التبدلات التى تواجهها افريقيا اليوم . وفي سرعة

---

(١) اختلف مع المؤلف فى حديثه عن شراء الاستقلال والاستقلال يؤخذ ولا يعطى ولم تنتشر الحرائر استقلالها بصمات يصورها أنماؤها لشح التعويضات الكافية الى المستوطنين كما يقول المؤلف وإنما اشترتها بالدماء الركية دماء شهدائها الأبرار ، الذين فاق عددهم اللبوء ، وبعد كمح استغرق سبع سواب أو يزيد ، ويطبق هذا القول أيضا من كينيا التى جاهدت طويلا وصحت بالوف الأرواح من أنائها للحصول على 'الاستقلال' .

هذه التبدلات وغذ سرها . وقد اجتذبت مشاكل النبدل أو النحول في افريقيا عناية علماء الاجتماع . وعلماء الاجناس البشرية ، ورجال التربية والاطباء وعلماء النفس والاطباء النفسيين والمرضات والكنائس والحكومات ورجال الادارة ، ونظهر أعراض الانتكاسات المؤلمة الناجمة عن هذه التبدلات بصورة طبيعية ، عن طريق الثقافات الاقربفة المحلية، وما لم يعم المرء بتحليل هذه الاعراض تحليلًا صحيحًا ، فان عمله لا يقوم ولا يمكن ان يقوم على اساس صحيحة . وما لم تعتبر التفافات التقلدية القديمة التي ما زالت مؤثرة فعالة ، مؤثرات بابتة ومستمرة فان التقدم الذي نبنيه يقدو محدودا ملتويا ، بدلا من ان يكون معقولا ومستمرًا .

ويمكن تصنيف المشاكل الناجمة عن هذه التبدلات في عدة فئات : منها الاقتصادية ومنها السياسية والاجتماعية والتربوية . ويعتمد تقدم افريقيا على قدرتها على فهم مشاكلها هذه وعلى معالجتها علاجة صحيحة .

ولقد ترك أوروبا بالاضافة الى ادخالها الى القارة الافريقية احتمالات جديدة في مجالات الاقتصاد والسياسة والتنظيم الاجتماعي ، والتربية والتعليم ، آتارا نفسيخية مؤثرة . وقد جاء هذا التسيخ مع الدبانة المسيحية ومع الاقتصاد الاوروبى ، وانظمة المواصلات وقوانين أوروبا وأبطمه الحكم فيها . فالدبانه المسيحية باصرارها على محاسبه الفرد امام ضميره وامام الله . تركت في افريقيا آرا نفسيخا يؤدى الى بصدعها ، وأدى التنظيم الاقتصاى الاوروبى بربطه بين الاجر والجهد الفردى ، وظهر الطرّف والسكك الحديدية والمواصلات المائية والهوائية . وانساع مدى الاتصال بين الناس وسرعته ومعدل الاتصال الثقافى وما لحق به من تبدل ، وحتند مجموعة من القبائل في وحده اداريه اقليمية واحده وخلق فرص الهجرة من مكان الى آخر الى آتاريفسيخمه فككت التنظيمات العائلية والعشيرة عند الافريقين . وأدى ادخال نظام كسب الاجور على اساس النشاط وحده ، الى البدخل في ابرشائخ التقلدية القائمة في الحياة العائليه والى ايجاد الفرق بين العمل والملكية، وادت الهجرات سعيًا وراء الاجور الى ايهان الروابط العائليه ، كما ادت الى تزايد اجراءات تعدد الزوجات لان الازواج لا يستصحبون زوجاتهم معهم في رحلاتهم سعيًا وراء الاجور واكتساب الرزق .

ويرجع التنوع في المشاكل في افريقيا حتى بعد نصنفها في فئاتها المختلفه الى حد كبير الى الفروق في السياسات التي انبعتها الدول الاستعمارية في مستعمراتها ، واعنى بها بريطانيا التي كانت بسطرىلى نحو من أربعة ملايين مل مربع من الاراضى ، وفرنسا التي كانت بسطرى

على مثل هذه المساحة ، وبلجيكا الى تسطر على مليون ميل مربع والبرفال التي تبلغ مساحة مستعمراتها سبعمائة وخمسين الف ميل مربع واسبانيا التي تسطر على مائة وسبعين ألف ميل . وكانت الساسه البريطانية قد انجحت منذ ايام ماكولى (١) نحو ضمان الاستقلال لمستعمراتها على الرغم من ان السير في هذا الاتجاه كان بطيئا كل البطء (٢) وكانت الفكرة تقوم في زراعة الحضارة البريطانية في افريقيا عن طريق تطعيمها في ثقافات افريقيا ونقابلدها ولغاتها وعقائدها ان كان ذلك ممكنا . أما فرنسا فقد انعت سياسة تتعارض مع هذه السياسة معارضا قطريا وعكسيا ، إذ آمنت بايجاد شكل مركزي من اشكال الحكم الاستعماري ، ولم تسجع فرنسا نظام الميخات القبلية ، اذ انها لم ير دورا يستطيع التسويع أن يؤدوه في عملية دمج المستعمرات بها وكاتب يرى أن رعاياها يمكن أن يصنعوا في شئين : فئة الصفوة المختارة ، وفئة الجماعات «البلدية» من اهل البلاد . وكانت تدأب على تقييد أفراد الفئة الاولى بالثقافة الفرنسية . ونعلمهم على عاداتها واساليب حياتها لبغدوا فرنسيين قلبا وقالبا . أما ابناء البلد فلم يكونوا يتلفون الا سكلا خفيا من اشكال التعليم الاولى ، في مدارس اقرب الى «الكتائب» منها الى المدارس . ومن هذا يبدو بجلاء ان الفرنسيين آمنوا بسياسة الاقتباس أى وضع الامور كلها على اساس قياس واحد معين ، بينما لم يؤمن البريطانيون بهذه السياسة اطلاقا . وابع البلجيكون خطأ لا يختلف عن الخط الفرنسي ، بشيئهم بين الصفوة المختارة وابناء البلد ، وأن اختلفوا عنه في أنهم كانوا يرون في ممتلكاتهم الافريضة مجرد شيء يملكونه . ولم تساورهم الفكرة التي ساورت الفرنسيين في ان يدمجوا مستعمراتهم ببلادهم فرنسا ،

---

(١) اللورد توماس ماكولى (Thomas macaulay ١٨٠٠ - ١٨٥٩ ) مؤرخ وسياسي بريطاني معروف درس في كلية ترينيتي في جامعة كامبردج . شرع يكتب في صحيفة «أدنبرة ديفيو» ثم انتخب نائبا في البرلمان في عام ١٨٣٠ ، عين عضوا في مجلس الهند الاعلى حيث اشترك في اعداد قانون الحزاء الهندي . عاد الى بلاده بعد خمس سنوات ثم انتخب نائبا واصبح وزيرا للحربية في عام ١٨٣٩ ، أهم كُتبه « تاريخ إنجلترا » .

(٢) اختلف كل الاختلاف مع المؤلف في قوله هذا . فقد عرف عن بريطانيا في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين انها كانت زعيمة جبهة الدول الاستعمارية وكانت دائبة السعى لتوسيع امبراطوريتها الاستعمارية لا في افريقيا وحدها بل وفي آسيا ايضا ، ولقد كان استعمار بريطانيا لمصر والسودان في هذه الاونة كما كان استعمارها لأجزاء كيرة من الوطن العربي بعد عهد ماكولى كثير . ومن هنا لا يحوز بطلنا القول بان بريطانيا فكرت في منح الاستقلال لمستعمراتها منذ ايام ماكولى ، وذلك لانها كانت طيلة هذه المدة دائمة التفكير في توسيع امبراطوريتها الاستعمارية .

- العرب -

ولا الفكرة التى ساورت البريطانيين فى ان تقف هذه المستعمرات على اقدمها فى وقت بعيد . ولم يكن هناك فى المستعمرات البلجيكية أى تعليم بعد حدود التعليم الاولى . أما البريغاليون والاسبان فقد رأوا بعين انظمتهم الحاكمة فى بلادهم ، فى المستعمرات الافريقية مجرد مواد طبيعية وأولية يستغلونها بشئ من التجرد عن الانسانية ، بل وبشيء من الوحشية تماما كما يستغلون اية مواد طبيعية تقع فى متناول ايديهم . وينطبق هذا الوصف الاخر على الالماء عندما كانت بلادهم فى عداد الدول التى تسعمر افريقيا .

وتمتس هذه الفروق فى مواقف الدول الاوروبية الاستعمارية من افريقيا اليوم فى المشاكل التى نواجهها القارة فى عملية تحولها الجديدة بكل ما فى هذه المشاكل من خطوره ومعقدات .

ولا يقوم السبب فى ان افريقيا قد استغلت بصورة مفاجئة ، لتجد نفسها متقلبة بأعباء المشاكل التى لم تفكر من قبل حتى فى رسم أى مخطط لها ، فى جذور السياسات الاستعمارية واعماقها ، اذ على الرغم من ميثاق الاطلسى بنقاطه النماى (١) وهو الميثاق الذى وقعته بريطانيا وأعلنت عزمها على تطبيقه بالنسبة الى افريقيا ، فان التكهنتات حتى عند أصدق العارفين ، لم تكن تتوقع حلول استقلال افريقيا قبل مضي ستين عاما أو مائة عام على الأقل . وانى لاذكر مقالا نشرته صحيفة « تايم اند باند » فى عددها الصادر فى العاشر من فبراير عام ١٩٤٠ ، عن « مستقبل المستعمرات » عرض فيه كاتبه نبوءة سيقف صدور ميثاق الاطلسى ، واعلن ، وهو الدكتور ديليو . بى ممفورد ، ان مشروعا يوضع لمنح المستعمرات استقلالها فى غضون ستين عاما . ولم تتوقع اللجنة الامريكية لسنون افريقيا التى عقدت جلساتها فى عام ١٩٤٢ ، لدراسة أهداف الحرب والسلام ، ان يحصل الجيل الذى ينتمى اليه امثال قوامى نكروما وآكو ادجيبى وروسى لوهى وابانجا أودوا كابو ، الذين قدموا اليها المذكرات باسم بلادهم غانا وسيراليون ونيجيريا على استقلال افريقيا ، وحريتها ، او حتى ان يطالبوا بهذا الاستقلال .

وبحدث ماجيرى بيرهام فى سلسلة مقالات نشرتها فى صحيفة «التايمز» اللندنية فى عام ١٩٤٢ تحت عنوان « امريكا والامبراطورية »

---

(١) ميثاق الاطلسى ، هو البيان الذى اصدره كل من تشرشل وروفلت ايان الحرب الكونية الثانية فى آب عام ١٩٤١ ان اجتماعهما على بارحه فى المحيط الاطلسى ، وقد تضمن الميثاق ثمانية مبادئ أهمها تلك التى تمنح حق الشعوب كلها فى تقرير مصيرها .  
- العرب -

عن الاحطار التى قد سجم عن سوء فهم امريكا لنوانا بربطانسا . وعن الحاجة الى تجديد هذه الدوانا واضاحها ففالت .

« أكثرنا علينا أن نأمل فى طلوع صوت من هذه البلاد ، يحمل طابع العياده يعلن للعالم خطه صريحة وواضحة عن التقدم الذى بفيه والذى يجب أن يستهوى رجل السارع فى برطانيا وفى المستعمرات . ويدعوه الى العمل مع اخوانه هنا وهناك فى معاون وتبقى لتحقيق هذا التقدم ؟ هناك مصاعب واخطار فى اعلان الخطط وأذاعتها . اما اليوم فهناك مصاعب واخطار فى عدم اعلانها . فمن السهل أن نفهم هذه اللغة التى نقرحها فى امريكا ، وان نعمل على كسب ذلك النعاون الكامل الذى يتعدى بدونه توقع أى استعاده لممتلكاتنا الضائعة ، أو ضمان مستفيل امبراطوريتنا وجامعة شعوبنا ورحائنا . وقد يطلق البعض على اقوالى هذه صفة الانهزامية ، لكنها واقعية لا انهزامية ، ان نعرف بالتضييق النسبى لحدود مركزنا العالمى ، وهو تضيق يختلف كل الاختلاف عن تدهورنا الكلى المطلق . وسيكون مركزنا أقوى وأشد اذا نقلنا مواقفنا من الدعائم غير السلمة الى اخرى سلمة وبابته » .

ومن المحتمل انه كانت هناك اوضاع ثلاثة مكنت حملات الاناره السياسيه لتحقيق استقلال افريقيا من النجاح ، وكانت حيازة بعض الدول الاوروبية ، وبينها دول ضعفة بالطبع كالبرنغال واسبانيا لمستعمرات فى القارة الافريقية ، مع حرمان بعض الدول القوية جدا كالملا ملا منها ، حافزا دائما للحرب وشنها . ولقد أشار مالىنفوسكى الى أن الرحف على أفريقيا بعد الثورة الصناعية فى أوروبا لم يكن بالشئ العارض الذى لامسبب له . فقد أتاح هذا الزحف لأوروبا فرصة السيطرة على موارد افريقيا وعلى الأبدى العاملة الرخيصة فيها . ولقد لقيت أوروبا فى رحفها هذا العون والمساعدة من الأمريكبين المتشبعين بالحرص على المصالح المالية والتجارية . وفى وسعنا أن نضرب مثلا بالكونجو ، اذ لولا العون الأمريكى لما تمكن لوبولد ملك بلجيكا من وضع هذه المستعمرة فى جيبه ، ولقد عثرت أوروبا فى افريقيا ، على مصدر ضخيم للموارد الأولية ، وعلى سوق مستسلم لتصريف منتجاتها ، ولم يكن فى وسع ألمانيا ان تسمح بعد الحرب الكونية الاولى بصياغ نصيبها فى هذه المستعمرات ، وان يستمر هذا الضياغ . وبدأ حل الامراطوريات كحل بديل عن الزحف الجديد على افريقيا . يضاف الى هذا ان الامراطوريات كانت اوسع بكثير من أن تتمكن صاحباتها من الدفاع عنها فى وقت واحد .



ولقد اوضحنا في مكان سابق ، ظهور روسيا كدولة عالمية جديدة وكقوة غربية بالنسبة الى الغرب . أما تأثر امريكا على الدول صاحبة الامبراطوريات فلم يكن يختلف كثيرا في الواقع عن موقف الروس . ولا ريب في أن نجاح العرب في الفصل بين الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي يجب أن يعتبر بحكم الطبيعة والواقع حافزا كيميائيا يحلل الموقف السياسي نفسه .

أما وقد تحقق لافريقيا الآن استقلالها السياسي ، بكل ما يصاحب هذا الاستقلال من مشاكل يمكن تصنيفها لمشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية ودينية ، فقد بات لزاما عليها أن تقرر ما يصنع بهذه المشاكل ، والطريقة التي تعالجها بها .

ولقد كانت بعض المشاكل الاقتصادية بمرحلة عارضة لتحول المناطعات والاقليم بصورة تفجيرية الى دول ذات سيادة . وفي وسعنا أن نحسب المشاكل الاقتصادية اللازمة لعملية التمدن ، أي الاسكان في المدن ، من ضمن هذه المشاكل ففي افريقيا لم تكن عملية التحول الى المدن مصحوبة دائما وبصورة عامة بالتصنيع أما في غرب افريقيا فقد كان التصنيع دائما سببا من اسباب التحول الى المدن . وقد ادى الافتقار الى هذه الصلة في افريقيا الى اثاره قضايا متعددة عن طاقة المدن الاقتصادية في تأمين الحياة لاعداد من السكان تتزايد باستمرار . ولقد اتيح لكثيرين من النازحين الى المدن أن يكسبوا المال ، وأن يحولوه الى القرى التي ينتمون اليها . وهذا يعني أن جزءا فقط من دخولهم أو مكاسبهم على الاصح ، تتوفر لحاجاتهم الفورية في المدن التي انتقلوا اليها . وكثرا ما يفهم هؤلاء النازحون في اطراف المدن الكبيرة وفي مساكن متناهية في الفقر والوضاعة . وأدى انتشار التعليم في افريقيا أيضا الى التحول الى حياة المدن كعامل من العوامل الرئيسية فيه ، فهناك الفروق الشاسعة في مستويات العيش بين المناطق المدنية والريفية ، وهناك ايضا ما يحفز اليه التعليم من اثار للحياة الاولى أي في المدن وأدى انخفاض عدد السكان في افريقيا مصحوبا بالاساليب البدائية في أعمال الزراعة وصيد الاسماك ، الى خفض الوفور الفائضة من المواد الغذائية التي يمكن تزويد المدن والبلدان الكبيرة بها . ومن هنا نشأ وضع مضحك في افريقيا كل الاضحك ، وهو انها في أمس الحاجة في كل وقت الى استيراد المواد الغذائية من الخارج .

ومن الصحيح ، أن النشاط الاقتصادي في افريقيا قد ازداد زيادة هائلة وعجيبة في عهود ضياع الاستقلال ، ولكن تركيب هذا النشاط كان عجيبا وملئًا بالمفارقات وقد اعتصرت جهود ارباب الحرف

في افريقيا في هذه العهود كل العصر ، اذ على الرغم من ان السكان في افريقيا ، قد باتوا اكر استفارارا بل وأوفر عددا ، الا ان منتجات حرقهم هذه لم تحظ بأي تمدد معقول في أسواق التصريف . فلقد كان هناك من يعملون في حياكة الملابس وصناعة الغزل ، وصنع المنسوجات وحلج الاوطان ، وتصميم الابنية ، ومقاولة البناء وصياغة الذهب والفضة والخداده ، وصناعة الارائك والخزف وصيد الاسماك والزراعة . وقد انضم الآن الى صانعي الارائك عدد كبير من النجارين والمنجدين الذين يحطون بأسواق داخلية واسعة ومزدهرة . ونحظى صناعة الذهب والفضة ايضا بأسواق مماثلة . أما حياكة الثياب ، فقد افلحوا ، بتركيز نشاطهم على الانواع الاكثر جودة وبذخا من القماش ، في تحديد الاسعار العالية التي يريدونها . وحمل الاوروبيون الى افريقيا سلعا جديدة وحاجيات من النوع الذي يفوق في انقائه الموجود منه في افريقيا . وبنوئي التجار الاوروبيون تزويد الاسواق الافريقية بهذه السلع مستعبدين الى أوروبا جميع الاموال التي تستنزف على صناعتها وتجارتها . ونشأت الاحتكارات بكل ما تعنيه من تحديد استبدادي للأسعار ، واستغلت الارباح البسيطة التي يجنيها المحتكرون في افريقيا ، في اقامة صناعات تنتج السلع التي نحدثنا عنها - ونمى الاجراءات القيدية بصورة ضخمة ، اذ أرغم الصناعون الاوروبيون بجار افريقيا على ان يدركوا بأن لهم وكلاءهم التجاريين في افريقيا .

اما بالنسبة الى التطور الصناعي في افريقيا . فقد ترك امره الى الشركات الخاصة التي اظهرت بعض ائتمنع عن طريق دفن رساميلها وعدم اظهارها ، اذ ان نسبة الفائدة لم تكن مرتفعة الى الحد الكافي ، وكانت مجالات الربح اكثر اشراقا بالنسبة الى الاستثمار المباشر . ولم تكن المصلحة الاجتماعية ذات وزن كبير ، ولذا لم يجر تطوير طرق المواصلات على نطاق قومي واسع . ولم تتطور السكك الحديدية ولا الطرق البرية او الطرق المائية تطويرا كافيا . ولا سيما الاخيرة منها فقد ظلت مفتقرة الى أى تطوير . وعوضا عن ذلك فقد قذف بأموال ضخمة في حفائر المناجم ، اذ ان الشركات الخاصة كانت تأمل ، ولها الحق في هذا الامل ، في اسرع المربح وأوفرها عن طريق هذه المناجم . واتجهت الجهود في الحقل الزراعي الى انتاج الحاصلات لتصديرها لا لاستهلاكها محليا . واسعت متلا ، رراعات البن والتساي والككاو والفطن ، اتساعا كبيرا ، بينما ظل الافريقيون يعانون من نقص الغذاء . وعلى الرغم من ان افريقيا محاطة من جميع جهاتها بالمحيطات ، فانها بضطر الى استيراد الاسماك المحفوظة والمعلبة من الخارج ، ونحن نرى اساطيل الصيد اليابانية والاوروبية نجول في مياه الساحل الغربي

لافريقيا حاملة ما يصيده منها الى بلادها ، حث يجرى عليه ، ويعاد تصديره في صفائح حمراء الى افريقيا الغربية نفسها . ولم يجر أى تطوير للمهارات الصناعية فى العارة . أما البد العاملة الافريقية فيستنزف نساطها ، وتبتز حيوتها فى الاعمال العادية فى المزارع والمناجم .

واحتياجات افريقيا الاقتصادية ضخمة كل الضخامة ، فهى فى حاجة الى المدارس والجامعات والكليات والمعاهد الفنية ، والى المستشفيات والطرق والسكك الحديدية ومتاربع المياه والكهرباء والفداء واستغلال التروات المدنية . ولا يستطيع الافريقيون الاعتماد على انفسهم كثيرا فى تأمين حاجاتهم . اذ ان دخولهم التخصصة ضئيلة بينما الاسعار مرتفعة كل الارتفاع . ومن هنا اصبح من واجب الدولة ان تؤمن الخدمات للناس على نطاق غير مألوف فى كثير من البلاد . ولذا بات لزاما تأمين الاموال اللازمة للانفاق على هذه الخدمات . وبات من الضرورى ايضا ان تنتج افريقيا التروة التى يحتاج اليها .

وليس نمة من شك فى ان هذه المشاكل هى من الشدة والخطورة بحيث تتطلب حلا جذريا . والحل الجذرى هو التصنيع ، وسيؤدى هذا التصنيع ايضا الى توسيع منتجات افريقيا الاولى . وهناك طريقان مدهوحان للتصنيع : احدهما رراعى والآحر صناعى . وعلى افريقيا ان تقوم بعملية تقيم صحيحة لمواردها فى كل من السيليل لتقدير امكانياتها . وبلغ عدد سكان افريقيا مائتى مليون فقط ، بينما تبلغ مساحتها نحو من ثمانية عتر مليوناً من الاميال المربعة ، وهى مساحة تعادل اوروبا والولايات المتحدة والهند والصين معا . ومن الواضح ان ارضا مساحتها فى مثل هذا الاساع لا يمكن ان تكون مشكلة لافريقيا . ففى القارة مساحات شاسعة من الاراضى التديدة الخصب ، والتى لا نحتاج الى وسائل كيمائية لتأمين خصوتها . وفى افريقيا موارد هائلة من الاحرات والحيوانات والمواد المدنية ، ولكن عددالعمال الفنيين فيها محدود ، ولذا فهى مفتخرة الى البد العاملة الفنية والى الرساميل . وقد لا تكون الحاجة فى الصناعات الزراعية كبيرة الى البد العاملة العنية بقدر ما تحتاج اليها الصناعات المصنوعة .

وفى غابات افريقيا الوسطى كميات كامة من الاحتاب لاستهلاك الافريقيين وللتصدير ايضا . وهناك كميات وفيرة من الاحتاب التى تستخدم فى استخراج الصباغات ومن الاخشاب اللازمة لصنع الخزائن . وفى الامكان اعداد ودبان افريقيا وسهولها وهضابها لزراعة الحصر والحبوب والفواكه . وفى الامكان ايضا رراعه كميات ضخمة من الطباق

والبطاطس والتوفان والتعير والبن وفصب السكر وجوز الهند والنباتات التى نخرج الزيوت والدره والطماطم والبصل والفستق والسوايل والككاو والمطاط والفطن وعشرات أخرى من الحاصلات المهمة . وفى الامكان كذلك أن نصبح المساحات المزروعه فى افريقيا الترقية وحدها معادلة للولايات المتحدة ، وإن نزرع بمحاصيل البلاد الحارة والمعتدلة لتصديرها . ويمكن عن طريق تنوع الفواكه المتوافره الآن تأمين الوفور اللازمه لاعدادها للتصدير . فالأناناس الذى ينتج فى افريقيا الغربيه يعتبر من اجود انواع الاناناس فى العالم ، ولكن طاقته على البقاء مده طويله غير متوافره ولو امكن العتور على طريقه لحفظه، فانه سيجد سوقا عظيمة للتصدير ولا شك .

وليس رمة من شك فى ان هذه الاهداف الزراعيه تحلق بالطبع المتاكل الخاصة بها ، سواء منها التقنية أو الثقافية . وفى الامكان حل جميع المتاكل النفنيه . وأما اذا أخذنا بعين الاعتبار أن نسبة كبيرة من العمال الافريقيين قد امتصتهم الاعمال التى لا علاقة لها بإنتاج السواد الغذائيه فاننا ندرك اننا اذا استئسنا الككاو فان جميع ما ينتجه فلاحو افريقيا يستهلك فى اطعام كاسبى الاجور من الافريقيين . وهناك اجراءات زراعيه معصنه لم تؤد الى أنة نتيجة . وقد ادت طريقة تحويل الزراعة من مكان الى آخر ، وتوسيع مساحة الافدنة لكل فرد الى الاضعاف من خصوبة الارض فى بعض المناطق الافريقيه . ولما كانت المساحات بالافدنة التى يملكها الناس آخذة فى الازدياد ، فان الفائض من الاراضى آخذ فى النقصان ، كما ان الفتره الزمنية التى يسمح فيها ببقاء قطعة من الارض فى حكم «الراحة» للاستجمام من عناء الفلاحة، استعدادا لاعاده زراعتها تنخفض انخفاضاكبيراً يضاف الى كل هذا ماتحده عوامل التعرية الطبيعية فى الارض من سلب لتربتها. وما لم يسارع الافريقيون الى استخدام الوسائل الفعالة لحفظ التربة وزيادة خصوبتها عن طريق الاسمدة الكيماوية ، فان الزراعة التى يقوم بها الافريقون أنفسهم ستسير فى طريق الاضمحلال والانحطاط ، ويحتاج الافريقون الى وسائل محسنة للذار والتعهد والحصاد ، للحصول على نتاج اجود وافضل ، ولما كانت الاسمدة الكيماوية باهظة التكاليف فان فى الامكان استخدام الاسمدة العضوية بكميات اوفر ، كاجراء اقتصادى يوفر المال ، وقد اجرب التجارب والبحوث العلمية فى مواضيع اختيار المحاصيل وتحديد الدورات الزراعية لانتقاء المحصول الذى يصلح لكل شكل من اشكال التربة . ولا ريب فى ان الافريقيين قد استخدموا نظام الدورات الزراعية حتى قبل بوغل الاوروبيين فى بلادهم ، وهم يستخدمون على سبيل المثال الذره والقطن والفول السودانى والفول

في دورة زراعية كاملة، ومحاصيل الدورة الزراعية هي الوسيلة الفعالة للحفاظ على محاصيل جاهزة دائما في افضل مستويات الاسعار بسبب عامل الموسم الزراعى ، كما انها وسيلة من وسائل تقليل الفترة الزمانية في اراحة الارض الزراعية .

وتصلح المناطق الجافة من اقربى كسمال غانا وبيجيريا والفولتا العليا وغيرها . كأراض للمراعى أكثر من صلاحيتها للزراعة . وفي وسع الاكثار من تربية الحيوان في هذه المناطق وفي غيرها ككينيا وتنجانيا مثلا ان ينتج كميات كبيرة من الحيوانات التى تستخدم في استخراج الحليب وتأمين اللحوم ، أكثر من حاجات افريقيا نفسها . وصحيح ان هناك جماعات من الرعاة في افريقيا يحسبون مواشيهم بما يملكونه من رءوس منها بدلا مما ينتجون من حليبها ، وهؤلاء تحول تقاليدهم سبه الدينية بينهم وبين سويق حيواناتهم أو بيعها . ولكن هناك اماكن أخرى في افريقيا كافية لتربية اعداد كبيرة من الماشية . وصحيح ايضا ان تربية المواشى في افريقيا كافيه لتربية اعداد كبيرة من الماشية . وصحيح ايضا ان تربية المواشى في افريقيا تعرض لنكات من الاوبئة المنتشرة كالحمى الاستوائية والبول الدموى وامراض المثانة والجمره والطاعون البقرى وحمل الساحل الشرقى . ولكن في الامكان التغلب على جميع الاوبئة عن طريق خلق المناعة أو التطعيم أو القصد أو العزل . وقد ازداد عدد الماشية في كينيا واوغندا حيث ارتقت أساليب مكافحة الامراض الجبوانية رقا كبيرا بنسبة هائلة . ويمكن حل مشاكل المرعى عن طريق تربية اجود انواع الماشية لانتاج الحليب واللحوم وكذلك عن طريق السيطرة على عمليات الرعى للحيلولة دون ضياع سهيلات المرعى ضياعا كليا عن طريق اضعاف المراعى ، وكذلك بزيادة هذه المراعى في المناطق الماحلة والمحددة . وفي وسع متاربع الرى ان تؤمن المياه للاراضى الصالحة للمرعى حيث تتوافر العشب ولكن ينعدم الماء الصالح للشرب ونحصل بعض الماشية في جنوب افريقيا على الماء من الاحران التى يحصر الرعاة المياه فيها ، وينتظر من بعض المواشى ابضا ان تختزن الماء في ابدانها عندما يصل الى احد الحداويل . ولا ريب في ان تحويل تربية الحيوانات الى عملة اقتصادية نافعة عند قبائل «الانكول» في افريقيا ، يحفف الضغط على الاراضى التى تستخدم في الرعى .

وفي الامكان ايضا حل المشاكل الزراعية ، اذ انها تتعلق على الغالب بالموقف العام من الارض . وكثيرا ما نعقد المفارقة بين الحقوق الفردية للمزارعة وبين الحقوق الجماعية في الارض لمصلحة الاولى طبعاً . ويقال ان الحقوق الجماعية تنطوى على بعض المخاطر التى تهدد أى تطوّر خاص بالارض ، بينما يقال ان الحقوق الفردية في المزارعة تدفع

اصحابها الى ابداع سياسات بعيدة المدى لتطوير الارض . ويغال ايضا ان الانسان اكثر اندفاعا في اقتراض المال لتطوير الارض التي يملكها منه لتطوير الارض التي سمح له مجرد سماح باستخدامها . وقد بطلت على هذه النظرية الانمائية اسم نظرية السماره الخاصه مقابل نظرية سياره الباص التي سنستخدمها الفرد في بنفله .

ولكن النظام التعلبدى لمزارعة الاراضى لا بنطوى على اى اخطار تهدد استقراره وضماناته ، لان تخصيص الارض للاسره كان دائما في حكم الالتزام المدنى وقد اوجد اسفلال الاراضى دائما حقوقا تفصيلية او اتارية . ففى روديسيا السماله مالا حيب سنب الحكومه نظاما لاجار الارض ، نجد ان المنصرفين بالارض يجدون فى عدم وتوقهم من ممكنهم من دفع قومه الاجار فى السنة التاله سببا للامتناع عن القيام بعمل كبير فى الارض التى تنصرفون فيها فى هذا العام . ولاتقوم المشكله الرئيسيه فى وجود اخطار بهدد اطمئنان المرء لبقاء الارض فى حيازته ، وانما تقوم فى نوفر القروض وفى طراز هذه القروض التى يمكن نوافرها . وهناك دائما خطر مائل فى ان القروض التى ننم الحصول عليها من مصادر بعده لا علاقه مباشره لها بالزراعه كالمصارف مثلا ، قد تستخدم فى الانفاق على اغراض اخرى غير الاغراض الزراعيه . وتكون نتيجته مثل هذا الوضع ان المزارع بدلا من ان يعمل على تحسين مزرعته وبالتالي على زياده دخله ، بكتفى بمجرد تفدبر ما قد نتجته ارضه من دخل فى محصولها المقبل ، ويرهن هذا الدخل مقابل الحصول على قرض اقل منه بكثير ، وذلك لان الفرق يستنفد فى دفع فوائد القرض نفسه ، وقد اضاع عدد كبير من المزارعين مزارعهم ، بعد ان استولى عليها المرابون الثمرون ، والدين بعشمون على المضاربات من هذا النوع .

وهناك من يقول انه يجب ان يعهد بكافه اراضى الدوله الى الحكومات المركزيه بوصفها السلطه الجديده المطلفه فى المنطقه ، ولكن مثل هذا الاجراء يودى الى المفاله فى اضعاف الانجاهات التصديعيه والتفسيخيه للونسائح القبليه ، وحتى لو نحقق هذا الرأى ، فانه سيجعل من الاداره شسنا مستحيلا ، ويودى الى قيام اكثر الانظمه البيروقراطيه تعسفا وطلما ، لاسيما وان وسائط النفل فى افريقسما ما زالت فقيره بوجه عام . وسيكون من المستحيل بالنسبه الى انه حكومه افريقيه ولا سبما فى البلاد التى يسود الاحفاف فيها توزيع الارض كما هى الحال فى كينيا مثلا او فى جنوب افريقسا الا نصادر الارض لتتولى اعاده توزيعها بشكل اكثر عداله وانصافا .

وفى وسع نمو التعاونيات الزراعيه ان يحدث بورة زراعه فى

افريقيا وفي مكنة هذه التعاوتبات ان ضمن بحسين الاحوال الزراعية عن طريق قيام الزراعة الآليه والمشاركة في مساحات اوسع من الاراضى .  
وتؤدى الاساليب التعاونية ايضا الى تبسيط مشاكل النفل عن طريق امتلاك التعاوتيات لسياراه ، وستطيع الانظمة التعاوتية ان توفر القروض للمزارعين وان تتعرف على ادارتها ونوزيعها بحيث تضمن ان جزءا كبيرا منها على الاقل سيصرف على مشاريع بحسين الزراعة . وفي وسعها ايضا ان تملك الآلات التى نستطيع ان نؤجرها الى المزارعين بأسعار ارخص من تلك التى يدفعونها فى الوقت الحاضر للحصول على اليد العاملة لزراعة اراضهم ، مع ما يعنه ظهور هذه الطبقة من دوامات اتقال عائق الفلاحين بالدون والاجور التى يدفعونها .

وسيكون من الضرورى بالنسبة الى اية حكومة افريقية فى شرق افريقيا وجنوبها ان تحصل على الارض لتوزيعها توزيعا عادلا . وعندما نفعل اية حكومة ذلك ، فانها تجد نفسها مضطرة بصورة طبيعية الى التعويض على الملاك السابمين على ما قاموا به من تحسينات للارض . ولكن عندما ترتفع قيمة اية قطعة من الارض المملوكة ملكية خاصة ، بسبب التحسينات التى ادخلتها الحكومة عن طريق المشاريع العامة . فان الحكومة المشترية للأرض لا نجد نفسها مضطرة الى دفع هذه الزيادة الالتزامية للمالك الذى لا فضل له فى رفع سعر ارضه . ويذكر القارئ انى قلت فى مكان سابق ، ان الأنظمة التعددية الافريقية كانت تفرض دفع التعويض للفريق المتضرر من سرقة او اذى ، لا بالنسبة الى قيمة سلعة المسروقة او ملكيته المتضررة فقط ، بل وبالنسبة الى ما كان سيحصل عليه من ارباح محتملة ومعمولة من هذه السلعة او تلك الملكية ، وهى التى حرم منها الآن نتيجة السرقة او الضرر ، وذلك بالنسبة الى الفترة الواقعة بين ارتكاب الجريمة وسوية القضية بصورة نهائية . لكن هذا النص لا يدخل فى الحساب على أى حال أية تفديرات مستقبلية للمدة التى تقع بعد التسوية . وهكذا لما كانت اية ريادة فى قيمة ملكية خاصة ، ناحمة عن عمل تطويرى قام به الحكومة فى منطقة قريبة من تلك الملكية الخاصة ، وانفق عليه من الموازنة العامة . تعسر منطقية فى حكم التقديرات المستقبلية ، فان العدالة الاجتماعية القديمة لا تسمح بدفع هذه الزيادات فى قيمة الملكيات الخاصة عند تقدير التعويضات التى يجب على الحكومة ان تدفعها لاصحاب هذه الملكيات .

وتحتل احتمالات الموارد الناجمة عن مشاريع التصنيع مكانا مشرقا كل الاشراف . وفى افريقيا ننتج أكبر كميات من الصفيح فى العالم . وقد أفادت أساليب الانتاج المكثف فائدة كبرى من الكوبالت الافريقى ، الذى لم يكن غنى عنه فى يوم ما فى صناعة الفولاذ اللازم للآلات السريعة ،

وإذا ما استثنينا الموارد السوفياتية . فإن الكونجو وكندا ، هما المنطقتان الوحيدتان في العالم اللتان تنتجان الكوبالت بكميات كبيرة ومهمة ، وتقوم أضخم مخزونات للنحاس في إفريقيا وذلك في الهضبة المنتجة للنحاس في كانانجا ورودسبا الشمالية ، ونمثل مخزونات الرادبوم في الكونجو ستين في المائة من موارد الغرب من هذا المعدن الثمين النادر . وهناك كميات ضخمة من الذهب في جنوب إفريقيا وفي غانا ، وتعتبر ماسات إفريقيا من أجود أنواع الماس وأضخمها في العالم . وفي غانا وسيراليون كميات كبيرة من الماس الصناعي ، وتنتج إفريقيا انتاج العالم من المعدن الكروم والعندوم ، كما تنتج خمس الانتاج العالمي من المنجنيز . ويمكن القول بأن أراضي غانامجبولة بالمنجنيز والبوكسيت ولا تعتبر إفريقيا مفتقرة الى الحديد الذي يوجد متوافرا في جنوب السودان وجبال إفريقيا الشرقية ، وفي القارة بعض الفحم والنفط . وليست هناك من قارة حبتها الطبيعة بالموارد الطبيعية كما حبت إفريقيا . ولا تفتقر الا الى شيئين هما المهارة الفنية ، ورأس المال ، وهذان العاملان ضروريان كل الضرورة لتحويل الموارد الطبيعية الى منتجات جاهزة . ولو قدر لإفريقيا أن تحسب مواردها على صعيد قارى ، فإن في وسعها أن تقول بأنها تملك ثقافة موحدة وسكانا صالحين ونشاطا ومخزونات معدنية ، واحتمالات زراعية ، وحسن نية دولية ضمن حدودها . ونملك إفريقيا في داخلها كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة جميع الموارد الأولية التي تحتاج إليها في مشاريع تصنعها الصناعية .

وفي وسع إفريقيا أن تفلل من خطورة افتقارها الى الرساميل عن طريق تحسينها لزراعتها وتجويدها . ويمكن اعتبار نقص السكان في القارة على هذا الصعيد موجودا له قيمته الناقصة ، إذ أنه يوحى بالتصنيع الزراعي كوسيلة من وسائل التقدم الاقتصادي ، وتعتمد الدانمارك ونيوزيلنده مثلا على الاقتصاد الزراعي كل الاعتماد ولقد ساعدهما نقص السكان في أراضيها على بناء مثل هذا الطراز من الاقتصاد ، إذ سهل عليهما تجميع كميات كبيرة من الفائض لتصديرها . وهناك في الواقع مزية للصناعة الزراعية وهي ان المهارات الفنية التي تتطلبها أكثر بساطة ، وأسهل على التوفير اذا ما قورنت بالمهارات التي تتطلبها صناعة المواد الصناعية على المدى الطويل . كما ان المنتجات الزراعية آسهل على التصريف من السلع الصناعية .

وهناك اجراءات أخرى أكثر حماسة يجب على إفريقيا اتباعها اذا كان لا بد من علاج النقص الخطير في الرساميل . ومن الواجب اتخاذ الخطوات اللازمة للتأكد من عدم الاغلاق على الرساميل التي يملكها أناس من إفريقيا في صناديق المصارف الاجنبية وعلى إفريقيا أن تؤمن



لنفسها مصارف كبيره ذات طابع قارى ، لتسد النقص الظاهر فى النشاط عن طريق تأمين الموارد الاضافة اللازمة للنشاط المتزايد ، اما بالنسبه الى عمل المصارف الاجنبية فى افريقيا ، فان مبالغ محدودة من المال الذى تجمعه هذه المصارف بحفظ بها محليا فى هذه المصارف لفتح الاعتمادات وتأمين السلف ببدا ينزل العسم الاكبر منه الى أوروبا . ولعل الطريقة المتألبه فى اصلاح هذا الخلل تقوم فى إنشاء مصارف للدولة ، ومصارف تعاونية تتولى اقراض الافريفيين ما يحتاجون السه للنهوض باقتصادهم .

ومن الواجب تشجيع التوفير فى المصارف الافريفيه ، شريطة أن يحرص كل الحرص على اضعاف الاثر الحصرى الذى يتركه التوفير على عمليات الاستثمار ، اذ أن توفير المال يعنى عدم استثماره ، ومن الصحيح على أى حال ان المصارف الرسمية والتعاونية تستطيع أن تستخدم ما يجمع من الودائع فى اقراض المشاريع الاقتصادية النافعة (١) .

ويعبر الاشراف على تحديد الارباح اجراء آخر من الاجراءات التى يمكن اتخاذها لمساعدة الرساميل على التكون . اذ طالما أن الارباح التى تجنى من الارض الافريقية تسرب الى خارجها ، فان هذه الارباح تضع قيذا منظما على نمو الرساميل فى افريقيا . ومن الواجب ايجاد التنااسب أيضا بين الاجور والانتاج ، فحث لا يبلغ الانتاج الحدود القصوى ، يجب ألا يرفع الاجور من قبل الدولة ، لما يؤدبه رفعها من عرقلة لنمو الرساميل . وقد يكون من الشاق فى بعض الحالات بالطبع، نحمين ما يحففه العمل من انتاج ، والجهاز الحكومى ، والمكتب الساسى والجهاز الاكاديمى ، هى المجالات الثلاثة التى تقدم الامثلة على استحالة تحديد الانتاج وقياسه بحديدا وقاسا معقولين ، وعندما تحدث المرء عن الانساح ، بنحتم عله أن يقول بأن السطم العائلى فى أفريقيا لا يؤدى بأنه حال من الاحوال الى خفض الانتاج وهبوطه .

واستكمالا للبحث فى الامثلة عن الطرق التى يمكن بناء رءوس الاموال بوساطتها ، أرى أن أقول ، أن من واجب افريقيا ، ألا تكون

---

(١) يبدو من هذا القول ومن الاقوال التى يليه ، ان المؤلف قد حصر تفكيره فى النظام الاقتصادى الرأسمالى ، الذى يعتمد المشاريع الفردية أو القطاع الخاص أساسا له . وهو يبدو من هذا القول ، وكأنه يريد أن تتولى الاموال العامة توريد القطاع الخاص فقط بما يحتاج اليه من الرساميل لمشاريعه الاقتصادية ، بينما يفضي النظام الاشتراكي، وهو الاصلح كما ست علميا للبلاد الافريفيه ، بأن تستخدم الاموال العامة فى تمويل القطاع العام ، الذى يعود نفعه على المجموع بدلا من الافراد .

سديده الخجل ، وأن لا يحول خجلها دون اقدامها على الاقتراض ، من الواجب دعوة الرسامبل الاجنبية الى العمل في افريقيا ، شريطه أن تدار بأيدي افريقية ، وذلك عن طريق ضمان الحماية الوقائية اللازمة للاسراع في ائتماس الافريعيين للمهارات الفنية .

ويجب اقامة عدد من مراكز التوزيع لتصرف بعض المستودعات الاستهلاكية القادمة من أوروبا ، ولقد قل بأن الصناعيين الاوروبيين كانوا يرفضون في الماضي تحويل بعض صادراتهم الى وكلاء تجاريين من الافريعيين مريدين خطأ كبيرا في اظهار ايمانهم للوثلاء الاوروبيين الموجودين في افريقيا . ولكن في الامكان بحطيم هذا الطرار من الايتار الاحتجاري ، فلو أخذ المرء السيارات على سبيل المثال ، امكن خلق هيئات افريقية لنوزيعها ، تتولى الحكومة صمائها ، وفي وسع هذه الهيئات أن تتفاوض مع الصناعيين الافراد في أي بلد من البلاد لتصرف مايتجونه من سيارات ، فلو فرض الاتحاد البريطاني لنجارة السيارات وصناعتها مثلا اجراء مثل هذه المفاوضات مع الهيئات الافريقية ، كان في مكنة هذه الهيئات أن تتفاوض مع شركة رينو الفرنسية للسيارات أو مع شركه فولكسفاغن الالمانية أو مع منظمات انتاج السيارات الصغيرة في روسيا أو ايطاليا ، ولا ريب في أن أية واحدة منها على استعداد لعقد الانفاقات اللازمة مع الهيئات الافريقية ، وسيكون في الامكان عن هذا الطريق الاحتفاظ ببعض الارباح النى بجنى من توزيع السيارات داخل افريقيا لتأمين الرسامبل اللازمة للمشاريع الاقتصادية . وسيكون من الخطورة بمكان عظم استخدام هذه الطريقة بأسلوب جماعي بالنسبة الى جميع المستوردات الاستهلاكية ، اذ انها قد تؤدي الى الخفض من الكفايات في التوزيع وقد تشجع على قيام الاحتكارات لكل ما في هذه الاحتكارات من ضرور (١) ولكن في الامكان على أي حال اللجوء اليها كأسلوب ناجح بالنسبة الى نماذج متفرقة من السلع المصنوعة .

وحرى بالمرء عند دراسة المشاكل السياسية في افريقيا أن ينظر الى اشكال المنظمات السياسية التى نشأت في الذارة ونعرجت ، اذ أن هذه المنظمات هي التى ستتولى حل هذه المشكلات السياسية ، وان ادراك هذه المشاكل وبصويرها لانفومان الا على صعيد هذه المنظمات وضمن

---

(١) رهاى جديد على التفكير الراسمالى التسلط على المؤلف اذ أن قيام القطاع العام عن طريق المؤسسات العامة بهذه العملية يزيل المخاوف التى تثار المؤلف ، أما موضوع الكفايات ، فتعكر يشر الى شيء من العقد والركاب النفسية التى يحس بها تحرر افريقيا منها تمام التحرر .

— العرب —

مجالاتها ، وهناك مسكلتان أساسيتان مائلمان فى أعماق السياسات الوطنية الإفريقية ، أولاها مشكلة السلطان ، وبانينهما مشكلة الوحدة أى مشكلة الطريفة التى نتمكن بواسطتها جماعه فرعية من أمة أو فى بلاد من الحصول على السيطره السفيديه والنسريعية ، ومشكلة الطريفة التى يمتن بواسطتها الحفاظ على ولاء السعب أو ضمان تسليمه بالامر الواقع على الأقل ، وقد شعلت المسئلة الأولى اذهان المظمساب السياسيه الإفريقيه أكثر من المسئلة البانيه ، وهذا شأن الحركات الوطنية دائما . فهذه الحركات يعرض باستمرار سكللا من أسسكال الاسجرام والوحدة الوطنية . وحدة بضم الصعوة ، وانسجاما فى السياسات الوطنية . ومن هنا نسأ المعارضة الجديده التى باتت مألوفه بين الاحزاب الظهيرة المناصره وبين الاحزاب الجماهيرية ، والتى تعتمد أسلوب التنظيم ، بعد أن كانت تعتمد فى الماضى وجود الصفوة فى هذا الحزب والجماهير فى الحزب الآخر .

وسيطر الاحزاب الجماهيرية فى أفريقيا اليوم سيطره كامله لانسك فيها ولا جدان . وان السائد على الاعتقاد قبل بصح سموا أن أحزاب الصفوة فيما كان يدعى بأفريقيا الفرنسيه هى التى سيطر على المسرح بدعم من الادارة الفرنسية . ولكن بانتصار الحزب الديمقراطى لساحل العاج ، انتهى عهد سيطره أحزاب الصفوة فى أفريقيا الفرنسيه ، ونحن نطلق على هذه الاحزاب اسم « الصفوة » لأنها منظمه حول عدد من الشخصيات من دوى النفوذ والمكانة . ولابها لاجصل على ولاء الابباع لها عن طريق الجاوب المباسر مع رعاياهم ، بل عن طريق مافى أسمماء الشخصيات الإفليمية التى تؤلف هذه الاحزاب من حالات سجره ، وما تسنيره هذه الهالات من ولاء ، ولكن لما كانت أحزاب الصفوة بهمل تفاصيل البيانات التى يستخدمها أشخاص كراعى كنيسة «برى» فى نهضة المناطق التى يهبونها ويسلبونها ، وبهمل أيضا تنيب أقدامها على صعدان الفروع المحلية ، فان هذا الاهمال يؤثر تأثيرا خطيرا على استقرارها ، اذ أن الصعب الذى قد نصاب به شخصيه مركبة من هذه الشخصيات يؤدى الى ضعف الدوامه التى بنيرها صاحب هذه الشخصيه ضمن نطاق حزب الصفوة الذى ننتمى اليه ، ونجد العاى داخل هذه الاحزاب ، فى أوقات الازمام صورة لامنطيه ، ويحول الى سكل مهابراب تتعلق بالتشهير بالشخصيات الحزبيه بدلا من المحادلات المنطقيه التى تناول حسنات الحزب ومساوبه . ويتخذ سلوك الاساع المخابين للحزب صورة هستريه حفيفيه . وهنا يعرض الحزب صوره من صور العقد والناقضات التى بطبعها ، وهى الافئار الى الانضباط المنسقى الذى نتميز به الاحزاب الجماهيريه ، كما يعرض مدلا واضحا الى الانقسام

الجنونى . وتمثل الشخصيات التى يركز حولها تأليف أحزاب الصفوة فى أفريقيا ، فى صورة الشيوخ القبليين ورجال الأعمال الناجحين ، ولعل أصدق الأمثلة على أحزاب الصفوة هذه حزب «الاتحاد النيجيرى للمستقلين وانصارهم» فى النيجر وحزب مؤتمر الشعب لشمال نيجيريا فى نيجيريا وهناك أحزاب عنصرية يمكن أن نحسب فى هذه الزمرة من أحزاب الصفوة لأنها تستند الى الاحاسيس الرئاسية للكيانات القبلية . ومن أمثلة هذه الاحزاب العنصرية «حزب التضامن السنغالى» الذى يضم كبار الشخصيات الريفية فى البلاد . وقد تكون أخطار القبلية فى التجمعات الكبيرة وهى التى انتشرت هذه الايام فى أفريقيا أكثر منها فى أى وقت آخر ، جسيمة كل الجسامة ، وهى تنبع على الغالب من تنظيم الأواصر العنصرية فى قوى سياسيه فعاله . ويمكن تفسير انتصار هذه القوى السياسية بأنها تعليب لجمع عنصري معين ، وهنا تنور النزعات الانفصالية الكامنه عند الشعوب الافريقية الواسعة الخيال ، وتستند خطورة هذه الأحزاب العنصرية حقا فى كينيا وأوغندا والكونجو ، لان هذه البلاد هى من المناطق التى لم تتمكن فيها مثل هذه الأحزاب من احراز الأغلبات الحاسمة ، أما فى اتحاد نيجيريا حيب ترتبط الأحزاب بالتجمعات العنصرية فان هذه الأحزاب تمكنت على الصعيد الاقليمى من احراز أغلبات ساحقة تكاد تنسب الاجماع ، ومن هنا لم يعد لوجود التجمعات العنصرية الصغيره أنة أهمية بحيث تؤلف مشكلة للوحدة الاقليمية فحزب العمل مثلا مرتبط بقبائل اليوروبا فى غرب نيجيريا ووجود أقلية صئيلة من «الابو» فى هذا الاقليم تؤيد المجلس الوطنى لنيجيريا والكمرون ، وهذا الحزب المرتبط بقبائل (الايو) لاثير أنة مشكلة خطيرة بالنسبة الى حزب العمال وليست الأحزاب العنصرية دائما من أحزاب الصفوة ، اذ أن كلا من حزبى «المجلس الوطنى لنيجيريا والكمرون» و «العمل» يستندان على الرغم من زعامتهما التقليدية على تأييد الجماهير .

ويمكن القول بالنسبة الى أحزاب الصفوة ، ان الروابط الداخلية بين فروعها روابط ضعيفة دائما وان نخصصها سىء كل السوء ، وانها اذا ما قورنت بالأحزاب الجماهيرية ، فانها تبدو مفتقرة الى الانضباط ، والى الاسهام المباشر من أعضائها فى أعمالها اذ أنها تعتمد فى الغالب على الانصار والمؤيدين أكثر من اعتمادها على الاعضاء ، وكثيرا ما تتعارض الطبقة الشخصية لعبادة أحزاب الصفوة هذه مع نمو عضويتها بانضمام شخصيات الصعدان المحلية اليها . وكثيرا ما تحدث المشاجرات والانقسامات فى صفوف هذه الأحزاب ، وتكون غالبا نتيجة صدام بين شخصية محلية كبيرة ، وبين زعيم قومى ، وهنا لابد وأن تنشق جماعة تؤيد تلك الشخصية على الحزب وتخرج منه ويحدث أحيانا خلاف بين

بعض الصغار من العادة المحليين ، وهنا تكون النتيجة الطبيعية ، أن يمسى  
 الحزب بالحمول والكسل ، بعد النشاط والحيوية . وهنا لابد وأن يستغل  
 قادة الحزب أنفسهم بالأصافة إلى أعمالهم الأساسية في اتخاذ القرارات  
 بالتوفيق بين المتخاصمين ، ووضع جد لهذه الخلافات المحلية . ولا ريب في  
 أن إفسار أحزاب الصفوة هذه إلى الانصباط وإلى الاستنجام الداخلي  
 الوبي ، هو الذي يسبب عنصرا الرعامة والمتنبيحات القبلية إلى  
 الانصواء في صفوفها ، ويؤدي عدم تنظيمها في الوف نفسها إلى الحيلولة  
 دون وصول أي صوت من المستويات الحقيقة للحزب ، إلى صف فيساده  
 الكبيرة ، وتتجاوب هذه الأحزاب دائما مع آراء قادها ، لأن هؤلاء القادة  
 يمثلون الرأي العام الوحيد لها ، ولذا فلا يمكن بها أن تضع سياسات  
 تتجاوب مع الخير المباشر والفوري للجماهير . ولما كان سيوخ القبائل قد  
 غتروا في هذه الأحزاب على فرصتهم الوحيدة في تثبيت سلطاتهم  
 التقليدية الآخذة في الإحلال والتدهور بسرعة هائلة ، فابهم يقبلون على  
 الانصواء إليها وبنى أهدافها . وهنا يرى السطاط الاستعمارية فيها ؛  
 أي في هذه الأحزاب ، الهيئات التي تمثل ميتول الشعب واتجاهاته ، ويال  
 الثقل المحافظ الذي يحمل الشيخ إلى حزب الصفوة الذي ينضم اليه  
 محاولا إقناذ ما يمكن إقناذه من سلطاته القبلية ، إعجاب السطاط  
 الاستعمارية وتقديرها وتأييدها ، ولكن هذه الأحزاب ما لبست أن منيت  
 بالهزائم الشعبية أمام الأحزاب الجماهيرية . ففي عام ١٩٥٦ هزم حزب  
 الاتحاد السوداني الجماهيري أحزاب الصفوة في مالى ، كما هزم حزب  
 عينيا الديموقراطي الجماهيري ، أحزاب الصفوة في عينيا ، وحى وطيس  
 النضال على خطوط موازية في البلاد التي كانت أحزاب الصفوة تحتل  
 فيها المكانة البارزة ، وقد اتجه النضال أول ما اتجه وبصورته الرئيسية  
 ضد الشعبية السياسية . وقد حاول عناصر الشيوخ في أحزاب الصفوة  
 هذه أن تؤكد حقوقها في المركز السياسي في الأقاليم التي تنسب إليها .  
 وفي الوقت نفسه كانت العناصر الجماهيرية تنضم إلى أحزاب الصفوة هذه  
 عن طريق تبعيةها لشيوخها وزعمائها طلبا لجماعتهم ولكن هذه العناصر  
 ما لبست أن رأت في الاستقلال السياسي ثورة اجتماعية لأعودة إلى الأوضاع  
 التاريخية القديمة ، ووجدت فيه قفزة طويلة إلى الامام لا استمرارا  
 للحلقة التي كانت تدور فيها ، وليس ثمة من شك في أن الجماهير هي  
 التي تفوز في مثل هذه الصراعات التي تدور مع عناصر الصفوة المخنارة  
 فقد تغرت الأوضاع في أفريقيا اليوم . وبأنت عناصر الصفوة معرضة  
 للهزيمة كل الهزيمة إذ أنها لا تستطيع أن تعد الجماهير بغير الحذر وضبط  
 النفس ولغة الوعي الطبقي ، بينما يستطيع قادة الجماهير أن يعدوها  
 بوعودا كلها تقاؤل وخير ، وأن يثيروا فيها نوازع الإرادة ، ويسنفزوا فيها

مشاعر الاحساس بالسلطان ، ويمنوها بالحياة الكريمة التى يتواتر فيها الخير وسودها الراحة والطمأنينة وهكذا توجه وعود قادة الجماهير انباعهم الى المبتكرات الاشتراكية ، ومع ذلك لم يستطع حزب سوابا فى النيجر وحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكمرون فى نيجيريا الشمالية ، وهما حزبان من أحزاب الجماهير ، ان يقررا مصير النضال مع أحزاب الصفوة لمصلحتهما .

ومن الأمثلة على الاحزاب الجماهيرية الناجحة ، حزب غينيا الديموقراطى ، وحزب مؤتمر الشعب الغامى والاتحاد السودانى فى مالى والحزب الديموقراطى فى ساحل العاج وحزب العمل فى نيجيريا والمجلس الوطنى لنيجيريا والكمرون فى نيجيريا أيضا . ومن بين هذه الاحزاب يضم حزب مؤتمر الشعب الغامى فى عضويته نحو من مليونين ونصف المليون يدفعون اسنراكات عضويتهم بانتظام ، من مجموع سبعة ملايين يؤلفون سكان البلاد كلها . ويدعى الحزب الجماهيرى دائما وبصورة واضحة تمثيل الشعب كله . أما الأسس التى يركز عليها فى ادعاءاته هذه متنوعة ومنعددة . ولنضرب على سبيل المثال حزب العمل فى نيجيريا ، فهو يتميز بالانضباط الشديد ، وبالتفصل ، أى الارتباط الوثيق على مختلف المستويات ، وفى وسع أعضائه ان يضعوا السياسات مباشرة وأن يؤثروا تأثيرا مباشرا فى تطبيقها . وليس بة من جمود بين أعضائه ، وانما يتميزون بالحركة التلقائية الدائمة . ويصور حزب غينيا الديموقراطى مثلا آخر ، بينما يصور الاتحاد السودانى مثلا بالناس . وقد ادعت هذه الاحزاب الثلاثة بحكم مظهرها هذا انها تمثل ارادة شعوبها ولا شك فى أن مثل هذا الادعاء يقوم على الارقام والحسابات ، التى كثر فى الامكان التأكد منها دائما وبصورة مباشرة عن طريق الملاحظة والحساب . ولكن كان هناك شكل آخر من أشكال الأساس ولا علاقة له اطلاقا بالعمليات الحسابية . فقد ارتكز الادعاء هنا بتمثيل الشعب كله ، وبجسيده الارادة الوطنية على أفكار وعقائد ذات طبيعة طليعية وفيادبه بالنسبة الى الحزب الجماهيرى . وهنا يكون التأكيد على قيادة الحزب لاعلى أتباعه وأنصاره . وعلى هذا الصعيد وحده ، يمكن مقارنة هذه الاحزاب بأحزاب الصفوة التى أشرت اليها . فقيادة الحزب تستند الى ادعاءها مالها من سلطان على الحزب . ومن ثم تدعى دون أى تحقيق ، تمثيلها لمصالح الشعب ودفاعها عنها ، وتروح بعد ذلك فترسم للشعب مصالحه ، ثم تسرع باسم الشعب فى المطالبة بتحقيق هذه المصالح التى هى الواضحة لها نيابة عنه ، وهنا لابد وان ينمو الميل الى اعتبار الشعب والدولة شخصية متفوقة ، بل شكلا من أشكال الظواهر اللاحقة التى ينظر اليها بعين الاجلال والخوف ، بل ظاهرة بدائية يمكن لنا أن نسميها أيضا

بالظاهرة التي سير الرباء ، ولكن الفروق العملية بين الرأيين عند الاحزاب الجماهيرية ، سرعان ماتخمى ونزول مع مصى الزمن ولا يبقى منها الا القليل ، وذلك لان هذه الاحزاب تحول مع الوقت الى الراى النابى الذى يعبر الاحزاب السيووعية مثلا صارخا له . فالاحزاب السيووعية تنسبه احزاب الصفوة فى حصر عضويتها المباسره ، ان كانت شبه الاحزاب الجماهيرية فى دفة انصيباطها ومنانة تركيبها ، لكن الانسجام فى قيادتها لايزيد فى كماله على الانسجام الذى يعوم فى قيادات احزاب الصفوة . ويكون الحماس المورى الذى يصل بالحزب الجماهيرى الى مرحلة الاستقلال السياسى ، والذى يحمره الرعية لافى اعادة السلطان الى البلاد فحسب بل والى الشعب أيضا ، بورة مردوجه فى حد ذاته ، انه بورة على الارادة الاسعماريه كما انه بورة على السيطرة المشيخييه العبلية ، وعندما ينحق الاستقلال السياسى ، يولى الحزب الجماهيرى قيادة البلاد ، ومن ها يبدأ عملية التنويم المغناطيسى للشعب نجح ستار التحدث باسمه ، ولاستكمال هذه العملية بما فيها من سلطان ، نصبح القيادة مركززة فى أيدي الطليعة السياسية الجديدة ، وكلما كان عدد الرجال القادرين على وضع السياسات باسم الشعب وللشعب كله ، أقل ، كلما كان ظهور الطبيعة الانزامية لذلك الاسم الذى يتخذ صفة سحرية ، أقوى وأشد .

ولكن هذا الادعاء بتحول حقوق الشعب وطاقاته الى أيد جديدة ؛ قد يؤدى الى أعمال وحشية مرعية . فسرعان مايقال بأن ليس تمة من فرد يفوق الشعب فى عظمتة ومن هنا فان الشعب بأسره ، فرادى ان لم يكن جماعة ، سحق قيمته بصورة لطيفة عن طريق معجزة ، تفرن باسمه وتحمل هذا الاسم . اما الحقيقة الواقعة وهى أن الشعب يتألف من أشخاص ، فابها تصاب باهنزاز ينقلها الى حدود الغيب التى لاوصول اليها . ولكن هناك فى أفريقيا على أى حال ، كثيرا من التقاليد البلدية التى لو حوفظ عليها ، فانها تصون الشعب من أخطار الثورة العاتية وقد باتت أفريقيا الآن فى وضع يمكنها من الامساك بالمشكلة من احد جانبيها فمستقبل أفريقيا يعتمد على مجموعة من الثورات التى سير فى خطوط متوازية .

ولا ريب فى أن ماضى الفارة يكسب الثورات وافعها وصحتها، فالعقلية الانسانية القائمة على المساواة والتى اتسمت بها المنظمات الافريقية الاجتماعية التقليدية نستطيع أن نخرج مبادئ يمكن الحكم على صعيدها، على أهدافها ووسائلها ، كما يمكن التثبت من صحتها واصلتها ، فلا ريب فى أن هناك أهداف أفريقية الطبيعية من حيب أنها تقف صحيحة ثابتة ومن حيث أن المقاليد الافريقية توصى بها ، ولا بدع والحالة هذه ان كانت

هناك وسائل افريقية الطبيعية أيضا : وفي الامكان اطهار بعض الطرق المتبعة في التنفد على انها طرق افريقية . ولا يعتمد نجاح التورات على عظمة أهدافها فقط ، وانما تعتمد اعتمادا كليا أيضا على طرق بحفيقتها .

وفي مكنة المثل البورية التي نعتقها الاحزاب الجماهيرية أن تحقق الكثير بالنسبة الى ضخامة عدد أباع هذه الأحزاب . ولكن صحامة هذه الاحزاب لاتصح انصاحا كافيا من حدة مثلها وصرامتها فقط . فمضى تأثير الحزب الجماهيري بسير في حط مواز ، مع بعدد فروع هذا الحزب والمنظمات التابعة له . فلكل حزب من هذه الاحزاب منظمات للسبب وأخرى نسوية ، ويكون عادة مرتبطا بالحركة النقابية كما يتولى اصدار الصحف الخاصة به ، ويكون للحزب عند انصاح مجالات نشاطه ، موضوع وعكس لهذا الموضوع ، وتركيب له ، فهو يميل من ناحية مجالات اهتمامه الضيقة لهيئة سياسية ، تركيبا أو نفاها عن طريق تخفيف حدة التضارب بين المصالح والحوافز والدوافع أو ازالتها ، وهو من ناحية مجالات نشاطه الثانية ، يغذى نفس الانقسام الموجود بين المصالح . ويوثق نفس الوحدات والولاءات الضيقة ويفيدها ، وكأنه يدعو الى موضوعه . والى عكس هذا الموضوع . ولعل هذا هو مفتاح النشاط بالنسبة الى الاحزاب الجماهيرية في أفريقيا ، فالفرص المتاحة لجميع اعضائها للاسهام اسهاما كاملا في نشاطها واسعة وشاملة .

وحتى عندما نبدأ الاحزاب الجماهيرية كأحزاب تورية ، فابها يبدو ميالة الى التسليم بالمسؤولية عن الثورة الى أيدي القبلة المصطفاة من طليعتها القيادية ، وعلى الرغم من أن هذه الطبقة هي بنية الحزب الجماهيري الا انها سرعان ما تعزل نفسها قلبا وقالبا ، وروحا وعملا ، وان لم يكن لسببا عن الحزب ، وبغدد من الصعب على المرء أن يرى في النسيب السحصى لاعضائها انعكاسا صادقا عن المثل التورية التي بحب أن توجههم ولا يمكن لمنل أى حزب جماهيري بما في أوصاع من العوز والعافة الفردية والجماعية والمرص والجهل والجوع ، ان تتنكب عن سبيل الاشتراكية . وحيث سبيل لقياس اصالة الاحزاب الجماهيرية وصدقها بعد أن تكون قد أبنت طلائعها القيادية هو في تبين المدى الذي يمكن به تفسير حياة هذه الطلائع وبرامجها على الصعيد الاشتراكي . وليس في حكم الاحتمى أن تتألف الطلائع الجديدة للأحزاب الجماهيرية من أولئك الذين تأثروا عاطفيا بأبلغ التأثير في ظل الحكم الاستعماري بالتمييز العنصري أو النفاقي أو الاجتماعي أو المهني ، أو من أولئك الذين تألموا أشد الآلم من هذا التمييز لانهم كانوا فريسة للعجز الذي فرضه هذا التمييز ، ولانهم كانوا قادرين في الواقع على الافادة من الحريات التي كانوا محرومين منها فكثير من هؤلاء كانوا أحيانا ينعمون على الدول الاستعمارية استغلالها لشعوبهم ،



وما . معرض له مصائرهم صدفه من جراء هذا الاستقلال . وكانت تقمنهم  
سدد من جراء الحرمان الذى تعرضوا له هم ، وعاتوا منه أشد العناء،  
ولكن بعض هؤلاء كانوا أحيانا يبلقون . فى الطلاع الجديدة التى انبثقت من  
الأحزاب الجماهيرية . وعندما كانوا فى أيامهم النورية ، كانوا يحسون  
بلهفه عارمه الى العدالة الشاملة التى نترجم نفسها فى اتجاهات اشتراكية  
من النوع الذى يعطى للاستراكية أوسع المعانى والذى تسود فيه العدالة  
على نطاق شامل واسع ، معبرة عن نفسها وعن وجودها بأسرع الطرق  
والوسائل ، ولكن أفراد الطلائع سمحوا فى بعض الحالات لهذه الالهفة  
التي لها كل ما يبررها بأنفسهم وتحوّل الى مجرد مطامع ضيقة فارغة ؛  
ولكن هذا الفساد للمثل لم يكن على أى حال ناحية من نواحي الحركات .  
الاستقلالية .

وقد يفهم هذا الوهن الذى لحق بالمثل ، على ضوء ما أصاب الاسهام  
- الجماهيرى المباشر فى العمل العام من ضعف . وذلك بعد اقامة جهاز بديل  
يختلف فى توجيهه عن جهاز الجماهير . كل الاختلاف . وعندما تمت اقامة  
هذا الجهاز ، أضحي عدد المؤتمرات الحزبية أقل ، بل واختفى بعضها  
من الوجود كل الاختفاء .

ومع ذلك فهناك أوضاع نفسية لهذا الضعف الذى أحاق بمثل  
الأحزاب الجماهيرية . فعندما كان يحدث مثل هذا الوهن . فى الماضى ؛  
كانت هناك أولا فروق فى مستويات التعليم بين أعضاء الطليعة أنفسهم .  
اذ عند اشتراك التعليم كعنصر دى أهمية فى تكوين الطليعة ، فان عنصر  
التكافؤ المبجل بين هؤلاء الأعضاء يعرض الى الخطر . وكانت  
هناك نابيا فروق أخرى فى السن بين أعضاء الطلائع ولا سيما  
بين الزعماء السنغاليين فى القسم الفرنسى من الاتحاد الدولى  
للعمال ، وكان هذا الفرق فى السن أو بين جيلين هو الهوة التى  
أحدثت الانفجار فى المؤتمر المتحد لساحل الذهب ، وهو الانفجار الذى  
أدى الى التعاف الأعضاء التسبان حول الحزب الصاعد ، حزب مؤتمر  
الشعب الغامى ، وكانت هناك أخرا فروق فى العقيدة ، وان لم تكن  
واضحة كل الوضوح بحسب تحول الى خلافا عقائدية . وعندما لا يكون  
فى هذه الفروق شئ كبير من التعيد أو حتى من الوضوح ، فانها تسمى  
فروقا فى الأذواق لا فى العقائد ومن المعروف أن برنامج الحزب  
الديموقراطى الغينى وحزب الاتحاد السودانى تستمد وحيها  
من الماركسية ، أما البيانات الرسمية للاتحاد التقدمى السنغالى  
فمستوحاة من الآراء الاشتراكية المسيحية ، ونسر بوحي وتوجيه من

صنغفور<sup>(١)</sup> أما حرب الائتلاف الافريقي فقد يكون برونسكى النزعة . ولكن من الخطأ كل الخطأ أن نحاول اليأس هذه الاحزاب الافريقية كل ما بين الماركسية والاستراكية المسيحية والتروسكية من خلاعات مذهبية . وكل ما أفهمه ان هذه الاحزاب لم تضع بعد برامجها الواضحة لتحقيق الفردوس المنشود . ولذا فهي لا تقبل بجميع التفسيرات التى تتألق من الناحية النظرية فى هذه الرؤى العقائدية التى نجلم بها ولا ترفضها .

ولازالة ما فى هذه العروق من تأثير ، نحسم على أفراد الطلائع القيادية أن توجه جهودها نحو المزيد من الغايات الذاتية ، وتقبل محاولة الحفاظ على ما بين هؤلاء الافراد من تكافؤ ومساواة ، عن طريق الانره والعناية بالذات .

وعلى الرغم من أن الاحزاب الجماهيرية ، كانت تعقد الكثير من حماسها الاشتراكي بهذه الطريقة ، الا أنها أدت أدوارا هامة فى العاره الافريقية ، فلقد كانت من الناحية الاولى نتجاوب مع الرأى العام فى بلادها ، وعلى الرغم من أنها مازالت تتجاوب مع هذا الرأى الى حدى ، الا أن هذه الجماهير التى تحاول الطلائع الاستمرار فى التجاوب مع آرائها أخذت فى التقلص وقد أشبه الاحزاب الجماهيرية أيضا التطلعات الذاتية فى افريقيا ، ولا ريب فى أن هذه التطلعات هى أيضا ثمرة للطريقة التى اتبعتها بريطانيا وفرنسا فى ادارة مستعمراتها الافريقية ، فلقد كانت قوات بريطانيا البرية المرابطة فى افريقيا قليلة سببا ، بمما كانت تحتل بلادا مساحتها لاتقل عن أربعة ملايين ميل مربع ، ولم يكن فى وسع مثل هذه القوات القليلة ولا سيما فى المناطق المفتقرة الى طرق المواصلات ، أن تعيد الأمن الى نصابه اذا ماتعرض هذا الأمن لاضطرابات خطيرة فى مناطق واسعة . ورغبة منها أى من بريطانيا فى سد هذه الثلمة فى اجراءاتها ، امتنعت عن تغيير الأنظمة التقليدية القائمة على قدر الامكان معتمدة فى حفظ النظام فى مستعمراتها على سلطة الشيوخ المحليين وهكذا ظلت تحكم عن طريقهم ، وتحافظ على الأمن والنظام بوساطتهم وهكذا تمكنت بريطانيا من منع المشاعر الوطنية عندهم الشعب التى تحكمها من الاتجاه حقا ضدها . وعندما بدأ سلطان الشيوخ يتهاوى ويتدهور فيما كان يوما يدعى بأفريقا البريطانية ، وذلك ابان الفترة القصيرة من الهيجان فى طلب الاستقلال ، ومع بقاء القوى التقليدية على حالها عن طريق حكم بريطانيا اللامباشر ، اتجه الشعب الذى لم يعد الآن يمثل مجموعة من القبائل المنفصلة عن بعضها ، وانما يمثل بلدا

---

(١) رئيس جمهورية السنغال ، وهو مشغف لعافه فرسيه عاليه ومن أرق الشعراء باللغة الفرنسية .

هذا وعى داني الى الهدوء ، وبدأت طواهر وحدته ووجوده تنصهر انصهارا  
كليا في المحتوى الجديد الاكبر ، وقد حملهم الضغط الذي انطوى عليه  
هذا الاتجاه ، الى البحث عن وجود قومي جديد على صعيد الأمة ، أما  
الفرسيون فعلى الرغم من حطيمهم لسلطان الشيوخ ومحاولتهم حصر  
دعائهم في المستعمرات على التطلع الى فرنسا ، فان هذا التوجيه ظل  
محصورا في القلة المنقفة واسم الطابع العام للمسنعمرين السابقين بحاله  
من الهدوء نفوس ماكان عليه أقرانهم في المستعمرات البريطانية السابقة  
وأخذوا في الانضمام الى النقابات والاحزاب السياسية بشيء من الاستعداد  
والمثابرة .

وكانت نظرية العنصرية كما رأينا من قبل ، تلحق الناس بقبائلهم  
وعشائرتهم حتى من قبل أن يولدوا ، وذلك على أساس ما في جندورهم  
من فوه العوامل الروحية ، ولم يكن من السهل أن يضع المرء «وجوده»  
على هذا الصعيد أو يهزه . وقد سبجت هذه الفكرة عن وجود العوامل  
الروحية حتى قبل مولد الانسان ، وعن وجود «الوجود» حتى قبل ظهور  
الفرد الى قيد الحياة ، اثاره قضايا الوجود على نطاق ضخم في أفريقيا  
وقد باتت القضايا المتعلقة بالوجود قبل المولد ، وبالوجود العائلي  
والعشيري والقبلي مهمة كل الأهمية بالنسبة الى النشاط الانساني  
وكذلك بالنسبة الى تحليل الاعمال البشرية ، وباتت المسؤولية عن الاعمال  
أكثر أهمية من تصنيف هذه الاعمال نفسها .

وليس بمة من شك في أن هذه المسؤولية كانت تلفى ضوءا على  
التصنيف بالذات . ومن هنا كان اقتراف عمل ما ، يعرض مقترعه أحيانا  
الى العقاب ، بينما لايتعرض له مقترف آخر ، اذ أن المسؤولية تتعلق بمن  
اقترف العمل وسخصيته . ولم يكن هذا الاجراء نعييرا عن المحابة أو  
التحيز . وكانت النعوت الاخلاقية تلصق بمقترفي الاعمال ، لا بالاعمال  
ذاتها . وهكذا كانت الاعمال تصنف عادة للنوايا التي كان المرء يجد من  
الطبيعي أحيانا أن يفريها بفاعليتها ، الذين يحتلفون في شخصياتهم  
وأخلاقهم ، ولم تكن شخصياتهم هذه انعكاسات لاعمالهم ، وانما كانت  
هذه الاعمال ؛ نابعة بل وصادرة عن شخصياتهم .

ولم يؤد نحلل التبيان التقليدي القديم الى انهاء الانشغال بهذا  
«الوجود» بصورة مفاجئة . فهذا الوجود جزء من أسباب النجاح الذي  
حققته المنظمات النقابية والاحزاب السياسية لاسيما وقد كانت الروح  
النضالية في أفريقيا ، قوية وكانت مصدرا للوحد والولاء الكامنين ، ولا  
يريب في أن هذا هو معنى «الانتماء» الجديد .

ونزود النقابات والاحزاب السياسية الافريقية مما فيها من طبيعة

سُمولية بالحوافز الاشتراكية القوية ، وبينما كانت الاسراكية تحمل طابع الإصلاح في أوروبا وأمريكا نراها في أفريقيا تمثل الوضع البدائي المتخذ شكل الحياة الجماعية التي سبق لى أن سرحتها ، وليس الاشتراكية الا محاولة لتحديد الاهمية الاجتماعية السياسية وحصرها في تلك الفروق الحياتية القائمة بين الاجناس البشرية ولهذا مالت الفروق الطبيعية في اشتراكية أفريقيا التقليدية الى أن تكون من النوع الجمالي وأن يكون العصد منها الزينة ليس الا . وقد حمل الافريقيون القور الاكائي المأثور بأن جميع الناس هم عيال الله وان ليس هناك من هو ابن الارض على محمل الجد ، وكان هذا القول من المبادئ الموجهة في جمع الانظمة الاجتماعية - السياسية . ولا يعنى هذا أن الوثام والانسجا كانا يسودان المجتمعات الافريقية المجموعية . فلقد كانت هناك فروق معترف بها بين الناس ، ولكن الانظمة التقليدية لم تكن تسمح لهذه الفروق بأن تكون موجودة في بعض المجالات . ومن هنا كانت الاشتراكية الافريقية متناهية في انسانيتها . ولم تكن قائمة على عقيدة مادية ضيقة الحدود والمجالات وانما كانت تفكيرا اجتماعيا - سياسيا فالفرد مسئول عن الكل ، كما أن الكل مسئول عن الفرد . واشتراكية افريقية أخلاقية لانها موجهة نحو العدل الاجتماعي والحرية وروح الزمالة ، ولا يمكن في المحتويات الافريقية الجديدة ، السماح ببقاء الاشتراكية رهن ارادة الحماس الديني ، وانما يجب تنظيمها على الصعيد الحكومي ، ولم يعد في وسع الاشتراكية الخاصة القائمة على سياسة «الحرية» والتي تسود المجتمعات اللافنية أن تعيش ، إذا ادخال التقنيات الجديدة الى افريقيا ، قد أفقد التوازن بين ما يستطيع الأفراد الذين يتركون وشأنهم ، جمعه من أموال بطرقهم الخاصة الاشتراكية المركزة والموجهة هي السبيل الوحيد لضمان بقاء الفرد قادرا على الحصول على الحد الأدنى من السلع والخدمات .

وبود المرء أن يعرف ان عاجلا وان آجلا المجال المتروك لحرية الفرد في كل هذا .

على الانسان أن يعترف أولا ، بأن لكل مجتمع من المجتمعات أساليبه الخاصة في الارهاب ، وتكون هذه الأساليب في بعض المجتمعات أكثر دهاء وخبا منها في غيرها من المجتمعات ، وتبتكر حتى المجتمعات الحرة والديموقراطية أساليبها المتفنة والخاصة للارهاب ، سواء تمثلت في موعظة دنية تلقى على منبر الكنيسة أو في طغيان النقابات ، أو في الانضباط الصارم لحزب من الاحزاب السياسية أو في الجراح التي تحدثها الاصطدامات بين الحكومة والاحزاب المعارضة أو في الفضائح وحملات التشهير التي تنسبها الصحف ، أو في مجالات السخرية من الاصدقاء أو

الابعاد من الرملاء ، أو في اطناء علامات الدخسة برفع الحواجب ، أو صم  
الشعاع ونفحها أو هز الاكتاف أو نحريرك الدفن بسمك منجم عابس أو  
غيرها من الوف الابتذارات . والارهاب شيء كره ومموت دائما وبالطبع ،  
ولكنه فعال في التاد من ان سلوك الفرد لن يتحول الى الاغراق في  
الغرابية ، ومن أن الحرية لن نحط وتندهور الى حشد التطرف الجنوني  
الاحمق . ولا يعتبر الفرد وحدة فوضوية . انه يعيش في أجواء منظمة ،  
ويؤدى نظام محيطه الى المطالبة بشيء من التبعية والانضباط ، ولا سيما  
في الاماكن التي لم يعم التعليم فيها بواجبه في خلق الاستجابات المرغوبة  
وعندما تكون هذه التبعية وذلك الانضباط مكرن ، كما هي الحال في  
المجتمعات الحرة والديموقراطية ، فانهما يمتلان قعاز الطفل الذي يحاور  
مواجهة قبضات من الحديد . وكثيرا ماتحول لطائف الارهاب الديمقراطية  
الى قناع يخفى الوحشية والاثرة ، ولكن ارهابات المجتمعات الديموقراطية  
والحرة بالطبع ، هي اكثر أنواع الارهاب اسانيه في العالم (١) اذ حتى  
ولو انهزم الفرد امامها ، فان هزيمته لا تكون الا بعد ان تتاح له الفرصة  
الكافية للنضال والصراع .

وهناك طريقة للنظر الى البلاد المتخلفة على أى حال، وهي أن نعتبرها  
في حالة حصار دائم . وقد زودتها النظرات السياسية الغربية بالفكرة  
استثله بان البيان السياسي لانه بلاد يمر في مراحل احصار الحرجة ،  
وبى حاد الطوارئ مهما كان شكلها بتغيير متروك دى طبيعة محدودة.  
أو مؤفة . ويمكن تمديد بعض الحريات أو الحقائق مؤقتا أو وضعها في  
صبيخ مخالفة تماما . أما البلاد التي يمر في حالات مماثلة من التطور  
السريع ، فابها قد تصبح ، كما يقال ، في نفس الوضع لفترة زمنية  
محددة ، وتتطلب الأزمات احرار استثنائية لمواجهة . وبواجه البلاد  
المتخلفة اليوم جميع مشاكلها في آن واحد ، بينما واجهت البلاد الأخرى  
عين هذه المشاكل بصورة منابعة ، وأعني بها مشاكل التعليم والمواصلات  
والصحة والتغذية والماء والمجمع والاقتصاد والقبلية الجموحة والمعموعة.  
وتماثل الصدوع القبلية في بعض البلاد الافريقية الصدوع السياسية  
التي تقوم في بعض مناطق النفوذ ، وكذلك الصدوع الافليمية التي توجد  
في بعض الكيانات الانحادية ففي بلاد كنيجيريا مثلا ، ليس ثمة من خطر

(١) لا أرى أى معنى لهذا التعبير اذ لا يمكن الجمع بين صدين كالارهاب  
والانسانية فلا يمكن أن يطلق على الارهاب صفة الانسانية مطلقا حتى ولو على سبيل  
المقارنة ، ولكن المؤلف كما يبدو حريص على الدفاع من وجهه نظره الى تجرح عن فكرة  
الحياة كما يبدو بوضوح من اتجاهاته الفكرية في الكتاب فاسدع هذا التعبير الذي لامع  
له ، وكان في وسعه لولا هذا المعالة في الحرص أن يقول انها أقل أنواع الارهاب وحشية.  
بدلا من أن يقول انها أكثر أنواع الارهاب انسانية . - العرب -

فى بعث القبلية اء لما كانت كل مجموعه عرفيه مسيطره فى ناحية من نواحي البلاد ، فان العنف الذى تولده المارات الطويلة يموب فى مهده قبل ان ينفجر .

ولا تتسابه الحكومات فى الوقت نفسه فى الواقع ، فى درجه احلاصها ، حتى ولو كان من الغيب أن تعمل هذه الحكومات على أساس الافتراض بأن جميع الحكومات سسلك سلوكا لا معقولا . ومع ذلك فان الحكومة وحدها هى صاحبة الحق وصاحبة السلطان فى أن تعلن حالات الطوارئ فى البلاد ، ولا سس القوانين الا عند مانبيين الضرورات لسنها . وعندما يكون القانون من النوع الزجرى ، فان الوضع يطهر وكان هناك حقا قد اعنصب أو العى . وقد يقوم الانسان بعمل من نوع ما ، ولا يعتبر عمله جريمة أو جحه ، ولا يعاقب على عمله هذا ، ولكن عندما يسس القانون الزجرى الرادع يندو عمله جريمة يستحق عليها العقاب ، ولكن السريع قد يكون فى الواقع بقصد حماية حق من الحقوق ، ونعائى حكومات البلاد المتخلفة من سنى الصغوط الهائلة التى شعرض اليها ؛ فقد يطلب اليها أن تنظم الحقوق ، وأن يسوى بينها وأن نحمى الحقوق والمصالح المشتركة ، بتطلب هذا كله منها سيئا من الحساب الكيفى الدقيق الذى يحملها على تجاهل حق من الحقوق لمصلحة حق آخر ، أو لمصلحة ذلك الكسب أو تلك الفائدة . ولكن عندما تشرع الحكومة فى اعتبار نفسها ، يد الشعب العاملة وضمرة ارادته ، وحتى تبته فاتها تعرض نفسها لاغراءات خطيرة ، ونبدأ فى فقد انصالتها بنفض السعب وأحاسيسه . ولكن مجرد الاحتمال باساءة السلطة لايعتبر فى حد ذاته بعدا ، فمن طبيعة المنجزات وظواهرها أن تتعرض الى الافساد أو ألا نصيب الهدف . ولا يعتبر الاحتمال دليلا على الامكان أو السريح . وللحكومة نفسها مجموعة من الحقوق فهى ملزمة بأن تعمل صم الدسور ، وهى لاتستطيع الخروج عن نصوصه كما أنها عاجزة عن مخالفة . وفى البلاد السريعة التطور حيث النفافات بصطدم بالنقافات ، وحيث الميوعة بسود كل شىء ، بحب الحفاظ على السكليات ذات الحدود الصارمة المترتبة .

ونغدو دور المتقفين فى مثل هذه الأوضاع دقيقا كل الدقة . وهم شعرضون فى البلاد المتخلفة أو السريعة النمو والتطور لنوعين من أنواع الحذب ، أولها الجذب الذى شترك فيه جميع المتقفين ، والقائم فى الفكر القائلة بأن الثقافة عالمية الشكل والصورة وليست فومة الطبيعة أما الجذب الثانى الذى بتعرضون له فهو التطلعات القومية الخاصة بالامة التى بنتمون اليها ، وتصح تسميتهم بالمتقفين القوميين أو المتقفين الوطنيين طبقا للمدى الذى بستحييون فيه لقوة الجذب هذه . وبخلق هذا الازدواج

هى الجذب الذى يتعرض له المثقفون نوعا محتملا من السافضى فى الدور الذى يؤدونه . وقد يجد المرء بعض المثقفين مثلا ، يؤكدون الجانب العالمى لكهاياهم ومؤهلانهم كما قد يجد المرء بعض المثقفين الاخرين يؤكدون الجانب القومى من هذه الكفايات ولا سيما عندما تكون بلادهم تمر فى مرحلة التطور السريع أو يعيش فى وضع من أوضاع الحلف ، ولا يشبه المثقفون فى فترات الانتقال بشكل من الاشكال العلماء والجواريين فى أوروبا العصور الوسطى أو المثقفين فى العهود الإسلامية القديمة ، من المسائين الذين لا يعرفون بعمومية خاصة بهم (١) وهم على النقيض من ذلك، يجدون أنفسهم مرتبطين ببلادهم حتى عندما يأخذ المرء بعين الاعتبار أولئك القريبين من نفايد القرون الوسطى الذين يبحثون عن العمل مع هيئة الامم المتحدة، ويحصلون عليه معا . وليس الصورة العامة صورة مثقفين من الآسيويين والافريقيين ينتقلون من بلاد الى أخرى ، يعملون كصحفيين فى بعضها ، ووزراء فى البعض الآخر ، هم يسهون على الغالب كمؤرخين فى بعض نال . ويكون حياتهم على الغالب معتمدة على ارتباطهم بمناطق معينة ، وتكون عالميتهم على الغالب من ذلك النوع الذى يتابع الدراسات العلمية والأكاديمية ، كان بغرقوا أنفسهم فى الدراسات الفلسفية أو فى الظهور كخبراء فى أدب سكسبير فى وقت يحتاج فيه بلادهم اما بسبب تخلفها أو بسبب تطورها السريع الى جهودهم وطاقتهم فى مجالات ذات أهمية آنية . ومن الواجب على أى حال تمييزهم عن المثقفين فى المجتمعات الثابتة المسنرة الذين اما أن يؤدوا دورا يحتاج اليه مجتمعهم كدور الكهنوت فى مصر القديمة مثلا ، أو كدور متابعة الدراسات العلمية فى أوضاع قومية لا يكون فيه نمة افتقار الى التقنيين أو الموظفين المدنيين أو غيرهم . ولا عبر منقو أوروبا الغربية وأمريكا أو حتى الاتحاد السوفياتى من التنصيب ولكنهم أشخاص يستطيعون أن يغدوا من المثقفين الذين يؤلفون حلقة تستطيع بلادهم أن تعتمد على الاختيار منها فى أوقات الحاجة ، كما حدث بالفعل فى الحرب الماضية ، عندما غدا أساتذة الجامعات يعملون فى مهام تستند الى التخصص ، وإن كانت تختلف فى الوقت نفسه كل الاختلاف عن الاعمال التى تدربوا عليها أو المهنة التى يحترفونها ولا ريب فى أن هذا التقلب لى الا مرة المؤهلات لا التوجيه الذى تتلقاه المثقفون

---

(١) اعتقد أن المؤلف لم يفهم تمام الفهم طبيعة العصور الإسلامية فلسفد وقع الاردواح فى العصور العربية الذهبية فى أيام الامويين والعباسيين بين العروة والاسلام وكانت ثقافة هذه العصور اسلامية الطابع ، لان المعاهيم القومية الحديثة لم تكن معروفة بعد . ولذا لا يمكن الفصل بين العروة والاسلام بالنسبة الى هذه الثقافات .

في المهن التي يحترفونها ، والمتفنون عنصر لاغنى عنه في كل مجتمع موضوعي .

ومن المؤسف كل الاسف ان يغدو المبدعون في المجتمعات المنحلقة منعين مجهدين . وبطلوا على المصنف بعن المصنف المجهد عندما يقوده فرضة الوصول الى افكار جديده دافعة بالحماس والابارة . والمصنف هو طرار من الخبراء ، وما احبب الا اسرار سبع منه الافكار بسهولة وبساطه . وهذا بعنى بالطبع ان المصنفين يميلون الى الاعتماد على ذاكرتهم وعلى عاداتهم وعلى كل ما اشغلوا أنفسهم فيه وألفوه . ومع ذلك فان المصنف وحدهم هم الذين يستطيعون أن يكونوا حساسين اجتماعيا بالنسبة الى الاحتمالات والاطار المرتبطة مع التطور السريع بأقل ما يمكن من الالاف وبأكثر ما يمكن من الاقتصاد . وقد يكونون في البلاد السريعة النمو والتطور أكثر فائدة منهم في أى مكان آخر .

وبعتمد كل مجتمع في بعائه على درجة ملحوظة من الموضوعية ، ولا ريب في أن الادوات الناقدة واللاعاطفية التي يستطيع المنقذ استعمالها في نحري المسائل والمشاكل ، قيمة كل القيمة . فالنقاس البناء يوجه دائما نحو الموضوعية .

ويمكن تقسيم سياسة أفريقيا الخارجية الى قسمين . قسم يتعلق بأفريقيا نفسها ، ويوجه نحو توثيق الوحدة في تلك القارة . وقسم يتعلق ببقية أنحاء العالم ويعتمد على سياسة مثابرة من الحياد . أما بالنسبة الى أفريقيا ، ففي وسع المرء أن يقول ان مستقبل القارة الافريقية يمكن أن يكون أكثر اشراقا اذا تحققت لها وحدتها . وما دامت أفريقيا مجزأة لامن الناحية الافليمية فحسب ؛ ولكن من ناحية المنافسات على المكانة والشهرة أيضا وهي المنافسات التي تصل أحيانا حد العداء بين بلاد وبلاد ، فان تلك القارة ستظل مفتقرة الى القوة والأهمية اللتين يحولهما اياها مساحتها وبروتها الطبيعية ، ولعل أفريقيا هي أغنى قارة في العالم وهي كالاتحاد السوفياتي ، وكأمريكا القارة ، تضم في داخلها كل ما تحتاج اليه لتطورها الصناعي باستثناء المهارة الفنية ورأس المال .

وليس الحياد رفضا «عكسيا» للخيار بين الخير والنشر . فليست له أية علاقة على الاطلاق بمثل هذا الخيار . والخلافات القائمة بين الرأسمالية والشيوعية التي تتمخض كما يبدو عن زوبعة ، ليست في تناول الأساس الدقيق للبلاد المحايدة ، لان هذه البلاد لم تمر بتجربة ما في هذه الخلافات من حوافز قوامها التورط والالتزام واللذين أديا اليها (١) . فالشيوعية والرأسمالية في جوهرهما ليستا صورة مخففة لما

---

(١) أعتقد ان المؤلف قد حاد عن جانب التصوير الصحيح لموقف دول الحياد =



يعوم بين الأبيض والأسود من سافى وحلاف . ولا بود البلاد المحايدة أن نتحد مؤايف محدده مسبها بالنسبة الى كافة القضايا ، بحيث يكون ردها على أى سؤال معدا جنبى قبل أن يبار السؤال . انها تؤبر أن ننظر الى المسائل عندما يبار ، وأن يكون رأيها فى كل مسألة على صوء ما فى هذه المسألة من وافح . والحياد تحرر من الانحياز ، ولا يمكن أن يعبر بأى حال من الاحوال نقاعسا عن اتخاذ القرارات . ويعتبر هذا الموقف وحده مهما بالنسبة الى الخلافات المبدئية بين الشيوعية والرأسمالية . ولعل الحقيقة فى وجود آراء لم تتولد بعد وأحكام غير مفررة يساعد هذه البلاد على منع النظامين المتضاربين من اللقاء الحقيقى . وتؤلف البلاد المحايدة طرازا من العازل بينهما ينولى امتصاص التصادم ومنعه ، كما انها المناسبة التى تترك أثرا ملطفا على النظامين ويبدو دعاة النظامين ، ولصالحهم هم قبل أى شىء آخر ميالين أحيانا للظهور بمظهر العقل والمنطق . وقد نقف آراء الحياديين ، وليس من الضرورى أن تتفق دائما الى هذا الجانب حيناً ، وإلى ذلك الجانب حيناً آخر . وعندما تكون هذه الآراء باعثة على الرضا من أحد الجانبين فى موقف من المواقف ، فيجب ألا يفسر الجانب الآخر هذا الموقف على أنه يجعل طابع العداء له ، فالحياد هو انكار ونفى لمثل هذا الشعور العام . ولا يمكن لآراء المحايدين أن ترمز الى أى شىء (١) .

= هنا ، فليس صحيحا أن يقال أن الخلاف القائمة بين الكتلتين المتصارعتين بعيدة عن تناول أحاسيس البلاد المحايدة لأنها لا تفهمها بسب عدم مرورها بتجربتها فمثل هذا القول فى رأى يحمل دعوة مضطة الى الانضمام الى هذا الحالب أو ذاك بعد تفهم الخلافات . واتى لأمس أن سياسة الحياد الايجابى مستمدة من العهم العميق للخلاف القائم بين الكتلتين والفهم العميق لاحتياجات السلام العالمى والعهم الصادق لمصالح الدول التى لا شأن لها فى هذا الصراع . - المغرب -

(١) اعتمد ان هذا القول امتهاا لفكرة الحياد الايجابى ، وعدم تقدير لها كل التقدير ، اد انها تحمل معنى الاتهام « بالعصوية » وعدم قيام السياسة الحيادية على مفاهيم ثابتة ومبتصرة . لقد نعت فكرة الحياد الايجابى أول ما نعت من الرغبة العالمية فى السلام بعد أن كانت التبرية ما عاتته من وبلاء الحرب الاحيرة ، وبعد أن تبيت خطورة نشوب أية حرب جديدة نشبت الاحترامات الذرية والهيدروجينية التى ستزول الدمار بالعالم ان نشبت أى حرب . وتبين لأصحاب الفكرة ان الصراع العقائدى والمصلحى بين الكتلتين سيؤدى الى تحول نطاق الحرب الباردة الى جرب « ساخنة » ولذا بات من واجب الدول التى لا شأن لها فى هذا الصراع العقائدى والمصلحى ، والحريصة على سلام العالم ألا تخوض معركة الحرب الباردة وان تنأى عنها ، وأن تقف منها الموقف الذى تمليه مصلحة الشربة جمعاء ، ومصلحة السلام العالمى ، ومن هنا تبين أن مواقف الدول المحايدة من أية مسألة عالمية ، تمرر على صوء هذه الفكرة الأساسية قبل أن تفر على صوء المصالح الذاتية لكل منها كما أراد المؤلف أن يعول . ومن هنا يتبين أن لا صحة للقول بأن هذه المواقف لا ترمز الى أى شىء .

- المغرب -

وعلىنا أن نذكر هنا ، ان نمه عدة هيئات محايدة فى العالم اليوم .  
وما جامعة التسعوب البريطانىة الا مثل من هذه الامثلة . فالجامعة هيئة  
محايدة وينتمى بعض أعضائها الى عضوية احلاف لا يمكن أن تدعى  
بالأحلاف الحيادية ويضمن حياد الجامعة ألا تكون بأى حال من الاحوال  
احدادا عدوايا ، بل احدادا بدميا ، وفى وسع الدول الأعضاء  
من غير المنضمه الى الأحلاف فى هذه الجامعة ، أن تسئل الى الطرف المعارض  
لهذه الأحلاف بشيء من الصدق والوبرق بالنفس والود ، آراء زميلاتها  
من الدول الاعضاء المنضمه الى الاحلاف ووجهات نظرها (١) . وهذا  
التنوع فى تأليف جامعة التسعوب البريطانىة هو مصدر قوتها . فالجامعة  
قوية فى داخلها لانها تمتل بنوعا فى الآراء وليس بيه من فائدة تجنى من أى  
ناد من النوادي ، اذا كان جميع أعضاء هذا النادى ينسركون فى الآراء  
فى جميع المواضيع . فمثل هذا الوضغ يجعل النادى مفسرا الى ذلك العنى  
فى الشخصية والمهم الذى ينجم عن تقدير وجهات النظر المنصاربه  
وبفهمها . ومن واجب كل دولة من دول جامعة التسعوب البريطانىة أن  
سكرك لهذه الجامعة الفرصة النى تتيحها لها فى جلاء مشاكلها عن طريق  
النظر فى المشاكل المتسابهة بطرق مخلفة ونفسيرها ونناولها من نواح  
مخلفة وعلى ضوء وجهات نظر متعددة . ولم تعد الدوله اليوم كما كانت  
فى الماضى جهازا موجها من الداخل توجيها داخليا .

ولعل أمريكا قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، واليابان قبل  
ذلك بكثير قد عرضتا أروع منالين على الدوله ذات الجهاز الداخلى التوجيه  
فى المصور الحديته . ولقد بات اليوم تاتر العلاقات الدوليه على المواقف  
التي تتخذها القوى داخل الدوله نفسها كبيرا للغاية ، وأصبح ما يمكن  
للبلاد أن تسمح به داخليا ، يعتمد بصورة متزايدة ، وتحمل طابع الحظوره  
على العلاقات الدوله ولكل بلد من البلاد اجراءاتها وترتيباتها التي  
لا تستطيع تنفيذها ، مخافة أن يؤدى ذلك الى اغضاب أولئك الذين نطلع  
الى حسن نواياهم وتعاونهم ، وقد يكون هذا الموقف دليلا بطريقه من  
الطرق على وجود حد معين من الوحده الدوليه ، ولكن من سوء حظ  
أفريقيا أنه يسير على خط يجعل الانقسامات الناتجه من النوع الذى  
لا يمكن اصلاحه ، فعلى الرغم من أن ميثاقى الاطلس ووراسو ، يمكن أن

---

(١) اعتمد أن المؤلف قد أعطى لجامعة التسعوب البريطانىة هنا دورا اكبر من  
دورها الصحيح ، فالمعروف ان هذه الجامعة تضم دولا عدة منها المرتبط بالأحلاف  
العربيه ومها المتبع لسياسة الحياد الإيجابي وعدم الإحبار ، ولذا فالمعروف ان موقف  
الجامعة من القضايا السياسيه لا يمكن أن يكون موجدا ، وهكذا فان دور الجامعة فى  
رأى لا يعدو حدود البحث فى القضايا الاقتصاديه ، والعلاقات بين الدول الاعضاء  
أنفسهم .

بعبارة مبسطة من أمثلة الوحدة الدولية ، إلا أنهم يسيران على حطين  
يجعلان الانقسام بينهما من النوع الذى لا يمكن اصلاحه .

وإذا كانت جامعة الشعوب البريطانية قوية فى داخلها ، فابها  
لانفقر أيضا الى القوة فى خارجها . وتعتمد قوتها الخارجية على المدى  
الذى لا تكون فيه ضعيفة ومنزمنة ومحصورة فى تفكيرها . وللتدليل على  
وجود الوحدة الدولية فى ود وصداقة ، يجب أن تظهر للعالم انها لا تحلو  
من الخلافات ، وان كان فى وسعها ان تغلب عليها . وليس فى وسع  
أية مجموعة دولية أن ترشد الى الطريق الى الوحدة فى عالم يسوده الاختلافات  
الجذرية ، اذا كانت هذه المجموعة يسودها الانسجام ضمن اطار التزم .  
وعلى جامعة الشعوب البريطانية ان تظهر انه على الرغم من تنوع دولها  
الاعضاء لامن ناحية العنصر فحسب بل ومن ناحية وجهة النظر والتجارب  
والبرامج أيضا ، الا انها لا تحس بأى نفسى ، بل وتستطيع أن تميز  
المناطق التى تستطيع أن تحقق فيها التعاون بين أعضائها على أساس من  
التكافؤ والمساواة .

ونواجه أفريقيا اليوم عددا من النورات المتماثلة والمتوارية ، انها  
نواجه ثورات فى ميادين السياسة والاقتصاد والمواصلات والتربية  
والتعليم وغيرها من الميادين المتماثلة . ومن الواجب أن يربط المرء فى هذه  
الثورات عناصر التضامن والنعم الى ينطوى عليها التراث التليد للقارة ،  
والا تسمح هذه الثورات لنفسها بالانسياق مع السيل الثورى العالم ،  
وكانها « طفاوة » بائسة خلفتها العصور القديمة . فأفريقيا فى حاجة  
دائمة الى من يذكرها بطبيعتها التقليدية الضخمة ، ولعل أروع آمالها  
معلقة فى الافادة من نراتها وتقاليدها .

وهناك فى افريقيا مثلا الكثير من سننها الاخلاقية وشرائعها التى  
تعتبر انسانية فى طبيعتها . ومن واجب ثورات افريقيا الا تسمح  
لنفسها بطمس سنن افريقيا وشرائعها الانسانية . فالثورات نفسها فى  
حاجة الى مبررات اخلاقية لها . وهناك فى افريقيا اليوم بعض العادات  
المألوفة التى على الرغم من عدم اعتبارها مشاكل بموجب السنن الاخلاقية  
الافريقية ، الا انها على أى حال تثير الاخلاق الاوروبية الى الحد الذى يدفع  
كثيرين من الافريقيين أنفسهم الى النظر اليها وكأنها مشاكل أخلاقية .  
ولعل أبرز هذه القضايا مسألة تعدد الزوجات . فما زالت افريقيا من  
البلاد التى تمارس هذا المألوف . ولم يؤد تحصيل العلم والمعرفة فى  
افريقيا دائما الى اقناع المتعلمين بالانصراف عن تعدد الزوجات أو  
استنكاره . ففى المناطق الاسلامية فى افريقيا ، الى حد كبير أيضا فى  
المناطق المسيحية ، ما زال الكهنة من المثقفين ثقافة مرموقة يمارسون.

تعدد الزوجات ، حتى على الرغم مما جرى يمينهم وبين السنن المسيحية من اتصال . فتعدد الزوجات دافع اجتماعي ضخم في إفريقيا ومن الواجب معالجته بمسهي الجد والعمى .

رى هل تعدد الزوجات مناف للجلال الكريمة " عندما بعنبر الزواج بواحدة - على صوء مقولات المطق - السشكل الكامل البوجيد للزوج ، والتشراكة الحقيقية . النى يقوم بين انسانين ، أحدهما الرجل والآخر المرأة . وبحون هذا الاعتبار على جميع الصعدان لا على البصبعد الا بصلاحي وحده ، أو على صعيد مجرد العناية بالاسره واناجها ، وانما قبل كل شئ على صعيد الرفعة الحياتية بين شخصين دون سواهما ، فإن هذا الاعتبار ، وكل ما يلحقه من أووال ، يوحى بأن لتعدد الزوجات علما اجتماعيا خاصا به وقد اكتشف الباحثون ، فى إفريقيا ، ان تعدد الزوجات ينشر أكثر ما ينتشر فى المناطق التى يرفع فيها نسبة الوفيات بين الاطفال ، وينسر العم عند النساء ، أو المناطق التى يعرف عدد النساء فيها عدد الرجال ، أو أحيانا فى المناطق التى يعبر فيها الأكنار من الزوجات من شروط المكانة . ولا يمكن اعتبار كل هذه القضايا مجرد ارتباطات تافهة ، بل يمكن أن تصبح جزءا من المناقشات الخلقية التى تتناول موضوع منع الحمل .

لا ، من الواجب أن نقارن ومفاضل بين حسنات تعدد الزوجات وحسنات الزواج بواحدة . ففى شرقى بيجيريا ، تقوم النسوة فعلا بتشجيع تعدد الزوجات ، وهن يسنن أمورهن بطريقة تضمن الوثام والصفاء بدلا من العداوات العائلية . ويبدو أن تعدد الزوجات والزواج بواحدة ، هما نظامان للزوج ، يرتبطان أوتى ارتباط بالافكار المتعلقة بأسس المجتمع . فحينما بصور المجتمع على أنه قائم على الحقوق الفردية ، فإن الميل بسود نحو نظام الزواج بواحدة ، اد يؤخذ المبدأ القائل بعدم الاعناء على حقوق أى فرد بعين الاعتبار . ويعمل نظام الزواج بواحدة على بصيانة هذه الحقوق والحفاظ عليها . أما إذا اعبر المجتمع من الناحية الأخرى قائما على أساس شبكة من الواجبات والالتزامات ، فإن الحقيقة الواقعة بوجوب تحديد حق الفرد فى الغذاء . لا تصبح كبيرة الأهمية ، نظرا لوجود شخص حدبد بتحتم على الفرد أن يؤمن غذاءه . والاولاد غير الشرعيين أعضاء مسساوون فى نفس المجتمع مع الاولاد الشرعيين ، وعندما تكون دوافع الفرد ناجمة قبل كل شئ عن التزاماته تجاه أعضاء المجتمع ، نعدم الفرق الذى يقوم على لا شرعية الولادة ، فى الحقوق بين الاطفال ، ولا بغدو لتعدد الزوجات أى أثر مهما كان ضئيلا فى الحقوق الفردية .

ومن الطبيعي أن يؤثر النساء نظام الزواج بواحدة ، في المجتمعات التي يكون فيها الحياة الاقتصادية للشعب النسائية الطابع لا جماعية الصورة . وقد فوّت الحركة لتحديد عدد الزواج في بعض المجتمعات الإسلامية ك مصر و تونس والجزائر . حيث أصبح النساء فادرات على خصوص مبادئ الأعمال الكتابية والتعليمية بأعداد وافرة . وقد ألعب حكومه تونس نظام عدد الزوجات ، على الرغم من أن الدين يسمح بهذا العدد . أما في المجتمعات الجماعية الطابع في حيانها الاقتصادية فإن هدم الجماعية يجد أيضا التعبير عنها في العلاقات الزوجية على أساس عدد الزوجات . وقد تحولت المجتمعات الأفريقية في الواقع الى التصنيع الى حد ما وإلى الطريقة الاكتسابية الى حد آخر . ولم يعد هناك الا عدد قليل من الرجال والنساء يطهرون الميل الى نعدد الزوجات .

ولكن لعدد نائية الى سؤالنا الأول ، هل عدد الزوجات مناف للاخلاق ؟ اذاً صح انه مناف للاخلاق ، فان الأخلاقية فيه لا تنجم عن ناحية اشتراك الحياة في الزواج . فهناك اشتراكات عنه يكون الشركاء فيها كثيرين . وحتى رفقة الحياة أو الصداقة لا تتطلبان أن تقصر الرفقة أو الضجة على شخصين اثنين لا نالت لهما لتأمين نجاحهما . وإذا لم يكن الزواج مرة واحدة أمرا ينافي الاخلاق ، فإن الزواج مرتين لا يمكن أن يعبر منافياً للاخلاق .

ومن واجبا أن نعرف على أي حال ، ان النساء يؤثرن بل ويشلھفن على نظام الزواج بواحدة . ويعني هذا النظام اكتساب أحاسيس جديدة ، والاستعداد للوصول الى انضباط متكامل . بل والتضحية بالذات في ميدان خدمة المجموع المغلق . وفي وسع الانسان أن يصفه بأنه نزعة ممتعة . انه مثل أعلى بصورة دائمة .

ومن واجب التعليم في افريقيا أن يزود الأفريقيين بمقومات الشخصية اللازمة لمواجهة شذائد الأوضاع الأفريقية . ويرجع الاضطراب الذي يحدث في نهاية فترة صياح الاستقلال . الى الحقيقة الواقعة وهي انه لم يحدث قط أي فراغ في القيم في افريقيا . وصراع القيم في افريقيا المثقفة ، كمحاولة لاجساد توازن مرض بين انعزالية الفرد ومسئوليته تجاه أقاربه ، هو انعكاس لمثل هذا الاضطراب وتلك الفوضى . أما المواقف التي يحملها المهاجرون الى المناطق المدنية ، فانها تدخل بوصفها موافق تقليدية - كل ما تحمله من شذائد الى جوار هذه المدن واجوائها . ولا ريب في أن خصائص هذه الشذائد تعبر تعبيراً آخر عن هذا الاضطراب . والشذائد هي انعكاسات ، ولذا فإن التجارب التي مر بها الآخرون في أماكن أخرى لا يمكن قبولها كموجه دون تجربتها

والتنبت منها . وهناك فروق ثابتة في المركبات المفسية والمفاهيمية للمواقف والعقائد والقيم والانضباطات العاطفية ، التي يخلقها الحياة المدنية في افريقيا وأوروبا . ولم يسبق لأوروبا قط ان مرت في تاريخها بالوضع الراهن الذي نمر فيه أفريقيا ، ولم يحدث لأوروبا في هذا التاريخ ان ووجهت بفارة على النحو الذي نواجه به الآن افريقيا وهناك مشاكل اجتماعية يجب فهمها وحلها . وهناك أيضا قضايا تتعلق بالانماء الوطني ، في النسئوز الصحية والمواصلات والتربية والتعليم والصناعة . ومن واجب التعليم في أفريقيا أن يمكن أكبر عدد من الناس من فهم التداؤد ، والجهد الذي تتعرض له الفارة وكذلك من تقدير التبدلات التي تقع فيها ، ومن الاسهام اسهاما كاملا بروح اشتراكية صادقة لمنفعة المجموع وخيره . واذا ما ارتبطت التعليم بحل المشاكل ، فان من الواجب والحالة هذه تبين الحقيقة الواقعة وهي ان هناك أنواعا مختلفة من هذه المشاكل . ولا يمكن مثلا أن تكون جميع المشاكل التي تواجه أية أمة من الامم في أى وقت من الاوقات مهنية مجردة في طبيعتها . فبعض المشاكل تتعلق بالليبرالية ، وتختص بالقيم البشرية وبالسياسات التي تؤثر تأثيرا مباشرا على الناس . ولكن على الرغم من ان هذه المشاكل قد تستهدف بالتعابير الكمية والارقام ، الا انها لا يمكن أن تصاغ في مثل هذه التعابير دون أن تخلف بقايا . ولا يمكن الحصول على تلك الحساسية العقلية وتلك الروح اللتين تمكنانا من موازنة الاعتبارات المتعلقة بالموضوع هنا ، وصقلهما عن طريق التدريب المهني ليس الا . فالامة قد تفتاج في كل حين وأن الى ضرورات ملحة . وليسست هذه الضرورات الملحة في الواقع التعيزي الا ضرورات آتية . ولكن لا يمكن أن يصاغ البنان التعليمي للامة صياغة صارمة بطريقة مستعجلة وأسلوب انتهازي لمعالجة المشاكل الآتية وحدها . فالتعليم نشاط مستمر على طول السنة ، وهل في مكنة انسان أن يحدد حاجات الشعب من وقت الى آخر ، أو أن يبين الطريقة التي قد تتحول فيها وتبديل ؟ فالحاجات تتبدل ، أذ أن بعنهما قد يتحقق والبعض الآخر قد يكبح ويكبت بينما قد تخلق حاجات جديدة في كل وقت . ومن واجب البنان التعليمي للامة أن يعد بحبث يؤمن الترياق الشافى واللازم لجميع الحاجات المتبدلة وحتى الحاجات غير المنظورة . والقدرة على تحقيق هذا هي التفسير لذلك الافتقار الظاهر للواقعية الذي يقض على الكثير من الجامعات مضاعفها . ويزعجها كل الازعاج . والاستعداد لمعالجة المشاكل التي لم تظهر بعد والتي يصعب تحديدها أو شرحها ، يمكن أن يتألق بصورة الخيال ، عندما يمتحن امتحانا عسرا مع المشاكل الملحة والمرهقة . ومن الواجب مطالبة الشدوب العديدة في افريقيا بتفهم فضائل هذا الخيال والعطف عليها . وقد يكون من الخطأ على أى حال بالنسبة الى أية جامعة ، أن

نصديق على نفسها أو أن نحقق خيالها بما يخلفه هذا الخيال من متعة اد  
عندما تتحول الجامعة الى برج عاجى منيع لا ينفذ اليه ، ولا تتجاذب مع  
مسائل الساعة بسبب استغالها التكويني بمشاكل الماضى أو مشاكل  
المستقبل ، فانها تغدو سيئا مقيتا يذير الاستهجان .

ويمكن اخفاء شئ من التأكيد والتوجيه المؤقتين على البنين  
العلميى للامة فى بعض الاحايين وطبقا لقواعد معينة . فملا يمكن  
الاكثار من المنح الدراسية لبعض فروع المعرفة بالنسبة الى الفروع  
الاخري ، وذلك ابان الفترات الزميه التى يكون النص فيها فى عدد  
الاكفاء فى ذلك الفرع حادا للغايه . وفى الامكان توسيع الدوائر  
ليتناجوب مع هذا التوسع مع غزارة العمل أو وفرة الطلب على المهارات  
الفنية . وعلمنا أن نذكر أن قيمة المنقف فى كثير من الحالات بالنسبة  
الى مجموعته لا تكون فى مدى ما تعلمه ، أو فى مدى ما يمكنه تطبيق  
ما تعلمه فيها ، وانما تكون فى انضباط عاداته العقلية ، وفى صقل قواه  
الفكرية وشخصيتها وهى القوى المتأصلة فى تجاربه الطويل وغير اللازم فى  
حقول العلم والمعرفة .

ولم يتميز التعليم فى افريقيا فى الواقع فيما مضى بالمرونة . فلقد  
كان يتجه الى حد كبير الى ما كان يعتبر ضمن الحدود العقلية الضيقة  
والمؤقتة بمسائل الساعة . ويبدو أن هذه المشاكل كانت تنلخص فى  
ضرورة اخراج عدد كاف من الكتبة والوعاظ . وكانت ثمرة هذا الوضع  
خلق هذا الافتقار الهائل الى التوازن ، القائم حاليا فى التعليم الافريقى .  
وقد أمكن ازالة هذا الافتقار الى التوازن ببسطه عن طريق الجهود التى  
بذلتها الحكومات الوطنية .

ويرتبط سموء هذا الافتقار الى التوازن بوجهات النظر المركزية  
الانوية التى ميزت الدراسات الاوروبية عن افريقيا . فلم تكن افريقيا  
تمثل للاوربيين قارة لها كيائها الخاص بها . ولهذا فان التعليم لم يرسم  
لخدمة المجتمعات الافريقية ، والحفاظ على وحدة المجتمع فى الوقت نفسه ،  
وانما رسم لتقوية ما تقدمه افريقيا لاوروبا من خدمات . ومن هذا نشأ  
هذا الشكل الغريب للتعليم بكل ما فيه من محتوى تافه .

وقد عانى رواد علم الاجنساس البشرية من الاوربيين من نفس  
المركزية الانوية فى افتراضهم أن المجتمعات الافريقية هى صمور أقل  
نجاحا من مجتمعاتهم ، وأن العقائد الدينية والغيبية الافريقية ليس  
الا أوهاما علمية تافهة .

وعلى الرغم من ان هذا الافتراض يبدو طبيعيا ، إلا أنه لا يقل خطأ  
عن الافتراض السابق وذلك بسبب الوسط الثقافى - الذى نبغ منه

علماء الاحساس البسرية . اذ لما كان هؤلاء يعيشون عصورهم العلمية في أوروبا ، فقد خيل اليهم ان جميع المجتمعات الاخرى ، تهتم بما يهتم به مجتمعهم ، ولكنها نفتقر الى الطافة والدكاء . وعندما كان يحسم عليهم التفكير في موضوع المجتمعات الاعربية القديمة ، كانوا بدون اسعدادا أكبر ، اذ أن هذه المجتمعات لم تكن معاصره لمجتمعهم ، وكانوا يميلون الى معالجة النظريات الاعربية على انها فلسفة أو غيبة لا على انها علمية في غالبيتها . أما افريقيا فكانوا يعالجونها على انها شكل ضيق محصور من اسكال التنسيبية واذ كانت الحكومات الاعربية نفسها على اسعداد لدفع المال من أجل الاتفاق على البحوث العلمية في الفن والدين والفكر ، فان في الامكان ظهور صورة صادقة ومكتملة للشخصية الافريقية بسرعة وسهولة . وللبحوث الاجتماعية في افريقيا وأوروبا أساس مادي عميق كل العمل . وقد تكون المبررات لهذه البحوث في أوروبا أكثر منها في أفريقيا ، اذ أن سيطرة النظرة المادية على الفكر الأوروبي أكثر كمالا منها على العقل الافريقي .

فما زال العقل الافريقي بسجيبي بصورة مبدئية الى الفن والدين والموسيقى والاخلاق ، أما العقل الاوربي ، فقد بات صورة مستكملة للسفسطائية وتحتم على أوروبا لابراز أفكار تتمتع بالاحساس الطبيعي والتجاوب مع هذه الافكار ، ان تغوص في أعماق ماضيها وتاريخها العريق . وقد يرى المرء بين الآونة والاخرى ، جمهورا من النظارة الذين استهوتهم أعمال التطريز الاسبانية التي يعود تاريخها الى القرن التاسع عشر . ولا ريب في أن ما ينطلبه العقل الاوربي الحديث من نهوض واعداد وتثقيف ، لبعث احساسه بالتجاوب مع كل ما هو سام وجميل ، وما تتصف به من تطبيقية جامدة لسفسطائيته ، هما الدليل الواضح على جفاف جماليته . والحمالية المثقفة حساسية مصطنعة . وعندما تكون الحساسية طبيعة فقط ، تبدو آنية لا جهد فيها ، وتصبح رائعة ، ملهمة ، لاتدعو الى التقزز والتأفف . أما الحساسية المصطنعة المتفلسفة فتمزق كل ما نتصوره . انها الحساسية التحليلية التي تغوص الى الاعماق في بحريها ، والتي تبث في الامور وكأنها موسى قاطعة . وهناك تضيق بصمب ذلك الخضاب الداخلى الذي يصيب عشرات الالوف من المساعر المجلجلة الطناسة في حالة من النمل البدائي ، الذي يعتبر خلاصة الحساسية التي هي الفكر القائم على المنطق .

ولكن يبدو من الضروري رغبة في عدم ضياع الحساسية الافريقية، عن طريق الاغراق في التعليم التقني أن نقتات هذه الحساسية على لغانما المجلية الخاصة بها وينعكس مبدى الاحساس دائما في مرآة الامكانيات اللغوية ، وعن طريق الاستغلال الدائم لهذه الامكانيات أولا عن طريق



تسجيل الأدب الإفريقي التقليدي وذلك حتى يمكن الحصول على وعى دقيق  
باللغات كالعادات مندوبة ومكتوبة . وسنجعل الالفه المفهومة التى يجعلها  
هذا الوضع أمرا ممكنا ، من السهل على الكتاب أن يغرفوا أنفسهم فى  
تقاليد أدبية عقيمة .

ولقد أوصحب فى الفصل الثانى أن هناك شيئا من التشابه فى  
جماعية التقاليد الإفريقية وبرابها . وبجعل هذا التشابه إمكانية التعاون  
فى الوسائل المؤدية الى المحافظة على الحساسيه الإفريقية شيئا طبيعيا  
وممكننا . ولكن هذا الأسلوب ليس بالوحيد حقا فى ضمان نجاح التعاون  
فى إفريقيا . فهناك أوجه عدة للتشابه ، تكفى لدعم كل سىء ، حتى  
حركة الوحدة الإفريقية نفسها ، التى هى الملل الأعلى للإفريقيين . ولقد  
نحدث فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ، كثيرا ، لايضاح طبيعة  
الوجود الثقافى المتشابه فى إفريقيا . ولكن علينا أن ندرك دائما أن  
الوجود الثقافى المتشابه ، يجب ألا يعنى دائما التماثل فى التعبير عن  
الأفكار القيادية لاية نفاذه . ولقد ناقشت فى ذلك الفصل الرأى القائل  
بأن النقافة تطل واحدة حتى ولو اختلف الوسط الذى نعيش فيه  
ولا سيما فى الوجه الذى يبدو فيه للعالم . وعلى هذا النحو يتضح أن  
الثقافات المتشابهة نستطيع أن نقيم أوساطا مختلفة فى نفس الوقت وفى  
أماكن مختلفة . وتعمد الأنظمة والطرائق التى تعبر عن الثقافة فى  
شكلها ومحتواها ، على الظروف السائدة والأوضاع المحلية . ولكنها  
لا نعنبد على هذه الظروف والأوضاع فى الهامها وأبحاثها ، وذلك لأن  
هذا الإلهام نشأ فى المذاهب الفلسفية والعقائد الدينية . وبعموم الوجود  
المتشابه بين ثقافات إفريقيا « السوداء » فى هذه العقائد الدينية .

وقد استندت المعارضة للجامعة الإفريقية دائما على مسائل اقتصاديه  
وسياسية . ومن الواضح أن إفريقيا متحدة فى مصالحها فى الانسواء  
الاقتصادى . وبعمول سياسة إفريقية ورجال الحكم فيها أن الاستقلال  
السياسى يبدو ساذجا عربيا إذا كان مفتعرا الى القوة الاقتصادية والمروية  
وقد يبدو من الطبيعى والحالة هذه ، أن يتساءل المرء عن الأسباب التى  
تحول دون التكامل الإفريقى عن طريق الوسائط السياسية . ولماذا يضطر  
المرء الى الاستعاضة عنها بالعرى الثقافى ؟ أن السبب واضح فى هذا كل  
الوصوح ، وهو أنه ليست ثمة فى إفريقيا منطقة واحدة تطورت تطورا  
اقتصاديا عاليا الى الحد الذى يؤدى الى هذا التكامل بالوسائل  
السياسية . أما فى أوروبا ، فالوضع مختلف تمام الاختلاف إذ أن معظم  
بلادها متطورة تطورا كبيرا من الناحية الاقتصادية ومن هنا يصبح من  
السهل إيجاد التكامل الأوروبي دون تعرض أية منطقة من مناطق القارة  
الى أخطار لا داعى لها ولا مبرر . ففوة الاقتصاد الأوروبي تخلق فى

الواقع ، شيئا من الموائع والاعتماد المتبادل بين دول القارة ، وحلوا شيئا من الاتصال الاقتصادي الذي لا مفر منه في تجارتها وهناك رباط اقتصادي قائم بينها يستند الى أساس الحاجة المعترف بها الى تفعيل الاتصال الاقتصادي وتبسيطه ، ولا ريب في أن كمال الثقافات الافريقية يمثل في قوة الدعوة الثقافية الى الجامعة الافريقية تماما كما ان كمال الاقتصاد الاوروبي يتمثل في قوة الدعوة الاقتصادية الى الجامعة الاوروبية .

فلم يصل اقتصاد افريقيا بعد الى مرتبة الكمال أو القوة أو المرونة ولهذا فان هذا الانصاف لا يقدم بعد الرابطة الوحيدة التي يعدمها الاقتصاد الاوروبي .

ولا يعني هذا مطلما ان الدعوة الى الجامعة الافريقية خالية من جميع الحوافز والنعم الاقتصادية . فعند هذه النقطة بالداب تهاوى جميع الاعتراضات عليها النابعة من الاعتبارات الاقتصادية . فافريقيا أعصى مارة في العالم . ولكن معظم نرواتها ما زالت جامدة في مرحلة «الامكان» ومرحلة «الركود والنوم» . وهي تعاني أي افريقيا ، من ناحية الموارد الطبيعية ، من التجمد والوفرة . فهناك بصاعف وازدواجيه في هذه الموارد في جميع أطراف القارة . وعلى الرغم من عدم استكمال أعمال المسح الجيولوجي فيها حتى الآن . فان من المعروف انها تضم كميات هائلة جدا من الكوبالت والنحاس والراديوم والاورانيوم والماس والفانديوم والمنجنيز ومسحوق الكروم والبوكسيت والحديد والفحم والذهب والتصدير وغيرها وستكشف أعمال المسح الكاملة المقبلة حتما ، عن وجود كميات أخرى من بعض هذه المعادن على الأقل وحتى لو طل استثمارها لها على صعيد المواد الخام ليس الا فان هذه الموجودات المعدنية تستطع أن تعين القارة أكبر العون على تجميع الرساميل وعلى الحصول على الثراء . ولكن هل من الضروري أن تفيد افريقيا نفسها على صعيد المواد الخام لبس الا ؟ ان ما نحتاج اليه افريقيا في موضوع مخزونات المعدنية هو أن تقوم بمسح جيولوجي واسع وشامل على الطريقة التي اتبعها الاتحاد السوفياتي . فلقد كان الدليل الذي قام على وحسود مخزونات معدنية وافرة ومتعددة ضروريا كل الضرورة لتأكيد نجاح الثورة ولا ريب في انه ليست هناك في افريقيا دولة واحدة تملك من الرساميل والمهارات ما يمكنها من استغلال مواردها بأحسن السبل وأكثرها نفعاً وفائدة ، وقد تكون في وسعها أن تجتنب من الخارج الرساميل عن طريق القروض أو الاستثمارات . وفي وسعها أيضا أن تغري أصحاب الخبرة والمهارة الفنية الذين تحتاج اليهم . ولكن اذا كان نمة عدد كبير وضخم من البلاد التي ننشد قروض المساعدات الخارجية لتمل أمريكا وروسيا وأوروبا الى تقديمها فان من الواضح ان أية بلاد

بمفردها لن نستطيع الحصول على مبالغ كبيرة من هذه الفروض ولو أخذنا على سبيل المثال ان بريطانيا العظمى بضخامتها تشدد قرضا بسببه ملايين جنيه من البنك العالمى ، تبين لنا ان افريقيا المتحدة ، بما يتوافر لها من فائض ضخيم من مختلف المواد ، تستطيع أن تطلب من البنك الدولى وأن تحصل على فروض أكبر مما تستطيع الدول الافريقية فرادى الحصول عليه من الهيئات والوكالات الدولية بعد اقناعها لها بتقديمها . وكل ما كانت الفروض التى تستطيع الحصول عليها أو التى نتوافر لنا أصح وأكبر ، كلما كانت نقتنا أعظم بقدرتنا على استخدامها فى استغلال بعض مواردنا استغلالا فعالا وفى وسع افريقيا المتحدة ، أن تعتبر بعض الموارد الموفرة فى أكبر من جزء من أجزائها . كمخزونات احتياطية ، وأن تركز جهودها بقوة وعزيمة على استغلالها من المناطق التى يقع عليها الاحتيال ، فى عملية الاستغلال الاولى . وفى الامكان اعادة استخدام الاموال التى نجمع ونتراكم كفائض من مثل هذه المشاريع فى مناطق أخرى ولما كان الاستثمار سينظم ويستعمل على أساس الفارة كلها لا على صعيد اقليمى فان سرعة النمو الاقتصادى للقارة سيزيد كثيرا على السرعة التى يسير فيها هذا النمو لو أتبعنا سبيلا آخر .

وعدد الاشخاص من ذوى الخبرة والمهارة الفية الذين يمكن للبلاد المستنصنة الاستغناء عنهم للعمل فى افريقيا محدود بالطبع ، ومن هنا يتبين انه فى وسع افريقيا المتحدة أن تفيد منهم فائدة أكبر عن طريق تركيزهم على مشاريع مختارة من افريقيا المجزأة التى قد تنسهم ووزعهم على مشاريعها المتنافسة المنفردة الى العناية والى الموظفين الأكفاء وستجهم مشاكل النقص فى افريقيا اذا توحدت بالطبع . وقد يكون مما يجفو الحكمه الغاء العملات النقدية الراهنة فى المراحل الاولى للاستعاضة عنها بنقد افريقى موحد وذلك لسبب واحد على الاقل وهو ان الطاقة الصناعية لافريقيا ، وقدرتها على دعم عملتها ، لم تتوطد اقدمها بعد ، أما السبب الثانى فهو ان افريقيا المتحدة قد تفيد من الارتباطات النقدية التى سترتها مع العملات الاجنبية ، مما يضعفنا بالطبع فى موقف أفضل بالنسبة الى أغراض التبادل التجارى والنقدى وتؤدي الحقيقة الواقعة وهى ان اقتصادها سيكون مرتبطا آنذاك بعدد من العملات الاجنبية التى تمكنها وبشكل أفضل من مجارة ما يطرأ على هذه العملات من ارتفاع وهبوط . وليس من الضرورى فى الوقت نفسه أن تتأثر التجارة الخارجية وأن تتعرض الى أية عراقيل من جراء هذا التفاوت فى أسعار النقد . على أى حال ، لن نكون الوضع بأى حال من الاحوال أسوأ مما هو عليه الآن ، وستظل العملات قابلة للتحويل على الصعيد الداخلى الافريقى .

وعلى الرغم من أن إفريقيا من البلاد المتخلفة ، إلا أن اقتصادها من  
 النوع المختلف والمتغير ، أنه اقتصاد معوج ، وبمقوّل معارضو فكره  
 الجامعة الإفريقية وشائوها ، أن الفروق القائمة بين الدول الغنية والدول  
 الفقيرة كما هو الوضع في إفريقيا فعلا ، تؤلف عقبات في طريق الوحدة  
 لا يسهل بحطّنها ويضيف هؤلاء ، أن هذا البؤس الساسع سيؤدّي حتما  
 إلى شيء من الأحجام التلقائي من جانب المناطق الأكثر براء ، عن الالتقاء  
 بسهمها والارتباط كثيرا بالمناطق الفقيرة وليس به من لسك في أن عانا  
 هي أغنى المستعمرات البريطانية السابقة بمواردها الطبيعية ، حتى لو  
 أدرجا روديسيا الشمالية التي سوف تصبح استقلّتها . أما بالنسبة إلى الممتلكات  
 الفرنسية السابقة ، فيعتبر الغابون أغناها بموارده الثولية إذ أنه مليء  
 بالمنجنيز والاورانيوم والحديد حول مدن فرانس فيل وموانا وبانجا -  
 شيبانجا . ومن المعروف الآن أن الكونغو البلجيكي طامح أبصا  
 بالاورانيوم والنحاس والبوكسيت وإذا ما فارنا المناطق الأخرى من  
 إفريقيا بهذه المناطق نبين لنا أنها محرومة من نعم الله كما هي محرومة  
 من نعم الإنسان ، ولكن إذا كانت بنسائر المنافع الاقتصادية للوحدة  
 الإفريقية صحيحة ، فإن السبيل الأمثل للبلاد الإفريقية الغنية ، هو أن  
 تلقى بسهمها مع أخواتها الفقيرات ومن واجب مشاعر الأخوة البابعة من  
 وحده التفافاف الإفريقية أن تجعل من هذا الطراز من النصحة المؤففة  
 والمستنيرة شيئا ممكنا ومقبولا ، وبحلق الوحود المسسابة للتفافاف  
 الإفريقية السابع من تجارب مسركه مع السبطرة الأجنبية من خارج الفاره  
 ومن الإماهى الواحد ، رباطا سحرنا يمكن استخدامه في ربط جميع  
 المناطق في وحدة إفريقية جامعة . وفي وسع المناطق الإفريقية المتحدة في  
 جامعة إفريقية أن تؤلف مرتبة واحدة ، تربي بها الاستعمار الزائل ،  
 وأن ننصر عليه مجتمعة . وقد تمت حتى الآن إقامة مساربع المساعدة  
 المتبادلة بين الدول الإفريقية . ولعل أزوع الاملة على هذه المساعدة  
 مافامت به عانا من وضع عشرة ملايين حسه تحت تصرف غينيا . وفقد  
 شرع التجريون يتحدثون عن مساربع المساعدة لسيراليون وإن كانت  
 هذه المساعدات لا يخرج عن حدود ألوف الجنيهات (١) .

(١) أعيد أن المؤلف قد سبق وهو يصرّب الاملة عن المساعدات المتبادلة بين  
 الدول الإفريقية ما تقوم به الجمهورية العربية المتحدة من دور عظيم في هذا الميدان  
 وليس أدل على هذا الدور من اتفاقات المساعدة المتبادلة التي عقدها الجمهورية مع  
 عدد من الدول الإفريقية كمبيا ومالي ونيجيريا والصومال وغيرها والتي يبلغ بعضها  
 ملايين الجنيهات . ومن الحدير بالذكر أن الجمهورية العربية المتحدة في موقعها هذا  
 تشعر بأنها تؤدى واحدا مقدسا لقضية الصال الإفريقي في سبيل الحرية والاستقلال ..

« وفي وسع الجامعة الأفريقية أن تكون طارداً من الضمانات المتبادلة على الصعيد الاقتصادي للمناطق المختلفة في أفريقيا . أجل في وسعها أن تكون من الباطنة العملية ضماناً موكوفاً يقي هذه المناطق من الانهيار الاقتصادي الكلي وفي وسع هذا الشكل من أشكال الضمان أن يمكنها من تنظيم انزراعه فيها على أسس معقولة . فغانا ونيجيريا وساحل العاج والكاميرون تصدر كميات ضخمة من الكاكاو . وقد اتخمت الأسواق العالمية بهذه المادة تخمة كبيرة وذلك بسبب ما تصدره البرازيل من كميات هائلة منها . وقد أدى وجود مادة أخرى تعتمد عليها البرازيل في صادراتها وهي البن ، الى تحديد ما تصدره من الكاكاو الى الأسواق العالمية وذلك بسبب هبوط أسعاره في هذه الأسواق هبوطاً مفاجئاً . لكن البلاد الأفريقية ، نظراً لاعتمادها الكلي على دخلها من ناتج الكاكاو . كانت عاجزة عن الاشتراك مع البرازيل في مشروعها الرامي الى تحديد التصدير والذي يعتبر مغامرة اقتصادية . ولو كانت أفريقيا موحدة في جامعة واحدة لكان في وسعها أن تحطط زراعتها وان تصنعها وتنوعها فتحدد بذلك احتياجات الأسواق العالمية ، لتحول فوراً دون وجود فائض فيها ، ولتحصل على أقصى المربح من جهودها في التصدير . وفي وسع الايدي العاملة التي تنحدر من ميدان واحد ، ان تستخدم بصورة مناسبة واحبانا بصورة كافية ساما في انتاج الغذاء لاسهلاك القارة الافريقية كلها وفي الامكان تنظيم انتاج زيت النخيل أيضاً . وبمعنى الطريقة في نيجيريا والكونجو البلجيكي السابق وداهومى . وهكذا فان الاقتصاد والتنافس في افريقيا يتطلبان الوحدة الافريقية كوسيلة للنهوض بالامم . »

وكنيراً ما نفق مشكلة نقص السكان في أفريقيا كموضوع بصرف انتباه الناس عن الوحدة الافريقية وطريقها . لكن هذا النقص لا يعوم في الواقع الا على سبيل المقارنة مع القارات الأخرى . واذا ما نظرنا اليه على صعيد المدى الذي وصل اليه التقدم الاقتصادي في القارة ، تبين لنا بوضوح ان افريقيا لا تسكو في الحقيقة من نقص في عدد سكانها ومن المحتمل أن يكون العدد المحدود لسكانها نفعاً على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي . وهكذا كان في وسع افريقيا ان تتجنب المشاكل الاقتصادية التي نواجهها أية بلاد متخمة بالسكان مع وجود نظام اقتصادي ضعيف فيها . والواقع الذي يعين ان عدد الافواه التي بطلب اطعامها في افريقيا أقل بكثير من عددها في الصين أو الهند على سبيل المثال ، يستد الى أن في وسع افريقيا ان تحسد في أسرع وقت ممكن وفورا زراعية ضخمة ، وان توفر حزاء من الجهود الزراعية لاغراض التصدير . وسيؤدي نقص السكان في افريقيا أيضاً الى الاسراع في تقصيرها على أسس تقنية ، اذ أنه يخلق ضرورة طبيعية للتألية والمكنة ، وسيتمكن الافريقيون عن هذا الطريق من التعرف .

يسرعه على وسائل المصميه ( التكنولوجيا ) ونححر اعداد كبيرة وواقعية  
منهم للعمل في مختلف المجالات الاسانبيه والاجتماعيه المنسجمه مع أسسه  
مجتمعاتهم الجماعيه . ولا ريب في أن سرعة الأفريقي في استيعاب المعرفة  
ستكون في مصلحة القارة كلها . ولقد أظهر الأفريقي هذه السرعة في  
اكتساب المعرفة في براعته في تعلم اللغات والعلوم الاورويه . ولا تؤلف  
عواعد المهارة اليدويه أية مشاكل خطيرة أمام الأفريقيين فقد تمكنوا في  
عصون جيلين فقط من استيعاب المعرفة الاورويه وتملكها ولا ريب في أن  
السرعة التي اجتاز فيها الأفريقيون هذه المرحلة سنحلمهم أيضا على اجتياز  
العصر التقني . بنفس العزيمة والنشاط .

وأخيرا تؤدي الجامعة الأفريقية الى تلطيف الآثار التي يخلعها الموزيع  
غير المتساوي للسكان في طول القارة الأفريقية وعرضها .

وعلى الرغم من أن الوحدة الأفريقية تبدو وكأنها حركة داخلية تحصر  
أفريقيا وحدها ، إلا أنها نير من الناحيتين الاقتصادية والسياسية اهمام  
القارات الأخرى وولقها ، ولا سيما القارة الاورويه التي كانت أفريقيا  
مرتبطة بها حتى الآن أوثق ارتباط . ونخلق أفريقيا المسائل للسوق  
الاورويه المسركة كما أن هذه السوق نخلق المسائل لأفريقيا . فالسوق  
الاورويه المسركة تعتمد على المواد الأولية من أفريقيا ، كما تعتمد هذه  
على تجارتها مع أوروبا . ولكن لا يتظر أن تطل الصورة التي تريدها  
أفريقيا لنفسها ومستقبلها هي صورة المنتج الأزل للمواد الأولية لصناعات  
الأخرين . ويتحتم على أفريقيا بالطبع أن تباع لغيرها المواد الأولية التي  
لا تستطيع أن تسعملها هي ، ولكن من واجبها أن سير نحو الصنيع  
وأن تزيد من استعمالها للمواد الأولية ، التي تسجها ومن المحنوم على  
الملاذ التي ننتج المواد الأولية وتصدرها لتعود فتستوردها على  
شكل صناعات جاهزة ، ان نخسر وان تكون خسارتها كبيرة ، اد ليس ثمة  
من وحه على الاطلاق للمقارنة بين الأسعار التي تنقاضها أفريقيا من أوروبا  
بما لموادها الأولية ، والأسعار التي يتحتم عليها أن تدفعها الى أوروبا لنما  
للسلع الجاهزة التي تستوردها منها . وتكون نتيجة الميراث التجاري دائما  
الى جانب الخسارة الكبيرة البالغة ولكن دول السوق الاورويه المشتركة  
قد ترعب في ضمان مصادرها من المواد الأولية التي تحتاج إليها ، ولهذا  
فقد تعمل هذه الدول على اقناع أفريقيا بتأجيل تصنيعها أطول مدة ممكنة  
والى أكبر حد تستطيع فيه أن تنقدم بمثل هذا الاقتراح ومن الضروري  
بالنسبة الى أفريقيا ألا تفلج السوق الاورويه المشتركة في تجزئتها  
وتفسيح وحدتها اذ على الرغم من أن هذه السوق قد لا تعدد أفريقيا بشيء  
الا أنها قد تستطيع خلق الخصومات والفروق بين دول هذه القارة عن طريق  
مانقترحه من حواجز التعريفه الحمركية . فلو ارسلت السوق مع بعض

البلاد الافريقية لا معها كلها . وكان اقتصاد هذا البعض يقف موقف التنافس من البعض الآخر ، فان الوحدة الافريقية سواحها صعوبة جديدة .

ويقال فى بعض الاحيان ان عدد اللغات فى افريقيا يؤلف حاجزا فعلا فى طريق الوحدة الافريقية . وقد أوضح ديلافوس ، المنحصر فى السئون الافريقية أن هناك أربع مجموعات أساسية من اللغات من الفاره سماها بالسودانية والنيلية وسبه البانتو والبانتو . ولكن تصيفه هذا يعرض لهجوم عنيف من بعض النقاد الاذكياء الخبراء فى السئون الافريقية من أمثال جريسبرج ، الذين قالوا بأن تسمية بعض اللغات الافريقية بأنها سبه البانتو تسمية سحيقة تماما كالقول بان الانجليزى هى لغة شبه المايه . واخترع آخر من الدهاقنة فى بحوب اللغات الافريقية ويدعى ويسرمان تعبيراً حديدا ولاذعا اذ اطلق على اللغات التى تنكلم بها قبائل البوجولاند من غير « الاوى » اسم البفايا أو المخلفات ولكنه وبالأأسف لم سر فى قليل أو كثير الى الاصل الذى يمكن أن تكون هذه اللغات من محلفانه أو بقاءه . وقد يكون من العسير على الانسان أن بدعن لتوجيه اللغويين الافريقيين التقليديين . ويبدو أن هؤلاء اللغويين لم يكونوا يحسون احساسا كافيا بالفروق العنصرية أو الخصائص الاقتصادية والمهنية والتنمية . ويقول جورج مورودوك على سبيل المثال فى هؤلاء اللغويين التقليديين ، وله كل الحق فى جميع ماقاله ، ان كثيرين منهم بدوا وكأنهم يعتبرون رعاية فطعان الماشية وحلبها من السمات اللغوية ، بل وسمه طاعية كل الطغيان . ويجد بعض اللغويين الافريقيين أنفسهم عند هذه النقطة فى بحر غامر من الخيال المذهل . فديلافوس مثلا ، الذى كثيرا ما يفتبس منه حصوم الوحدة الافريقية وهم الذين يستندون فى وجهات نظرهم الى وجود مجموعة من اللغات التى لا يمكن التفاهم بها والنمى نسبه لغات برج بابل هوأحد الذين يخلطون كل الحلط بين المجموعات اللغوية فى افريقيا وهو يسنعىض بتشكلى يائس عن قواعد علم الاجناس البشرية بقواعد علم الحروف ، حتى وهو يحاول اقامة الدليل على آرائه فى الاجناس مما يستثير الدهشة حقا . وعندما تقوم الادلة الثابتة والعامه على وجود علاقة بين قواعد الاجناس البشرية وقواعد علم الحروف يغدو من الصحيح استقراثيا وأسلوبيا « اسناد النتيجة النى يمكن الوصول اليها هنا الى القواعد المستقاة من هناك . ولكن يبدو لى أن عقل ديلافوس وحده ، هو الذى قضى على كل شكوك واضحة وظاهرة فى هذا الموضوع » .

وعندما يصل أصحاب نظرية بابل « الى ادعاء وجود عدة أوجه عامة للسبه بين اللغات الافريقية ، فانهم يطلقون على أوجه الشبه هذه عن سابق عزم وتصميم اسم العلاقات ، ويسار هنا الى أن هذه اللغات تلجأ دائما الى استخدام البواديء أو الكواسع أو الزوائد فى الكلمات لتعطى

معاني خاصته (اضافة لفظ فى أول الكلمة أو آخرها أو وسطها لاعطاء معنى خاص ) ولكن اللغة اليونانية تصبف مثل هذه الزوائد على الكلمات أيضا . وهناك افتقار مرعوم الى الكلمات للتعبير عن المعاني الجامدة غير المصروفة كما أن هناك عنى مماثلا فى المعانى المحدودة وفى أهمية اللفظ بالنسبة الى تركيب الكلمة وعلاقتها باللفظ ، فان هذه الظاهرة طبيعية فى اللغات غير المعربة السى نعتبر الانجليزىة مثلا بارزا من أمثلتها . ويظل لتربيب اللفظ والكلم أهميته بالنسبة الى الاعراب حتى عندما تكون ثمة اعراب للالفاظ الانجليزىة وان لم يكن هذا الاعراب كافيا لتجنب القوضى والاربك . ولننظر على سبيل المثال الى الحملتين الاحلبيتين « اعطه اياها » و « اعطه لها » . ولم يكن تفسير أوجه السبه هذه فى افرىما فويا للغاية عن طريق الانسار السريع للاسلام أو العلاقات التجارية . فاللغة اما أن تكون من اللغات المعربة فى مجموعها أو لا تكون . ولو احذنا هدين البلدين معا ، ونظرا الى ندرة الابتكارات الأخرى التى تستطيع اللغة اللجوء اليها لاهداف اعرابيه كتربيب الكلمات أو النغم اللفظى أو مانسابههما ، بين لنا أن من السخف أن نرى فى الحقيقة المجردة عن وحود لغتين تنسابهان فى ابتكاراهما ، لغزا . يتطلب حله اسنقصاء مجموعة من النظريات .

ومهما كانت مرة هذا الحوار اللغوى فان من الواضح ان عدد اللغات فى افرىما وتنوعها ، لم يجعل بعد من العسير أحداث الاتصال الداخلى بين الاقاليم الافرىقيه ، ومازال اللغات الرسميه السائقة هى الفرنسىة والانجليزىة والاسبانىة والبرتغالىة . ومادامت هذه النعمة موجودة فليس ثمة من داع الى أن تكون اللغات الداخلىة فى الفاره عقبه فى طريق وحدتها وبدلا من أن يكون بعدد اللغات فى افرىقية عقبه فى طريق وحدتها ، فان فى مكنته أن يكون أداة من أدوات وحدتها وذلك بالنسبة الى ما يخلقه من مصلحة طبيعية . ومجهود فى آداب هذه اللغات وكذلك فى التفهم الكيفى والفعال الذى تؤدى اليه هذه المصلحة وذلك المجهود .

ومع اننا نوصى بالوحدة الافرىقية كتنى ايجابى . فان وسائل تحفيها أمر يجب أن يناقش ويبحث بشكل واضح . وليس هناك ما هو أشد فحبة بالنسبة الى افرىقا من القيام بمحاولة عامة كاذبة فى هذا السبيل ولقد بدأت وحدات منطقية أصيلة فى الطهور فى افرىقا ولعل أبرز الأمثلة عليها اتحاد غانا وغينيا ومالى . والاتحاد المنظر فى افرىقا الشرقة . ويمثل هذان الاتحادان نموذجا للوحدة التى تنطوى على الاحماع أو شبهه الاجماع ، فى مواقف الدول المنظمة اليها من التسئون الداخلىة والخارجية . ولا ريب فى أن هذا الطراز من الوحدة الاصيلة ، لاطراز الوحدة التى تتمثل فى دماة الزمالة وكياسة الاحاديب على موائد الشاى



هو الذى سسعد أفريقيا • ولقد فيل ان نحقيق الوحدة فى الولايات المتحدة الامريكية قد امنغرى مائة وسبعين عاما • ولكن الضغوط الداخلية والخارجية انسى ننعرض لها افرقبا اليوم هى أقوى بكثير من تلك التى واحنها أمريكا ، والنس كان فى امكانها أن تعالجها على مهل وفى وقت طويل • وقد برهنت افريقيا على أن سرعة العمل ، من حصائصها المحدودة ومن الواضح كل الوضوح ، ان هناك احطارا يواجه افريقيا فى حالة بقائها مجراه ، وان هذه التجزئة سببى على عجزها وضعفها ، وألا خلاص لها الا بالوحدة ولا ربب فى أن وصوح هذه الامور بالنسبة الى أفريقيا اليوم أعظم بكثير من وصوحها بالنسبة الى الولايات المتحدة فى انامها الاولى • وليس تاريخ القارات الا كمثل الحلم الذى حلمه بوخذ نصر امراطور بابل ، اذ رأى ماردا ، سألأ أجزاء جسمه من مواد مختلفة ذات ومبص منازيد • وستقيم افريقيا الدليل فى وحدتها على أن قدمها ليستا من الفخار • وسكون تاريخها فى وحدتها ، تاريخ أمجاد واشراق ، وتاريخ تحقيق لآس مختلفة من مآس الوحدة والكرامة •

( تم الكتاب )

# الفهرست

الموضوع	الصفحة
تقديم العرب	٣
الاهـداء	٧
مقدمة	٩
العقيدة والمجتمع	١١
نموذج المجتمع الأفريقي	٤٨
نظرة الاكانيين في الحكم	٨١
الاستقلال ضاع واستعيد	١٣٥
بعث أفريقيا	١٧٥

## تحليل حركة الملاحة في القناة خلال ديسمبر سنة ١٩٦٢

### الحركة الملاحية :

حققت السفن التي عبرت القناة خلال ديسمبر ١٩٦٢ زيادة قدرها ٧٣ سفينة أى بنسبة ٤٩٪ على تلك العابرة خلال نفس الشهر من الشهر من عام ١٩٦١ .

فقد بلغ عدد السفن العابرة خلال ديسمبر الحالى ١٥٦٢ سفينة مجموع حمولتها الصافية ١٦٤٧٠٦٩٨ طنا - بمتوسط يومي قدره ٥٠٤ سفينة مقابل ١٤٨٩ سفينة حمولتها الصافية ١٥٧٦٦٩٦٨ طنا ومتوسط يومي قدره ٤٨ سفينة في ديسمبر ١٩٦١ .

وعبرت القناة من الشمال الى الجنوب خلال الشهر الحالى ٧٥٩ سفينة مقابل ٧٢٤ سفينة في ديسمبر الماضى - بزيادة قدرها ٣٥ سفينة ، ويرجع ذلك الى أن السفن المحملة قد زادت بمقدار ١٠ سفن ( ٣٩٠ مقابل ٣٨٠ ) وكذلك السفن الفارغة بمقدار ٢٥ سفينة ( ٣٦٩ مقابل ٣٤٤ ) .

وبلغ عدد السفن العابرة من الجنوب ٨٠٣ سفن مقابل ٧٦٥ سفينة بزيادة قدرها ٣٨ سفينة ، وهذا نتيجة لزيادة السفن المحملة بمقدار ٢٥ سفينة ( ٧٤٨ مقابل ٧٢٣ ) والسفن الفارغة بمقدار ١٣ سفينة ( ٥٥ مقابل ٤٢ ) .

### الحمولة الصافية :

زادت الحمولة الصافية للسفن التي عبرت القناة خلال ديسمبر الحالى مقارنة بمثلها في ديسمبر الماضى بمقدار ٧٠٤٠٠٠ طن أى بنسبة ٤٥٪ ( ١٦٤٧١٠٠٠ طن مجموع حمولتها في ديسمبر ١٩٦٢ مقابل ١٥٧٦٧٠٠٠ طن في ديسمبر ١٩٦١ ) .

وبتقسيم الحمولة الصافية طبقا لاتجاهى العبور، يتضح انها قد حققت زيادة في كلا الاتجاهين ، فقد بلغت الحمولة الصافية للسفن العابرة من الشمال الى الجنوب خلال الشهر الحالى ٨٠٨٠٠٠ طن مقابل ٧٩١٦٠٠٠ طن خلال نفس الشهر من عام ١٩٦١ أى بزيادة قدرها ١٦٤٠٠٠ طن ، وذلك نتيجة لارتفاع الحمولة الصافية للناقلات الفارغة ، وبلغت بالنسبة للسفن العابرة من الجنوب الى الشمال ٨٣٩١٠٠٠ طن مقابل ٧٨٥١٠٠٠ طن أى بزيادة قدرها ٥٤٠٠٠٠ طن ، وتعود تلك الزيادة الى ارتفاع الحمولة الصافية بالنسبة لجميع أنواع السفن عدا سفن البريد .



# مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبید - روض الفویح

تلفون { ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٤  
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ }